# جامع الخيرات

مِنْ مَجالِسِ
الشَّيخ عبدِ اللهِ بنِ محمَّد بنِ يوسفَ
الهَرَرِيّ المعروف بالحبشيّ
رحمه الله تعالى

## الجزء الثالث

لخادِم عِلم الحديث الشريف
الشَيْخ عَبْد الله الهَرَرِيّ
المعْرُوف بالحَبَشِيّ غفرَ الله لهُ ولوالديه

شركة دار المشاريع

**الطبعة الثانية**
**١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢ر**

شركة دار المشاريع

بيروت - لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون،
بناية الإخلاص
تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤(١ ٩٦١)٠٠
صندوق بريد: ٥٢٨٣ - ١٤ بيروت - لبنان

شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

ISBN 978-9953-20-907-4

9789953209074

email: dar.nashr@gmail.com
www.dmcpublisher.com

# نبذة مختصرة
# في ترجمة شيخنا الهرري

**- اسمه وكنيته وشهرته:**

هو العالِم الجليل قدوة المحقّقين وعمدة المدقّقين صدر العلماء العاملين الإمام المحدّث التقي الزاهد والفاضل العابد صاحب المواهب الجليلة الشيخ أبو عبد الرَّحمٰن عبد الله بن محمَّد بن يوسف بن عبد الله بن جامع الشَّيبي[١] العبدري[٢] القرشي نسبًا الهرري[٣] موطنًا المعروف بالحبشي.

**- مولده ونشأته:**

وُلِدَ في مدينة هرر حوالي سنة **١٣٣٠**هـ - **١٩١٢**ر، ونشأ في بيتٍ متواضع محبًّا للعِلم ولأهله فحفظ القرءان الكريم استظهارًا وترتيلًا وإتقانًا وهو قريب العاشرة من عمره في أحد كتاتيب باب السلام في هرر، وأقرأه والده كتاب «المقدمة الحضرمية في فقه السادة الشافعية» وكتاب «المختصر الصغير فيما لا بد لكل مسلم من معرفته» وهو

---

(١) بنو شيبة بطن من عبد الدار من قريش وهم حجبة الكعبة إلى الآن، انتهت إليهم من قبل جدهم عبد الدار حيث ابتاع أبوه قصيّ مفاتيح الكعبة من أبي غبشان الخزاعي، وقد جعلها النبي ﷺ في عقبهم. انظر سبائك الذهب (ص/٦٨).

(٢) بنو عبد الدار بطن من قصي بن كلاب جدّ النبي ﷺ الرابع. انظر سبائك الذهب (ص/٦٨).

(٣) تقع مدينة هرر في شرق إفريقيا ضمن جمهورية أثيوبيا.

كتاب مشهور في بلاده وكلاهما للشيخ عبد الله بافضل الحضرمي الشافعي، ثم حُببَ إليه العلم فأخذ عن بعض علماء بلده وما جاورها، وعكف على الاغتراف من بحور العلم فحفظ عددًا من المتون في مختلف العلوم الشرعية.

- **رحلاته:**

لم يكتفِ رضي الله عنه بعلماء بلدته وما جاورها بل جال في أنحاء الحبشة ودخل أطراف الصومال مثل هرگيسا لطلب العِلم وسماعه من أهله وله في ذلك رحلات عديدة لاقى فيها المشاق والمصاعب، غير أنه كان لا يأبه لها بل كلما سمع بعالِم شدَّ رحاله إليه ليستفيد منه وهذه عادة السلف الصالح، وساعده ذكاؤه وحافظته العجيبة على التعمّق في الفقه الشافعي وأصوله ومعرفة وجوه الخلاف فيه، وكذا الشأن في الفقه المالكي والحنفي والحنبلي، ثم أَوْلى علم الحديث اهتمامه رواية ودِراية فحفظ الكتب الستة وغيرها بأسانيدها وأجيز بالفتوى ورواية الحديث وهو دون الثامنة عشرة حتى صار يُشار إليه بالأيدي والبنان ويُقصد وتشدُّ الرحال إليه من أقطار الحبشة والصومال حتى صار على الحقيقة مفتيًا لبلده هرر وما جاورها.

ثم خرج من بلده إلى مكة بعد أن كثر تقتيل العلماء مرات عديدة ءاخرها سنة **١٣٧١**هـ - **١٩٥١** فتعرّف إلى عدد من علمائها كالشيخ العالِم السيّد علوي المالكي والشيخ السيد أمين الكتبي والشيخ محمد ياسين الفاداني والشيخ حسن مشاط وغيرهم وربطته بهم صداقة وطيدة،

وحضر على الشيخ محمّد العربي التبّان، واتصل بالشيخ عبد الغفور العباسي المدني النقشبندي فأخذ منه الطريقة النقشبنديّة كما سيأتي.

ورحل بعدها إلى المدينة المنوّرة واتصل بعدد من علمائها منهم الشيخ المحدث محمّد علي أعظم الصديقي البكري الهندي الأصل ثم المدني الحنفي وأجازه، واجتمع بالشيخ المحدث إبراهيم الخُتَني تلميذ المحدث عبد القادر شلبي الطرابلسي ثم المدني والشيخ المحدث محمد زكريا الكاندهلوي الهندي ثم المدني والشيخ المحدث محمد يوسف البنُّوري وحصلت بينهم صداقة ومودة، ثم لازم مكتبة عارف حكمت والمكتبة المحمودية مطالعًا منقبًا بين الأسفار الخطيَّة مغترفًا من مناهلها فبقي في المدينة مجاورًا مدة من الزمن.

ثم رحل إلى بيت المقدس في أواخر سنة **١٣٧١**هـ - **١٩٥٢**ر مشيًا على الأقدام ومنه إلى الخليل ثم توجَّه إلى دمشق فاستقبله أهلها بالترحاب لا سيما بعد وفاة محدّثها الشيخ بدر الدين الحسني رحمه الله، ثم سكن في جامع القطاط في محلة القيمرية وأخذ صيته في الانتشار فتردّد عليه مشايخ الشام وطلبتها وتعرَّف على علمائها واستفادوا منه وشهدوا له بالفضل وأقرُّوا بعلمه واشتهر في الديار الشامية بـ«خليفة الشيخ بدر الدين الحسني» وبـ«مُحَدّث الديار الشاميّة»، ثم تنقل في بلاد الشام بين دمشق وبيروت وحمص وحماه وحلب وغيرها من المدن السورية واللبنانية إلى أن استقر ءاخرًا في بيروت.

- **مشايخه:**

**١- هرر وضواحيها:**

أخذ عن والده محمد بن يوسف كما تقدَّم، وعن كبير[١] علي شريف علم التوحيد، وقرأ عليه القرءان الكريم تجويدًا وترتيلًا وحفظه وهو دون العاشرة، وعن العالم النحرير الشيخ الولي محمد ابن عبد السلام الهرري الفقه الشافعي والنحو، وقرأ على الشيخ محمد بن عمر جامع الهرري علم التوحيد والفقه الشافعي والنحو، وقرأ على الشيخ إبراهيم بن أبي الغيث الهرري كتاب «عمدة السالك وعدة الناسك» لأحمد بن النقيب الشافعي، وعلى الشيخ الصالح أحمد الضرير الملقب بالبصير في قريته كرُو كتاب «الفواكه الجنية على متممة الآجرومية» للفاكهي وشرح التصريف العزي للتفتازاني وألفية ابن مالك و«الجوهر المكنون في الثلاثة متون» في البلاغة للأخضري، وكتاب «تلخيص المفتاح» في البلاغة للقزويني.

**٢- خارج هرر:**

ارتحل إلى غرب الحبشة فقرأ في جِمَّه على الشيخ بشرى گوراگي علم العروض والقوافي، والشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله الحبشي المعروف بالمصري جميع صحيح مسلم وسنن النسائي و«تدريب الراوي شرح تقريب النووي» للحافظ السيوطي وبعضًا من صحيح ابن حبان

(١) معناها في بلاد الحبشة «الشيخ العالم».

والسنن الكبرى للبيهقي ومسند الإمام أحمد وسمع منه المسلسل بالأولية وغيره ثم أجازه بسائر مروياته.

وقرأ في ناحية جِمَّه على الشيخ يونس گوراگي «فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب» للشيخ زكريا الأنصاري.

وأخذ عن الشيخ العلامة النحوي اللغوي محمد شريف الجِمي الشهير بشيخ شِيرو في ناحية جِمَّه في قرية شِيرو شرح ملحة الإعراب وشرح ألفية ابن مالك لابن عقيل وشرح شافية ابن الحاجب في الصرف للأستراباذي وكتاب «فتح الجواد في شرح الإرشاد لابن المقري» لابن حجر الهيتمي وحضر عليه أيضًا في التفسير.

وقرأ على الشيخ أحمد دگو في چرين ناحية جِمَّه «جمع الجوامع في أصول الفقه» للسبكي بشرح المحلي، وأدرك الشيخ إبراهيم القَتْبَاري في ءاخر عمره لما سكن جِمَّه وقرأ عليه «تحفة الطلاب بشرح متن تحرير تنقيح اللباب» للشيخ زكريا الأنصاري.

واجتمع بالشيخ الفقيه الأديب الصوفي الزاهد عمر بن علي البَلْبِلَّيتي، الغَلَمْسي فقرأ عليه في علم الميقات والفلك.

ثم ارتحل إلى شمالي الحبشة مشيًا على الأقدام فدخل رايَّه وهي تبعد عن هرر نحو ألف كيلومتر فقرأ على مفتي الحبشة الشيخ محمد سراج الجبرتي سنن أبي داود وابن ماجه وشرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر للحافظ ابن حجر العسقلاني وسمع منه المسلسل بالأولية وغيره ثم أجازه بسائر مروياته، ودخل قرية كَدَّو مرتين فقرأ على

الشيخ الصالح المقرئ المحدث أبي هدية الحاج كبير أحمد بن عبد الرحمٰن إدريس الدَّاوي الكدّي الحسني شيخ القراء في المسجد الحرام بمكة - وكان يسميه أحمد عبد المطلب - صحيح البخاري وسنن الترمذي وأجازه وقرأ عليه نصف القرءان من طريق الشاطبية، ثم دخل أديس أبابا فقرأ على الشيخ داود الجبرتي الهاشمي المقرئ شرح الجزرية لزكريا الأنصاري وقرأ عليه القرءان بقراءتي نافع المدني وأبي عمرو البصري وبرواية حفص عن عاصم، وقرأ عليه كتاب «الدرة المضية في القراءات الثلاث المتممة للعشر» لابن الجزري.

**٣- خارج الحبشة:**

اجتمع في المدينة بالشيخ محمد علي أعظم حسين الصديقي البكري الهندي الأصل ثم المدني الحنفي فسمع منه المسلسل بالأولية وغيره من المسلسلات وقرأ عليه «الأربعون العجلونية» وأجازه، وحضر على الشيخ محمد العربي التبَّان المكي المالكي بعض الدروس في التفسير والحديث في المسجد الحرام عند باب الزيارة. وأجازه المسند الأصولي علم الدين أبو الفيض محمد ياسين الفاداني المكي بسائر مروياته.

ثم دخل دمشق فقرأ على الشيخ المقرئ محمود فايز الديرعطاني نزيل دمشق وجامع القراءات العشر أقل من ختمة برواية حفص على وجه قصر المنفصل في المدرسة الكاملية بدمشق، وأجازه الشيخ محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكَتَّاني نزيل دمشق وقتها بسائر مروياته، وقرأ

على الشيخ محمد العربي العزوزي الفاسي نزيل بيروت الموطأ وسمع من لفظه الأربعين العجلونية وبعضًا من مسند أحمد والمسلسل بالأولية وأجازه، وتردد على الشيخ محمد توفيق الهِبري البيروتي وسمع من لفظه بعضًا من الأربعين العجلونية وأجازه بها.

- **تدريسه:**

شرع رضي الله عنه يُلقي الدروس مبكرًا على الطلاب الذين ربما كانوا أكبر منه سنًّا فجمع بين التعلُّم والتعليم في ءان واحد، وانفرد في أرجاء الحبشة والصومال بتفوّقه على أقرانه في معرفة تراجم رجال الحديث وطبقاتهم وحفظ المتون والتبحّر في علوم السنة واللغة والتفسير والفرائض وغير ذلك، حتى إنه لم يترك علمًا من العلوم الإسلامية المعروفة إلا درسه وله فيه باعٌ، وربما تكلّم في علم فيظن سامعُه أنه اقتصر عليه في الإحكام وكذا سائر العلوم على أنه إذا حُدّث بما يعرف أنصت إنصات المستفيد، فهو كما قال الشاعر: [الكامل]

وتراهُ يُصغي للحديثِ بِسَمْعِهِ
وبقَلبِهِ ولعلهُ أدرَى بهِ

**الثناء عليه:**

أثنى عليه العديد من علماء وفقهاء الشام منهم الشيخ علاء الدين وأخوه عزّ الدين الخزنوي الشافعيان النقشبنديان من الجزيرة شمالي سوريا والشيخ عبد الرزَّاق الحلبي إمام ومدير المسجد الأموي بدمشق والشيخ أبو سليمان سهيل الزَّبيبي والشيخ مُلَّا رمضان البوطي والشيخ

أبو اليُسر عابدين مفتي سوريا والشيخ عبد الكريم الرفاعي والشيخ سعيد طَنَاطِرَة الدمشقي والشيخ أحمد الحُصَري شيخ معرّة النعمان ومدير معهدها الشرعي والشيخ عبد الله سراج الحلبي والشيخ محمد مراد الحلبي والشيخ عبد العزيز عيون السود شيخ قرَّاء حمص والشيخ عبد السلام أبو السعود الحمصي والشيخ فايز الدَّيرعطاني نزيل دمشق وجامع القراءات السبع فيها والشيخ عبد الوهاب دبس وزيت الدمشقي والدكتور أحمد الحلواني شيخ القرَّاء في سوريا والشيخ أحمد الحارون الدمشقي الولي الصالح والشيخ طاهر الكيالي الحمصي والشيخ صلاح كِيوَان الدمشقي والشيخ عباس والشيخ حمدي الجويجاتي الدمشقيان ومفتي محافظة إدلب الشيخ محمد ثابت الكيالي ومفتي الرقة الشيخ محمد السيد أحمد والشيخ هاشم المجذوب الدمشقي والشيخ الفرضي أبو عمر القصيباني العاتكي الدمشقي الشافعي والشيخ نوح القضاه من الأردن وغيرهم خلق كثير.

وكذلك أثنى عليه الشيخ عثمان سراج الدين سليل الشيخ علاء الدين شيخ النقشبندية في وقته وقد حصلت بينهما مراسلات علمية وأخوية، والشيخ عبد الكريم محمد البَيَّاري المدرّس في جامع الكيلانية ببغداد والشيخ محمد زاهد الإِسلامبولي والشيخ محمود أفندي الحنفي من مشاهير مشايخ الأتراك العاملين الآن بتلك الديار والشيخان عبد الله وعبد العزيز الغماري محدّثا الديار المغربية والشيخ محمد ياسين الفاداني المكي شيخ الحديث والإسناد بدار العلوم الدينية بمكة المكرمة والشيخ

محمود طاش مفتي إزمير والشيخ المحدث حبيب الرحمٰن الأعظمي والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي الهنديان والمحدث إبراهيم الخُتني وغيرهم خلق كثير.

أخذ الإجازة بالطريقة الرفاعيّة من الشيخ محمد علي الحريري الدمشقي، والخلافة من الشيخ عبد الرَّحمٰن السبسبي الحموي والشيخ طاهر الكيالي الحمصي، والإجازة بالطريقة القادريّة من الشيخ الطيب الدمشقي والشيخ الزاهد عمر بن علي البَلْبِليتي، والخلافة من الشيخ أحمد البدوي السوداني المُكاشفي والشيخ أحمد العِربيني والشيخ المُعمَّر علي مرتضى الدِّيروي الباكستاني، وأخذ الطريقة الشاذلية من الشيخ أحمد البصير، والنقشبندية من الشيخ عبد الغفور العباسي المدني النقشبندي والخلافة فيها من الشيخ المُعمَّر علي مرتضى الديروي الباكستاني رحمهم الله تعالى، كما أخذ الخلافة بالطريقة الچشتية والسهروردية من الأخير.

- **دخوله بيروت:**

دخل أول مرة بيروت حوالي سنة **١٣٧٢**هـ - **١٩٥٢**ر فاستضافه كبار مشايخها أمثال الشيخ القاضي محيي الدين العجوز والشيخ المستشار محمد الشريف، واجتمع في بيته بمفتي عكار الشيخ بهاء الدين الكيلاني وسأل الشيخ في علم الحديث واستفاد منه. واجتمع أيضًا بالشيخ عبد الوهاب البُوتَاري إمام جامع البسطا الفوقا والشيخ أحمد إسكندراني إمام ومؤذن جامع برج أبي حيدر، وبالشيخ توفيق الهِبري رحمه الله وعنده كان يجتمع بأعيان بيروت

وبالشيخ عبد الرَّحمٰن المجذوب واستفادوا منه وبالشيخ مختار العلايلي رحمه الله أمين الفتوى السابق الذي أقرَّ بفضله وسعة علمه وهيَّأ له الإِقامة على كفالة دار الفتوى في بيروت ليتنقّل بين مساجدها مقيمًا الحلقات العلميّة وذلك بإذن خطّي منه.

وفي سنة **١٣٨٩**هـ - **١٩٦٩**ر وبطلب من مدير الأزهر في لبنان ءانذاك ألقى محاضرة في التوحيد في طلَّاب الأزهر.

- **تصانيفه وءاثاره:**

شغله إصلاح عقائد الناس ومحاربة أهل الإلحاد وقمع فتن أهل البدع والأَهواء عن التفرّغ للتأليف والتصنيف، ورغم ذلك أعدَّ ءاثارًا ومؤلفات قيّمة كثيرة نذكر منها:

**١- القرءان وعلومه**

١- كتاب الدُّرّ النضيد في أحكام التجويد.

**٢- علم التوحيد**

٢- نصيحة الطلاب، وهي منظومة رجزية في الاعتقاد مع ذكر بعض الفوائد العلمية والنصائح تقع في مائتى بيتًا تقريبًا[١]، خ.

٣- الصراط المستقيم، طُبع مرات عديدة.

(١) **تنبيه مهم**: في ءاخر حياة شيخنا رضي الله عنه أرسل إلى هرر طالبًا من بعض أحبابه ليحذف بيتين من هذه المنظومة أحدهما مدح تفسير ابن كثير وذكر أن السبب في ذلك أنه اطلع بعد ذلك بمدة على تجسيم في التفسير المذكور.

٤- الدليل القويم على الصّراط المستقيم، طبع.
٥- المطالب الوفية شرح العقيدة النسفيّة، طبع.
٦- إظهار العقيدة السُّنية بشرح العقيدة الطحاوية، طبع.
٧- الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم، طبع.
٨- صريح البيان في الردّ على من خالف القرءان، طبع.
٩- المقالات السُنيّة في كشف ضلالات أحمد بن تيمية، والكتاب في أشهر المسائل التي خالف فيها ابن تيمية إجماع الأمة في أصول الدين وقد طبع مرات عديدة.
١٠- شرح الصفات الثلاث عشرة الواجبة لله، طبع.
١١- العقيدة المنجية وهي رسالة صغيرة أملاها في مجلس واحد، طبع.
١٢- التحذير الشرعي الواجب، طبع.
١٣- رسالة في بطلان دعوى أولية النور المحمدي، طبع.
١٤- رسالة في الرد على قول البعض إن الرسول يعلم كل شيء يعلمه الله، طبع.
١٥- الغارة الإيمانية في رد مفاسد التحريرية، طبع.
١٦- الدرة البهية في حل ألفاظ العقيدة الطحاوية، طبع.
١٧- التعاون على النهي عن المنكر، طبع.
١٨- قواعد مهمة، طبع.
١٩- رسالة التحذير من الفرق الثلاث، طبع.
٢٠- رسالة في الرد على القاديانية، طبع.
٢١- رسالة في الرد على سيد سابق، خ.

٢٢- النهج السوي في الرد على سيد قطب وتابعه فيصل مولوي، طبع.

٣- علم الحديث وتعلقاته

٢٣- شرح ألفية السيوطي في مصطلح الحديث، خ.

٢٤- التعقُّب الحثيث على من طعن فيما صحّ من الحديث، طُبع. ردّ فيه على الألباني وفنّد أقواله بالأدلة الحديثية الباهرة حتى قال عنه محدّث الديار المغربية الشيخ عبد الله الغماري رحمه الله: «وهو ردٌّ جيّد متقن».

٢٥- نصرة التعقب الحثيث على من طعن فيما صحّ من الحديث، طُبع.

٢٦- أسانيد الكتب السبعة في الحديث الشريف، طبع.

٢٧- أسانيد الكتب الحديثية العشرة، طبع.

٢٨- الأربعون الهررية، وهو أربعون حديثًا من أربعين كتابًا من كتب الحديث مشروحة، خ.

**٤- الفقه وتعلقاته**

٢٩- مختصر عبد الله الهرري الكافل بعِلم الدين الضروري على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، طُبع.

٣٠- بغية الطالب لمعرفة العِلم الديني الواجب، طُبع.

٣١- شرح ألفيّة الزّبد في الفقه الشافعي، خ، شرحها بكاملها سوى الخاتمة في التصوف.

٣٢- شرح متن أبي شجاع في الفقه الشافعي، خ، وصل فيه إلى ءاخر باب حد القذف.

٣٣- شرح متن العشماويّة في الفقه المالكي، خ، لم يكمله.

٣٤- شرح التنبيه للإمام الشيرازي في الفقه الشافعي، لم يكمله.

٣٥- شرح منهج الطلاب للشيخ زكريا الأنصاري في الفقه الشافعي، لم يكمله.

٣٦- شرح كتاب سُلَّم التوفيق إلى محبة الله على التحقيق للشيخ عبد الله باعلوي، خ.

٣٧- مختصر عبد الله الهرري الكافل بعِلم الدين الضروري على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، طبع.

٣٨- مختصر عبد الله الهرري الكافل بعِلم الدين الضروري على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، طبع.

## ٥- اللغة العربية

٣٩- شرح متمّمة الآجرومية في النحو، لم يكمل، خ.

٤٠- شرح منظومة الصبان في العروض، خ.

## ٦- السيرة النبوية وتعلقاتها

٤١- الروائح الزكية في مولد خير البرية، طبع.

٤٢- مختصر تنبيه الأنام في بيان علو مقام نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام لعبد الجليل القيرواني، طبع.

٤٣- مختصر الكواكب الدرية في مدح خير البرية المسماة بالبردة للبوصيري، طبع.

٤٤- مختصر عنوان الشريف بالمولد الشريف لعلي بن ناصر الحجازي، طبع.

٤٥- مختصر الفتح الرحماني في ذكر الصلاة على أشرف الخلائق الإنساني سيدنا محمد المصطفى العدناني وعلى ءاله وأصحابه النجباء البررة الكرام، طبع.

٤٦- المولد الشريف، طبع.

وقد كان شرع في جمع رسالة في:

٤٧- تنزُّه كلام الله عن الحرف والصوت واللغة، خ.

٤٩- جزء في أحاديث نص الحفاظ على صحتها وحسنها، خ.

لكن أدركته المنيّة رحمة الله عليه قبل إتمامِهِ.

هذا ما كان من مؤلفاته، أما ما أملاه من الدروس والرسائل في العقائد والفقه والحديث والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك فكثير جدًّا.

- **سيرته وشمائله:**

الشيخ عبد الله الهرري شديد الورع متواضع صاحب عبادة كثير الذّكر، يشتغل بالعلم والذّكر معًا، زاهد طيّب السريرة، شفوق على الفقراء والمساكين، كثير البر والإحسان، لا تكاد تجد له لحظة إلا وهو يشغلها بقراءة أو ذكر أو تدريس أو وعظ وإرشاد، عارِف بالله، متمسّك بالكتاب والسُّنّة، حاضر الذهن قوي الحجّة ساطع الدليل، حكيم يضع الأمور في مواضعها، شديد النكير على من خالف الشرع، ذو همّة عالية في الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر لا يخاف في الله لومة لائم حتى هابه أهل البدع والضلال وحسدوه ورموه بالأكاذيب والافتراءات بقصد تنفير الناس منه لكن الله يدافع عن الذين ءامنوا.

- **وفاته:**

اشتد عليه المرض فألزمه البيت بضعة أشهر حتى توفاه الله تعالى فجر يوم الثلاثاء في الثاني من شهر رمضان سنة **١٤٢٩**هـ الموافق الثاني من شهر أيلول سنة **٢٠٠٨**ر.

وهذا ما كان من خلاصة ترجمته الجليلة، ولو أردنا بسطها لكلَّت الأقلام عنها وضاقت الصُّحف ولكن فيما ذكرناه كفاية يُستدل بها كما يُستدلّ بالعنوان على ما هو في طيّ الكتاب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمدُ للهِ خَلَقَ الإنسانَ وعَلَّمَهُ البيانَ وأرسَلَ نبيَّهُ ﷺ بالهُدَى والفُرقانِ وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على النَّبِيِّ المعلِّم محمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ القُرَشِيِّ الهاشِمِيِّ القَائِلِ فِيْمَا رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وغَيْرُه **مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لهُ بهِ طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ** اهـ ورَضِيَ اللهُ عَنِ الصَّحَابَةِ والآلِ ومَنْ تَبِعَهُم بإحْسَانٍ مَنْ نَقَلُوا إلَيْنَا الدِّيْنَ واجتَهَدُوا فِى نَشْرِهِ بالسِّنَانِ وبالبَيَانِ.

أمَّا بعدُ فإنَّ مِنَ الأمُورِ المهِمَّةِ نَشْرَ عِلمِ الحالِ بينَ العامَّةِ وتَعليمَهم ما فَرَضَ اللهُ على كُلِّ مُكَلَّفٍ تَعَلُّمَهُ مِنْ عِلْمِ الدِّينِ وقَدْ غَفَلَ عَنِ القِيَامِ بهَذِهِ الفَرِيْضَةِ المؤَكَّدَةِ أكْثَرُ المنْتَسِبِيْنَ إلى العِلْمِ واقْتَصَرُوا على تَفقيهِ طائفةٍ خاصَّةٍ مِمَّنْ يَتَرَدَّدُ إلَيْهِم وقَدْ لَفَتَتْ هذهِ الثَّغرَةُ نَظَرَ شَيْخِنَا الإمَامِ المحَدِّثِ الفَقِيْهِ الأُصُولِيِّ المتَكَلِّمِ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ يُوسُفَ القُرَشِيِّ العَبْدَرِيِّ الشَّيْبِيِّ المشْهُورِ بالهَرَرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى فأقْبَلَ بِكُلِّيَتِهِ يُحَاوِلُ سَدَّهَا واجتَهَدَ إلى مَوْتِهِ رَضِيَ اللهُ عنهُ فِى بَثِّ الفَرْضِ العَيْنِيِّ مِنْ عِلْمِ العَقَائِدِ وفُرُوعِ الفِقْهِ بينَ النَّاسِ صَغِيرِهِم وكَبِيْرِهِم وذَكَرِهِم وأُنْثَاهُم بِلُغَةٍ فَصِيْحَةٍ وَاضِحَةٍ سَهْلَةٍ وبِأُسْلُوبٍ مُشَوِّقٍ لَا يَخْرُجُ معَ ذلكَ إلى تَشْتِيْتِ قَلْبِ

المسْتَمِعِ عَنِ الموضُوعِ الأسَاسِ ولَا إلى إثْقَالِ ذِهْنِهِ بأُمُورٍ كَثِيرَةٍ مُختلِفَةٍ، فعَلَ ذلكَ رَحمهُ اللهُ مِنْ غَيْرِ تَطْوِيْلٍ مُمِلٍّ ولَا تقصِيْرٍ مُخِلٍّ ومَعَ تَضْمِينِ هذهِ الدُّرُوسِ مِنَ التَّحقِيقَاتِ التِى تُشَدُّ بُطُونُ الإبِلِ فِى تحصِيلِهَا فكانَتْ دُرُوسُهُ التِى يُلقِيْهَا فِى المساجِدِ المختَلِفَةِ نُزْهَةً للعَيْنِ ومُتْعَةً للأذُنِ ومَنْفَعَةً للقَلْبِ ونَفَعَ اللهُ بها خَلْقًا لا يُحْصَوْن. وهوَ قَد درجَ فِى ذلكَ على عَادَةِ السَّلَفِ والخَلَفِ فقَد كانَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عنهُمَا يُفَقِّهُ النَّاسَ فِى الضَّرُورِيَّاتِ فِى شَهرِ رَمَضَانَ كُلَّ سَنَةٍ عِندَما كانَ وَالِيًا عَلَى البَصْرَةِ. وكانَتِ العَادَةُ فِى مَدِيْنَةِ هَرَرَ بَلَدِ شَيخِنَا رَحِمَهُ اللهُ وحاضِرَةِ العِلْمِ فِى ذلكَ الوَقْتِ فِى بِلادِ الصُّومَالِ والحَبَشَةِ أنْ يأتِىَ الفَلَّاحُ مِنْ عَمَلِهِ إلى بَيْتِهِ فيَتَنَظَّفَ ويَتطهَّرَ ثم يَقصِدَ المسجِدَ فيَستَمِعَ إلى دُرُوسِ العِلْمِ فيهِ كُلَّ يَومٍ وكانَ فِى هَرَرَ فِى ذلكَ الوَقْتِ تِسْعَةٌ وتِسعُونَ مَسجِدًا يُدَرِّسُ فِى كُلٍّ مِنها عَالِمٌ بينَ المغرِبِ والعِشَاءِ فلَا يَمْضِى على هذا الفَلَّاحِ سِنُونَ حتَّى يَتَخَرَّجَ عالِمًا مِنَ العُلَمَاءِ اهـ

انطِلاقًا مِمَّا تَقَدَّمَ كُنّا قد جَمَعْنَا فِى الجُزْءِ الأول والجزء الثانى دُرُوسًا كانَ أعْطَاهَا شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللهُ فِى مَسَاجدَ مختلِفَةٍ وفِى أوقَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ لِتَكُونَ بِيَدِ المدَرِّسِ مَرْجِعًا يُسَهِّلُ لهُ تعلِيمَ العَامَّةِ ويُسَاعِدُهُ فِى التَّثَبُّتِ وزِيَادَةِ التَّأَكُّدِ ولِتَكونَ فِى الوقْتِ عَيْنِهِ دَلِيلًا للأجْيَالِ عَلَى مَنْهَجِ ذلكَ العَالِمِ المُرْشِدِ. وحَرَصْنَا أنْ نَذْكُرَ فِى بِدَايَةِ كُلِّ دَرْسٍ مَوْضُوعَهُ وكذا مَكَانَ إلقَائِهِ وزَمَانَهُ إنْ عَرَفْنَا وأنْ

نُثْبِتَهُ كَمَا نَقَلَهُ مَنْ سَمِعُوهُ هذا مع العلم بأن هذه الدروس عُرضت على الشيوخ الذين طالت صحبتهم للشيخ الهرريّ رحمه الله فأكدوا أنهم سمعوا منه نحوها. وحَيْثُ إنَّ الجزأين راجَا رواجًا واسِعًا وانْتَفَعَ بهما خَلْقٌ كَثِيرون من مُعَلِّمين ومُتَلَقِّين رَأَيْنا جَمْعَ دُرُوسٍ أُخَرَ لِشَيْخِنا المحدِّثِ العَلاّمَةِ عَلَى مِنْوَال الجزأين فِى جُزْءٍ جَدِيدٍ حَاوٍ لدُرَرٍ مِن المَعَارِفِ الَّتِى يُحْتاجُ إلَى مَعْرِفَتِهَا. نَسْأَلُ المَوْلَى تَعَالَى أنْ يَنْفَعَ به كمَا نَفَعَ بسَابِقِه والله تعالى المُوَفِّقُ.

**إدارةُ الدِّرَاسَاتِ والأبحَاثِ**
**فِى جمعيةِ المشاريعِ الخيريَّةِ الإسلاميةِ فِى لبنان**

**الدرس الأول**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# سيدنا ءادم عليه السلام أبو البشر

درسٌ ألقاهُ المحدّثُ الشيخُ عبدُ الله بنُ محمدٍ الهررىُّ رحمهُ الله تعالى يومَ الجمعة فِى الخامس من شهر صفر سنة أربع وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق للحادِى عشر من شهر تشرين الثانِى سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف رومية فِى مسجد البسطة الفوقا وهو فِى بيان أنَّ سيدنا ءادمَ عليه السلامُ هو أبو البشر. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمةُ وله الفضلُ وله الثناء الحسن وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وصلاة الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى ءاله وأصحابه الطيبين.

أما بعد فإنَّ الله تبارك وتعالى يقول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[1] اللهُ تعالى يُخْبِرُنا فِى هذه الآية أنَّ البشرَ كُلَّهم مِن نَفْسٍ واحدةٍ وأنَّ هذه النفسَ هو ءادمُ عليه السلام، أخبرنا فيها بأنه خَلَقَ مِن ءادمَ

(١) سورة النساء/الآية (١).

زوجَهُ وهِيَ حَوّاءُ ثم أخبرنا بأنَّ البشرَ تناسلوا منهما أى مِن هذه النفس الواحدة وحواءَ التى هِيَ زوجُ هذه النفس الواحدة فليس هناك ءادمُ الذِى هو أصلُ البشر سوى ءادمَ الذِى أسجد الله له الملائكة وكان خَلْقُهُ فِى الجنة، وأما الشىء الذِى خُلِقَ منه ءادمُ فهو ترابٌ وهذا الترابُ جاء فِى الحديث الثابت عن رسول الله ﷺ أنه ترابُ هذه الأرض ثم أخبرنا بأنه فِى بُرهة من الزمن كان طِينًا، أما الماء الذِى عُجِنَ به هذا الترابُ حتى صار طينًا فهو ماءُ الجنة لأن مَلَكًا أُمِرَ بأنْ يَقْبِضَ مِن جميع أجزاء الأرض أبيضِها وأسودِها وما بين ذلك وسَهْلِهَا وحَزْنِهَا وما بين ذلك وصَعِدَ بهذه التربة إلى الجنة ثم عُجِنَ من مائها. أما كيفية خلق زوجه منه أى مِن ءادم فلم يتحدث عنه رسول الله ﷺ تصريحًا إنّما عبدُ الله بنُ عباس رَضِىَ الله عنهما قال إنَّ الله تعالى خلق حواءَ مِن ضِلَعٍ ءادمَ الأيسر اهـ واتفق على ذلك المؤرّخون وعلماء الدين والمحدثون هذا هو القولُ الصحيح وأما مَن حاد عن هذا وقال حواءُ خُلِقَتْ على انفرادٍ بحالها مِن غير أن تكون جزءًا من ءادم فقوله مردود ومع ذلك لا يكفّر لأنه يتأول قوله تعالى جلَّ وعزَّ ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ بأن المعنى أنها خُلِقَتْ مِن جنس ءادم أى على صورة البشر قال أولئك وهم شِرْذِمَةٌ قليلةٌ مِن المفسرّين قالوا معنى أنها خُلقت من ءادم أى من جنس النفس الواحدة التِى هِيَ ءادم أى من حيث الصورةُ أى لم يَخلق له زوجةً على صورةِ غير البشر بل خلق له

زوجًا على صورته، هكذا يقول هؤلاء وهم طائفةٌ قليلة من المفسرين. القول الصحيح هو الأول أى أن حواء خُلقت من ءادم من جسمه بأنْ خَلَقَهَا الله تعالى مِنْ ضِلَعٍ من أضلاع ءادم اليسرى وإلى هذا يُرْشِدُ الحديثُ أن الرسول ﷺ قال **استوصُوا بالنساء خيرًا فإنهن خُلِقْنَ مِن ضِلَعٍ أعوجَ**[١] اهـ وهو وإن لم يكن صريحًا بحيث لا يَقْبَلُ تأويلًا كما قالتْ هذه الطائفة القليلة لكن لا حاجة ولا داعِيَ إلى التأويل لذلك نحن نأخذ بإطلاق ظاهر الحديث فنقول كما قال ابن عباس إنها خُلقت من ضلع من أضلاع ءادم وهو الضلع الأيسر اهـ

ثم بَقِيَ بيانُ كيفية تناسل البشر والطريق فِى ذلك أنَّ حواءَ كانت تَحْمِلُ فِى كلّ بطنٍ ذكرًا وأنثَى، حملت أربعين بطنًا[٢] كلّ بطنٍ خرجَ منه ذكر وأنثى فكان الذكر من هذا البطن يتزوج أنثى من البطن الآخر حتى كَثُروا.

وأما ما يُروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه أن أولاد ءادم كانوا يُزَوَّجُونَ مِن الحُور العِين فجاءتهم هذه الذرية فهذا كذب ملفَّقٌ لا يصح عن جعفرٍ ولا عن غيره، هو قولٌ لا أصلَ له لا يجوز اعتقاده وجعفر

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِى فِى الصَّحِيح عَنْ إِسْحَاقَ بْن نَصْرٍ عَنْ حُسَيْنٍ الجُعْفِى، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِى بَكْر بْن أَبِى شَيْبَةَ عَنْ حُسَيْنٍ.

(٢) قوله (حملت أربعين بطنًا) هذا ما فى قسم من التفاسير وكتب التاريخ وفى كثير منها (عشرين بطنًا) فى كل منها ذكر وأنثى وزيادة على ذلك بطن ولد منه مفرد هو شيث عليه السلام وليس فى ذلك حديث نبوىّ وإنما هو مأخوذ من تواريخ الأمم.

الصادق بَرِيءٌ منه. جعفر الصادق ليس له مُؤَلَّفٌ مُعَيَّنٌ أَلَّفَهُ هو بنفسه أو بطريقة الإملاء، ما لَهُ، كذلك سيدنا عليٌّ رضى الله عنه كذلك الحسنُ والحسينُ كذلك زينُ العابدين وابنُهُ محمدٌ الباقِرُ رضى الله عنهم كلُّهم ما أَلَّفُوا كتابًا واحدًا لا بكتابةٍ بأيديهم ولا بطريق الإملاء إنما عِلْمُهُم منتشرٌ بين أهل السنة مُودَعٌ بطونَ الكُتُب، فِى هذا الكتاب تجد من أقوال سيدنا علىّ رضى الله عنه شيئًا وفِى كتاب ءَاخَرَ شيئًا من كلامه وفِى كتاب ءاخر وهكذا عِلْمُهُ مُفَرَّقٌ فِى بطون الكتب وكذلك عِلْمُ الحسن والحسين مفرق فِى بطون الكتب لم يُجْمَعْ فِى كتاب معيَّن إلا أنَّ فضائلَ علىّ جمعَ أغلبَها أحدُ المحدثين وهو النسائىُّ رحمه الله هذا جمع كتابًا سماه خصائصَ علَىّ ما تَرَكَ مِن فضائل علىّ شيئًا إلا ما نَدَرَ.

وهناك كُتُبٌ أَلَّفَهَا المحدّثون من أهل السنة والجماعة يُكثرون فيها مِن نَقْل فتاوَى علىّ وفتاوى جعفر وفتاوى زين العابدين وغيرِهم من أئمة أهل البيت ككتاب مُصَنَّف عبد الرزاق الصنعانىّ الذِى كان فِى عصرِ مالك بن أنس القرنِ الثانى الهجرى أَلَّفَ كتابًا كبيرًا يُكثِرُ فيه من إيراد فتاوَى علىّ والحسن والحسين وجعفر وزين العابدين علىّ بن الحسين مع ما إلى ذلك مِن أحاديث النبىّ ﷺ التِى يرويها بإسناده إلى النبىّ ﷺ.

فهذه المقالةُ الشاذَّةُ لا وجود لها فِى هذا الكتاب

ولا فِى أمثاله من الكتب التِى أُلِّفَتْ لجمع الكثير من أقوال أئمة أهل البيت وليس بعيدًا على كثير من أفراد البشر أن يكذِبوا على أئمة أهل البيت لأنهم كذَبوا على الرسول ﷺ فكيف بمن بَعْدَهُ.

الذِى يجب اعتقادُهُ أن الله تعالى أخرج من ءادمَ وحواءَ البشرَ كما قال تبارك وتعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴿١٣﴾﴾[1] الشعوبُ جمع شعب والشعب يَجْمَعُ قبائلَ كبيرةً والقبيلة دون الشعب.

هذا هو الشىء الصحيحُ الثابت. وما يُذكر فِى كثير من الكتب من الضعيف الفاسد أنَّ بِلْقيس كانت أُمُّهَا جِنّيَّةً وأبوها كان مِن أبناء الملوك فهذا غيرُ صحيح أيضًا. لم يثبت أنه يحصل تناسل بين الإنس والجن ولو كان كثيرٌ من الناس يتحدثون أنه تزوجَ فلانٌ جنيةً فَوُلِدَ منها أولادٌ وأنَّ فلانةَ مِن الإنس تزوجَها جِنّيٌّ فوُلِدَ منها أولادٌ هذه حكاياتٌ لا تَثْبُتُ، ليس لها ثبوتٌ.

أما ما يقال إنه كان قبل ءادم الذِى هو نبىٌّ من أنبياء الله أوادِمُ كثيرٌ حتى قال بعضُ المُحَرّفِينَ إنه كان قبل ءادمَ مائةُ ألف ءادمَ فهذا مِن أَصْرَح الكذب وأَبْعَدِه عن الحقيقة، هذا بعيدٌ مِن الحقيقة بُعْدًا كبيرًا، بعضُ الكتب تَذْكُرُ هذا لكن هذه الكتب لا اعتماد عليها بعيدة عن الصواب بالمَرَّة يذكرون هذا الكلام ويذكرون ما يشبهه.

(١) سورة الحجرات/ الآية (١٣).

الحذرَ الحذرَ مِن الاعتماد على ما يقعُ فِى أيدِى الواحد مِنَّا مِن مؤلَّفات هذا العصر أو مؤلفات ما قبل هذا العصر مما فيه التحريف فإن كثيرًا مِن المؤلَّفات مشحونةٌ بالأكاذِيب، فالسلامةُ والخيرُ فِى الاشتغال بمؤلفات العلماء المُعْتمَدِينَ والاقتصار عليها ثم بَعْدَ التمكُّن بها وقوة التمييز إذا طالع الشخصُ فِى مؤلف من المؤلفات الشهيرة أو غير الشهيرة فلا بأس عليه لأنه صار فِى نفسه معرفةٌ تَجْعَلُهُ يُمَيّزُ بها بينَ ما يَصِحُّ وما لا يَصِحُّ.

فإذا قيل إنَّ هذه الآيةَ ما صرَّحت بأن هذه النفسَ هِىَ ءادمُ فكيف فُسّرَتْ بآدم وذلك بإجماع المفسرين قيل بيانُ ذلك من رسول الله ﷺ فإنه ذكر ما يُبَيّنُ ذلك كما فِى حديث الشفاعة المشهور، فِى هذا الحديث المشهور وهو صحيحٌ ثابتٌ أنَّ البشرَ أى المؤمنين منهم يأتُونَ يومَ القيامة إلى ءادمَ فيقولون له يا ءادمُ أنت أبو البشر اهـ هو الرسولُ أَخْبَرَ أنهم يأتون يوم القيامة إلى ءادم فيقولون له يا ءادم أنت أبو البشر خلقك بيده وأسجدَ لك الملائكةَ فاشفع لنا إلى ربك[1] اهـ سيدُنا محمدٌ ﷺ أخبرنا بأنَّ البشرَ يأتون يومَ القيامة إلى ءادمَ فيقولون يا ءادمُ أنت أبو البشر مِن هذا الحديث وأمثالِه عَرَفْنَا تفسيرَ قولِه تعالى ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ عرفنا أنَّ هذه النفسَ الواحدةَ هِىَ ءادمُ عليه

(١) رواه البخارى فى صحيحه باب قوله ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾.

السلام ومرادهم بهذه الشفاعةِ هِيَ الشفاعةُ للخلاص مِن طُول الوقوف من دون أنْ يُقْضَى بين العباد، ثم ءادمُ عليه السلام يَعْتَذِرُ لهم ويُحِيلُهُم إلى نوحٍ ثم نوحٌ أيضًا يعتذِرُ ويُحيلهم إلى موسى ثم موسى عليه السلام يعتذر ويُحِيلُهُم إلى عيسى ثم عيسى أيضًا يعتذِرُ ويُحيلُهم إلى محمدٍ صلوات الله عليهم جميعًا فيشفعُ لهم سيدُنا محمدٌ ﷺ. فِى صحيح البخارِىّ أنَّ النبىّ ﷺ قال **إنَّ الشمسَ تَدْنُو يومَ القيامَة فَبَيْنَمَا هم كذلك إذِ اسْتَغَاثُوا بآدمَ**[1] اهـ إلى ءَاخِر الحديث، فاستغاثتُهم فِى هذه الحالة هِيَ استشفاعُهم بآدم هِيَ طلبُهم الشفاعة من ءادم إلى الله تعالى لِيُغَيّرَ حالتَهم التِى تَحَصَّلَ منها مِن الشّدَّة ما تَحَصَّلَ وهِيَ شِدَّةُ حَرّ الشمس لأنها تدنو مِن رؤوس الناس يومَ القيامة ليست مُسْتَقِرَّةً فِى فَلَكِهَا الذِى تسير فيه اليومَ وهذا الفَلَكُ مدارٌ جعله اللهُ تعالى للشمس تدور فيه، ذلك اليومَ تخالِفُ فيه ذلك الفلكَ ذلك المدارَ تَقْتَرِبُ مِن رؤوس الناس فيشتدُّ حَرُّ الشمس على الناس يتضايقون. فَطَلَبُهُمْ هذا يُسَمَّى استغاثةً يُسَمَّى تَشَفُّعًا اسْتِشْفَاعًا فالاستغاثة بالمخلوق جائزةٌ بنصّ هذا الحديث.

وهؤلاء الذين يتأذَّون يوم القيامة مِن حرّ الشمس هم غيرُ المؤمنين الذين خَصَّهُمُ الله تعالى بأنْ أَظَلَّهُم فِى ظِلّه أى ظِلّ العرش أولئك أُناسٌ مَخْصُوصُونَ من

(١) رواه البخارى فِى صحيحه بَابُ مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّرًا.

المؤمنين، أولئك لا يصيبُهم شيءٌ مِن الأذى مِن حرّ الشمس يومَ القيامة، أولئك ءامنون مِن الفَزَع الأكبر مِن جميع أهوال يوم القيامة، مِن أولئك الناس المُتَحابُّونَ فِى الله تبارك وتعالى الذين لم يَكُنْ تَحابُّهُم مِن أجل المال ولا مِن أجل القرابة ولا من أجل الصداقة بل كان تحابُّهم لله تعالى، جَعَلَنَا اللهُ منهم.

وسبحانَ الله والحمدُ لله ربّ العالمين. انتَهَى.

والله أعلم.



**الدرس الثانِى**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# شرط صحة الأعمال وقبولِها موافقةُ الشريعة وذلك يكون بتعلم العلم

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد الهررىّ رحمه الله تعالى فِى الثالث من شهر جُمادى الأولى سنة سبع وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة الموافق للثانى والعشرين من شهر نيسان سنة سبع وسبعين وتسعمائة وألف رومية فِى بيروت وهو فِى بيان أن شرط صحة الأعمال وقبولها موافقة الشريعة وذلك إنما يكون بتعلم علم الدين. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أما بعد فإن أحسنَ الهَدْىِ هَدْىُ محمد وشرَّ الأمور محدثاتُها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

وروينا بالإسناد المتصل فِى صحيح الإمام أبِى عبد الله البخارىّ وصحيح الإمام مسلم بن الحجاج رحمهما الله تعالى أنَّ رسول الله ﷺ قال **مَن أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا هذا ما لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**[1] اهـ أى أنَّ الله

(١) رواه البخارىّ فى صحيحه بَابُ إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ=

تبارك وتعالى لا يَقْبَلُ عملًا يخالف ما جاء به رسولُ الله ﷺ أى أنَّ كلَّ عملٍ يعمله العبدُ على خلاف تعاليم رسول الله فهو رَدٌّ أى غيرُ مقبولٍ عند الله أى ليس فيه ثواب. لذلك قال الإمام الحسن البصرِىُّ رضى الله عنه عَمَلٌ قليلٌ فِى سُنَّةٍ خيرٌ مِن كثيرٍ فِى بِدْعَةٍ[1] اهـ أى أنَّ العمل الذِى يوافقُ ما جاءَ به رسولُ الله ﷺ القليلُ منه خيرٌ لك مِن عملٍ كثيرٍ فِى بدعةٍ أى مما يخالف ما جاء به الرسول ﷺ، العملُ القليلُ الذِى يوافق ما جاء به الرسولُ أى تعاليمَ رسول الله ﷺ فهو خيرٌ مِن عملٍ كثيرٍ يخالف ما جاء به رسول الله فقد يعمل الإنسان عملًا كثيرًا لكنه مخالف لما جاء به الرسول ﷺ أى لا يوافق تعاليمَ رسول الله ﷺ التِى جاء بها فيكونُ ذلك العملُ الكثيرُ صاحبُهُ كأنه لم يعملْ وأما مَن عَمِلَ عملًا يوافق تعاليمَ رسول الله مهما كان قليلًا فهو مقبول. مثال ذلك أن الإنسانَ قد يُصَلّى صلاةً غيرَ مُسْتَوْفِيةِ الشروط وقد يصومُ صيامًا غيرَ مستوفِى الشروط أى على خلاف تعاليم الرسول ﷺ ويكون هذا الإنسانُ يظنُّ أنه عَمِلَ عملًا كبيرًا يظن أنه له أجرٌ كبيرٌ فِى عمله هذا وهو فِى الحقيقة ليس له شىءٌ مِن الثواب فِى هذا العمل الكثير الذِى عمله.

---

= فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ ورواه مسلم فى صحيحه باب نقض الأحكام الباطلة وردّ محدثات الأمور.

(١) أخرجه عن الحسن من قوله البيهقىُّ فِى شعب الإيمان ورواه كثيرون عن الحسن مرسلًا مرفوعًا.

ومثالٌ ءَاخَرُ أن بعض الناس يَحُجُّونَ ثم بعد أن يدخلوا مكة ويقفوا بعرفاتٍ يستعجلون للرجوع إلى بلادهم فيرجعون دون أن يطوفوا طوافَ الفرض، هذا الطوافُ طوافُ الفرض لا يصح الحج بدونه. الذِى لا يعلم أحكامَ الشريعة الذِى لا يعلم ما قالَ رسولُ الله ﷺ يظنُّ أنه قد حَجَّ حَجًّا صحيحًا لأنه يظنُّ أن طوافَه الذِى طافَهُ أَولَ ما دخل مكة يكفيه مع الوقوف بعرفة ومع رَمْى الجمار ولا يدرِى أنَّ حجه لا يصح إلا بالطواف الذِى يطوفه الحاجُّ بعد الوقوف بعرفةَ أى بعد نصف ليلة العيد، مِن جهلِه وعدم معرفتِه بما جاء به الرسول يظن أن حجَّه صَحَّ وهو لم يصحَّ ثم يرجع إلى بلاده ويظن أن حجه تمَّ. أمثالُ هذا ليس لهم حجٌّ بل هؤلاءِ لو رجعوا إلى بلادهم فرضٌ عليهم أن يرجعوا إلى مكةَ ويطوفوا بالكعبة طوافًا شرعيًّا، وهؤلاء لو ذَبحوا من الذبائح العدد الكثيرَ لا يكفيهم ولا ينزل الإحرامُ عن رقابهم، وإن كانوا متزوجين حرام عليهم أن يجامعوا أزواجهم إلى أن يرجعوا إلى مكةَ ويطوفوا طواف الفرض، حرام على أحدهم أن يجامع زوجته لأن الإحرامَ بعدُ باقٍ على ذِمَّتِه ولا يَخْرُجُ من الإحرام إلا بعد أن يأتِىَ بالطواف فمهما كان بلدُه بعيدًا يجبُ عليه أن يرجعَ إلى مكةَ فيطوفَ طوافَ الفرض.

يوجد رجل ذو ثروة ليس من الفقراء يستطيع أنْ يَحُجَّ عشرَ حجاتٍ، يستطيع أنْ يَحُجَّ كلَّ سنةٍ، ذهبَ مرةً واحدة ثم رجع من غير أن يطوفَ طوافَ الفرض وقد مضى عليه نحو عشر سنوات منذ رجعَ من الحج

فنصحَه بعضُ الإخوان قال له عليك أن ترجع فتطوفَ طوافَ الفرض فلم يسمعِ النصيحة وهو يعيش كما يعيش سائرُ الناس. لا يحِلُّ للحاجّ أن يجامعَ زوجتَه إلا بعدَ أن يطوفَ الفرضَ فهذا الإنسان لم يَتَّق ربَّه فاستعجل بالرجوع إلى بلده أَمَرَتْهُ نَفْسُهُ الأمَّارةُ بالسوء أن يستعجل ويرجع إلى بلده قبل أن يطوف طوافَ الفرض فأطاعَها وهو إنسانٌ متزوجٌ أيضًا. العياذُ بالله هكذا يفعلُ الذِى لا يتعلَّمُ أحكامَ شريعة الله يَتَخَبَّطُ بالحرام والمعاصِى مِن جَهْلِه بأمور الدين، هذا الإنسان كلَّما جامع زوجته يُكْتَبُ عليه ذنبٌ وما دون الجماع مِن التمتُّع فهو عليه حرامٌ ليس الجماعُ فقط بل كلُّ تمتع يتمتّعه بزوجته فإنه حرام عليه، وهذا الصنف كثيرٌ نحن الذين عَرَفْنَاهُ شخصٌ واحدٌ ويكونُ هناك فِى خلق الله تعالى كثيرٌ.

وهكذا كثيرٌ من الناس يُفسدون صلواتهم بعدم تعلمهم أمورَ الدين، بعدم تعلُّمهم كيف تصحُّ الصلاة وكيف يصح الصيامُ وكيف يصح الحجُّ يقعون فِى المحرمات. بعضُ الناس يمرضون فيكون الماءُ يزيدُ مرضَهم فيقولون نَتَيَمَّمُ لنا رخصةٌ بالتيمم ولا يعرفون كيف يصحُّ التيممُ كيف يكون التيممُ الذِى أحلَّ اللهُ الصلاةَ به بَدَلَ الوضوء أو بَدَلَ الغُسْل لِمَن كان جُنُبًا لا يدرِى معنى التيمُّم الذِى يُبِيحُ الصلاةَ. يسمع من بعض الجاهلين أن التيممَ يصح بضرب اليد على الكَنَبَايَة أو على هذا السجّاد الذِى لا تَرَى عليه ترابًا فيفعل ويَظُنُّ أنَّ تيممه صحيحٌ فَيُصَلّى وهو بهذه الحال

أَشْهُرًا فيكون ضَيَّعَ صلاتَهُ ولم تبرأ ذمتُه عندَ الله ويستحق عذابًا أليمًا يكون كأنه لم يُصَلّ بالمرة لأنَّ التيممَ الذِى أَحَلَّهُ الله تعالى للمريض ولِفَاقِد الماء إنما هو أنْ يضرب الإنسانُ بيده على تراب حَقِيقِىّ طاهرٍ، وفِى بعض المذاهب يكفِى الحجرُ فلو وضع يده على حجرٍ طاهرٍ ثم مسحَ وجهَه مع نية استباحة الصلاة ثم ضربَ ثم مسح يديه صحَّ تيممه أما هؤلاء لا تيمموا بالتراب ولا تيمموا بالحجر فصلاتهم فاسدة. إنما يجوز التيمم لو كان على السجادة تراب ظاهرٌ كبعض بلاد الجزيرة العربية فإن الريح تنقلُ التراب الحقيقىَّ الملموسَ على أثاث المنازل على السجادات والحُصُر وغير ذلك فيكون التراب محسوسًا ظاهِرًا للعِيان مشاهَدًا بالبصر فهناك يجوز التيممُ بالتراب الذِى تَكَوَّمَ على السجادة أو على الكنباية أو على الحُصُر على أىّ شىءٍ إذا كان هذا الترابُ طاهرًا. هذا هو التيمم الذِى رَخَّصَ الله تعالى الصلاةَ به لو كان جُنُبًا. هذا التيمم هو التيمم الشرعىُّ الصحيح الذِى يبيحُ الصلاةَ وأما هؤلاء الجاهلون فيضربونَ على مثل هذا السجاد الذِى إذا ضَرَبْتَ يدَك عليه ثم رفعتَ يدكَ لا ترى الترابَ على يدك هؤلاء تَيَمُّمُهم فاسدٌ وصلاتُهم فاسدة ويستحقون عذاب الله ولا يكونُ جهلُهم بأحكام دين الله عُذْرًا لهم يوم القيامة. الله تبارك وتعالى بعث الأنبياء وجعل ءاخرَهم محمّدًا صلى الله عليه وعليهم ثم خَلَفَ العلماءُ النبىَّ ﷺ فمَن أهمل تعلمَ أمور الدين مَن أهمل تعلم أحكام الصلاة فصلاها على غير وجهها

لا عذر له يوم القيامة.

كذلك كثيرٌ مِن الناس يكونون بحالةٍ يستطيعون أن يسجُدوا بوضع جباههم على الأرض لكنهم لمجرد ألم خفيفٍ الواحدُ منهم يجلس على الكرسيّ ويُشيرُ برأسه ولقد رأيتُ رجلًا هنا فِى بيروت شديدًا فِى عمل الدنيا لكنه إذا قام للصلاة يجلسُ على الكرسيّ فينحنِى وهو يستطيع أن يضع جبهته بالأرض. هو هذا الإنسانُ يقوم بعملٍ يدير عمل البناء وهو بنفسه يتجولُ يذهبُ إلى هنا ويذهب إلى هنا ويذهب إلى هنا ويرتب أمور البناء. لأمور دنياه صحيحُ الجسم أما لأمر الصلاة فهو عاجزٌ مريضٌ هذا مِن نتيجة الجهل الوَخِيمَة.

الجهلُ نتائجُهُ وَخِيمَةٌ. وكذلك الذِى يُحَلّلُ ويُحَرّمُ بدون علم كذلك نتيجتُهُ وخيمةٌ الله تبارك وتعالى يسأل الذِى لم يتعلم يسأله يومَ القيامة لِمَ لَمْ يتعلمْ أمورَ الدين ويَسأل الذِى تَعَلَّمَ ثم أَهْمَلَ وَحَرَّفَ وَبَدَّلَ مِن أجل المنافع الدنيوية وَكِلَا الفريقين يستحقُّ عذابَ الله تعالى لذلك دعا رسولُ الله ﷺ على أُناسٍ كانوا فِى سَفَرٍ، كانَ جماعةٌ فِى سَفَرٍ فِى وقتٍ شديد البَرْد وكان أحدُهم بِرَأْسِه شَجَّةٌ فأصابه احتلامٌ وكانت الليلةُ شديدةَ البرد فسأل هذا الرجلُ أصحابَهُ ولم يكونوا من أهل العلم قالوا له اغتسل فاغتسلَ فماتَ لمَّا اغتسل وهو مصابٌ بهذه الشجة فِى رأسه وكان الوقتُ وقتَ شِدَّة البرد وبَرْدُ الحِجاز صعبٌ أشدُّ مِن بَرْد هذه البلاد، ماتَ دخلَ الماءُ فِى جُرْحِه فمات فأُخْبِرَ رسولُ الله ﷺ

بقصته فقال رسول الله ﷺ **قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ**[١] اهـ دعا عليهم الرسولُ ﷺ لأنهم اسْتَحَقُّوا أنْ يَدْعُوَ عليهم لأنهم أَفْتَوْا بغير علم وقال **إنما كان يكفيه التيمم** اهـ الصعيدُ الطيبُ وَضوءُ المسلم[٢] أى إن الترابَ الطَّهُورَ يقوم مقامَ الوَضوء فهؤلاء الذين أَفْتَوْهُ بالاغتسال وهو فِى هذه الحال هم السببُ فِى هلاك هذا الرجل حيثُ إنهم أَفْتَوْهُ بالاغتسال وقد جَعَلَ اللهُ تعالى له رخصةً بالتيمم، قال الرسول ﷺ **إنما كان يكفيه أنْ يتيمم** كان يكفيه أنْ يَعْصِبَ على شجته شيئًا حائلًا ثم يَبُلَّ يده بماء ثم يمسحَ فوق الشجة فوق الحائل الذِى على الشجة ويتيمم أما بالنسبة إلى سائر جسده فإنَّه إنْ سَخَّنَ الماء فغسل جسمه الصحيح الذِى ليس به عِلَّةٌ ما كان يُهْلِكُهُ هذا الاغتسالُ الذِى اغتسلَهُ بالماء الساخن فِى غير محل الشجة كان يكفيه المسحُ على محَلّ الشجة فوق الشجة من دون أنْ يَدْخُلَهُ الماءُ من دون أن يَدْخُلَ الماءُ الشجةَ ويتيممُ ويغسلُ الجسدَ الصحيحَ بالماء الساخن. أما هو الرجل الذِى اغتسل فماتَ لم يَدْعُ عليه رسولُ الله ﷺ لأنه ما كان يظنُّ أنه إن اغتسلَ يكونُ فِى هذا الاغتسال هلاكُهُ ظنَّ أنه لا يَحْصُلُ له هلاكٌ لذلك ما دعا عليه إنما دعا على الذين أَفْتَوْهُ بالاغتسال ولم يقولوا له ضع على محلّ الشجة رِباطًا ثم اغتسِلْ بالماء الساخن فِى غير محل الشجة من محل الصحيح من جسدك ثم بُلَّ يَدَكَ

(١) رواه أبو داود فى سننه باب فى المجروح يتيمم.
(٢) رواه البزار وصححه ابن القطان.

وامسح فوق محل الشجة هكذا وتيمم فِى وجهك ويديك مع معرفتهم بأن دخولَ الماء فِى جرحه شديدُ الضرر له. هو التيمم للجُنب ولغير الجنب إنما يكون فِى الوجه واليدين أما الوجهُ فكلُّ الوجه مِن عند منابت شعر الرأس إلى هنا[١] فيمسح هكذا وأما اليدان ففِى بعض المذاهب يمسحهما إلى المرفقين وفِى بعض المذاهب يمسح الكفين فقط هذا كان يكفيه لكنَّ رفقاءَهُ هؤلاء أهلكوه، أفتَوه بغير علم فأهلكُوه فاستحقُّوا عذابًا لأن الذِى يُفْتِى الإنسانَ فتوى غيرَ شرعيةٍ عليه ذنبٌ. قال عليه الصلاة والسلام فِى بعض روايات هذا الحديث **قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ ألا سَأَلُوا إذْ جَهِلُوا وَإنَّمَا شِفَاءُ العِىّ السؤالُ**[٢] اهـ هلّا سألوا إذ جهلوا المعنى أنَّ هؤلاء كانوا جاهلين فليس لهم حقٌّ أنْ يُفْتُوا للناس مع جهلِهم إنما يُفْتِى مَن هو مِن أهل العِلم أما الجُهَّالُ ليس لهم أن يفتُوا. **ألا سألوا إذْ جَهِلُوا**، لماذا لم يسألوا أهلَ العلم حيث إنهم جاهلون، لماذا لم يسألوا أهل العلم، **وإنما شفاءُ العِىّ السؤالُ** شِفاءُ الجَهْل هو السؤالُ الإنسانُ الذِى يَجْهَلُ شفاؤُه ودواؤُه أن يسألَ أهلَ العلم ليس أن يتصرفَ على حسب وهمِه لذلك دعا عليهم الرسول بقولِه **قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ ألا سَأَلُوا إذْ جَهِلُوا وَإنَّمَا شِفَاءُ العِىّ السؤالُ** اهـ دعا عليهم بأنْ يُهْلِكَهُمُ الله تعالى حيث إنهم أفتَوا بغير علم ولم

(١) وأشار إلى أسفل الذقن.

(٢) رواه أبو داود فى باب المجروح يتيمم.

يَرجِعوا إلى أهل العلـم ولـم يقولوا للرجل نسألُ لك أهلَ العلـم نحن لا نعلـم أن نُفتيَك، ما قالوا له بل أفتَوه بـما فيه هلاكُهُ.

كذلك قد يكون الإنسانُ لا يدرِى أحكامَ الشرع لـم يتعلَّمْ ما أحلَّ اللهُ وما حَرَّمَ اللهُ مِن الـمال فَجَمَعَ مِن الـمال الـحرام أو جَمَعَ مِن الـحلال والـحرام خَلَطَ الـحلالَ والـحرامَ ثم اتَّخَذَهُ زادًا لِحَجّه فهذا الإنسانُ إن أتـمَّ الأركانَ والشروطَ إنْ حجَّ على حسب شروط الـحج وأركان الـحج ولـم يترك شيئًا مِن أعمال الـحج الضرورية لكنه أنفق على نفسه من هذا الـمال الـحرام فإنَّ تَعَبَهُ كلَّه ليس فيه ثوابٌ إنـما ثوابه الـمشقةُ التِى أَكَلَهَا، ليس له ثواب عند الله فِى الآخرة ولا يكون حَجُّهُ هذا حَجًّا يُكَفّرُ الذنوبَ أى يهدِمُ الذنوبَ لأنَّ الـحَجَّ الصحيـحَ الـموافقَ لتعاليم الرسول ﷺ الذِى يكون بنيةٍ صحيـحةٍ خالصةٍ لوجه الله ويكونُ الـمالُ الذِى يُنْفِقُهُ على نفسه فِى سفر حَجّه مِن الـمال الـحلال هذا يَهْدِمُ الذنوب التِى قبلَه لكن هذا الذِى حجَّ من هذا الـمال الـحرام لا يهدم له حَجُّهُ معصيةً واحدةً لا يُكَفّرُ له معصيةً واحدةً وفوق ذلك ليس له ذَرَّةٌ مِن الثواب.

وهذا الذِى ذكرناه قليلٌ مِن كثير مِن هذا الصنف مِن الناس. ذَكَرَ لِى رجلٌ فِى مكةَ مِن أهل الشام كنتُ أَعْرِفُهُ فِى الشام كان يَتَظاهَرُ بالفقر الشديد وله مِلْكٌ إذا اسْتَغَلَّهُ تَكْفِيه غَلَّتُهُ، يَتَظاهَرُ بالفقر وَيَسْكُنُ مكانًا مِن الأوقاف وَقَفَهُ الناسُ الـمتقدمون من أهل الـخير بناءً

لِسُكْنَى العَجَزَة والـمقطوعينَ، هذا الرجلُ كان يُخْفِى مالَهُ وأَخَذَ رُخْصَةً مِن الأوقاف لِيَسْكُنَ فِى هذا الوَقْف وَظَلَّ يَسْكُنُ هناك، لـمَّا رأيتُهُ فِى الـحَجّ ورأيتُهُ فِى الـمدينة عند الرسول قال لى أنا كنتُ أَدُورُ على الدكاكين أَسْتَرْحِمُ الناسَ فَجَمَعْتُ مِن هذا الـمال فَجِئْتُ إلى الـحَجّ وَلِى دارٌ أُؤْجِرُهَا قلتُ له هذا الـمالُ الذِى أَعْطَوْكَ هم أَعْطَوْكَ على ظَنّ أنَّك فقيرٌ مُعْدِمٌ على ظَنّ أنْ ليس لك مالٌ فهذا الـحجُّ الذِى حَجَجْتَهُ بهذا الـمال ليس لك فيه ثواب ويـجب عليك أنْ تَدُورَ على أولئك الذين تصدَّقوا عليك وتَرُدَّ لهم ما أخذتَ منهم. ثمَّ الرجلُ بـحسب الظاهر ما أَنْكَرَ أمّا بالنسبة لِمَا فِى قلبه فاللهُ أعلـم هل هو كان مُصَمّمًا على أن يتوب أم لا. عِلْمُهُ عند الله. هكذا بعضُ الناس يقعون فِى المعاصِى الكبيرة يأخذونَ الـمالَ الـمُحَرَّمَ ويُنفِقونه على أنفسهم فِى سفر الـحجّ. الذِى يأخذ الـمال الذِى لا يستحقُّهُ من الناس يتظاهرُ بالفقر فيرحمُهُ الناسُ ويَعْطِفُونَ عليه فَيُعْطُونَهُ ثم هو عنده مالٌ يكفيه لكنَّه يُخْفِيه هذا يستحقُّ عذابًا أليمًا فِى الآخرة. كان فِى زمن الرسول ﷺ رجلٌ فقيرٌ بِحَسَب الظاهِر وكان يأوِى إلى مكانٍ فِى مسجد الرسول فِى أواخِر المسجد ثم تُوُفِّى هذا الرجلُ فَظَهَرَ معَهُ ديناران فأُخْبِرَ رسولُ الله ﷺ فقيل له إنه وُجِدَ معه ديناران ذهبًا فقال رسول الله ﷺ **كَيَّتَان بِالنَّار**[1] اهـ

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه فِى ذكر خبرٍ أوهم من لم يُحكم صناعة الحديث أن النار تجب لمن مات وخلَّف الصفراء.

معناه أن هذا الرجل أخفَى حقيقةَ حاله وشارك الفقراء الـمُعدِمين فَعَطَفَ الناسُ عليه فَأَعطَوْهُ على ظَنّ أنه فقيرٌ مُعْدِمٌ، ما أَعْطَوْهُ مع العلـم بِحَقِيقَة حالِـه فهو يستحِقُّ كَيَّتَيْن فِى الآخرة بنار جهنـم أىْ أن هذين الدينارين اللذين كان يـخفِيهما ويتظاهرُ بالفقر ويشاركُ الفقراءَ الـمُعْدِمِينَ يستحق بهما أن يُكْوَى بنار جهنم. وهكذا كلُّ مَن يُوهِمُ الناس أنه بصفةٍ من الصفات فيظنونَ الخيرَ فيَعطِفُونَ عليه فَيَجْمَعُ مِن ذلك مالًا على هذا الوجه فإنَّ ذلك المالَ يكونُ وَبَالًا عليه فِى الآخرة وهذا حالُ كثيرٍ من الفقراء، المالُ الذِى يكفيهم عندهم ويتظاهرُون بمظهر الفقر الشديد فيعطف الناس عليهم فيكون ذلك المالُ الذِى يأخذونه من الناس على وجه الصدقة والإحسان حرامًا عليهم وعذابًا فِى الآخرة.

روينا فِى الحديث الصحيح من صحيح البخارىّ رحمه الله أن خَوْلَةَ الأَنصاريةَ وهِىَ امرأةٌ كانت من الصحابيات بين النساء المؤمنات اللاّتِى كُنَّ رَأَيْنَ رسولَ الله ﷺ وَسَمِعْنَ حديثَهُ قالت رضى الله عنها قال رسول الله ﷺ **إنَّ رِجالًا يَتَخَوَّضُون فِى مال الله بغير حَقّ فَلَهُمُ النارُ يومَ القيامة**[1] اهـ هذا الحديثُ فيه تهديدٌ ووعيدٌ شديدٌ للذين يأكلون مال الله بغير حق. وكلُّ ما فِى أيدِى العباد فهو مالُ الله تعالى لأن الله تبارك وتعالى مالِكُ العباد ومالِكُ ما مَلَّكَهُم، نحن وما

(١) رواه البخارى فِى صحيحه بَابُ قَوْل اللَّه تَعَالَى ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴿٤١﴾﴾.

نَمْلِكُهُ مِلْكٌ لله تعالى نحن خَلْقُهُ والأموالُ التِى فِى أيدينا مالُهُ فَلْيَحْذَر الإنسانُ أنْ يَجْمَعَ مالًا مِن حرامٍ ثم يُنْفِقَ منه على نفسه فقد روينا فِى جامع الترمذِىّ رحمه الله مِن حديث أنس بن مالك رضى الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال **لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ عَنْ عُمرِه فِيمَ أَفْنَاهُ وَعَنْ جِسْمِه فِيمَ أَبْلَاهُ وَعَنْ مالِهِ مِن أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ عِلْمِه ماذا عَمِلَ فِيه**[1] انتَهَى.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



(١) رواه الترمذى فِى سننه باب فى القيامة.

**الدرس الثالث**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# العبادة فِى الهَرْج ثوابها عظيم

درس ألقاه المحدثُ الصوفِى الشيخُ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى الحادِى عشر من شهر المحرّم سنة أربع وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق للثامن عشر من شهر تشرين الأول سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف رومية فِى مجلس للنساء وهو فِى شرح حديث **العبادةُ فِى الهَرْج كَهِجْرَةٍ إِلَىَّ**. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النّعْمَةُ وله الفضل وله الثناء الحسن صلواتُ الله البَرّ الرحيم والملائكة الُمقرَّبين على أشرف المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمدٍ شفيع يوم الدّين.

هذا الحديث أوصيكُنَّ به أن تَحْفَظَهُ كُلُّ واحدةٍ منكن. قال ﷺ **ليس الشديدُ مَن غَلَبَ الناسَ لكن الشديد مَن غَلَبَ نَفْسَهُ**[1] اهـ فعلينا أن نَكْسِرَ شياطِينَنَا لأنَّ الشيطانَ يَحُثُّ الإنسانَ على أن يكون هو الغالبَ

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه باب ذِكْر الإخبَار بأنَّ الشَّدِيدَ الذِى غَلَبَ نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهَوَات والوَسَاوِس لا مَنْ غَلَبَ النَّاسَ بِلِسَانِه.

إذا خاصَمَ أو شاجر إنسانًا يقول له كن أنت الغالبَ لا تكن أنت المغلوب، فالخيرُ للإنسان أن يخالفَ شيطانَهُ وهَوَى نفسِه، ومَن خالف شيطانَهُ وخالف هَوَى نفسِه فقد أفلح عند الله تبارك وتعالى. هؤلاء الأولياءُ ما صاروا أولياءَ إلا بمخالفة النفس. كان أحدُ الأولياء واقفًا بين السماء والأرض مُتَرَبّعًا فقال له شخص أسألك بحقّ الحَقّ بِمَ نِلْتَ هذا المَقامَ قال بمخالفة الهوى اهـ

الذِى يخالف الهوى يطيع اللهَ تبارك تعالى فيؤدّى ما افترض الله عليه فِى جميع الحالات فِى حال الرضا وفِى حال العُسْر وفِى حال اليُسْر فيقومُ بطاعة الله تعالى كالصلوات الخمس فإنَّ العبد التقِىَّ يُقِيمُها إن كان فِى حال اليُسْر وإن كان فِى حال العُسْر. الرسولُ ﷺ قال **العبادةُ فِى الهَرْج كهِجْرةٍ إلَىَّ**[1] اهـ معنى الحديث أنَّ الذِى يطيع الله تبارك وتعالى ولا يعصيه يُؤَدّى فرائضَ الله ولا يعصيه بترك فريضة ولا باقتراف معصيةٍ يطيع اللهَ يؤدّى ما فرض عليه ويجتنبُ ما حرَّم عليه فِى حال الهَرْج أى القتلِ الكثيرِ، لما يكثرُ القتل كثيرٌ من الناس يُضَيّعُونَ الفرائضَ وكثيرٌ من الناس يَلْجَأُون إلى ارتكاب معاصٍ حرَّمَها الله تعالى، فالرسولُ ﷺ يقولُ الذِى يَثْبُتُ على عبادة الله تعالى أى على تَقْوَى الله أى يؤدّى فرائضَ الله من صلاة وغيرِ ذلك ويجتنب ما حرَّمَ الله فِى أيام الـهَرْج أى فِى

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب فضل العبادة فى الهرج.

الأيام التِى يكثُر فيها القتلُ والخوفُ والفَزَعُ والقَلَقُ هو كالمهاجرِ إلىَّ أى كأنه تَرَكَ بلدَهُ لوجه الله تعالى لما كانت الهجرةُ إلى النبىّ فرضًا لما كان على المسلمين فرضًا أن يتركوا بلادهم ويهاجروا إلى رسول الله إلى المدينة، وذلك أنه بعد أن هاجر الرسول إلى المدينة فَرَضَ الله تعالى على مَن استطاعَ مِن المسلمين مَن كان منهم بمكة أو غير ذلك أن يترك بلده ويَنْزَوِىَ إلى المدينة، لماذا لأنَّ فِى ذلك مُؤَازَرَةً للنبىّ ﷺ على تبليغ دعوة ربّه وتأييدًا.

قال الرسولُ عليه السلام الذِى يَلْتَزِمُ العبادةَ أى تَقْوَى الله تعالى فِى أيام الهَرْج أى فِى الأيام التِى يَكْثُرُ فيها القتلُ والقَلَقُ والفَزَعُ والخوفُ كأنه مُهاجِرٌ إلَىَّ أى كأنه تَرَكَ بَلَدَهُ لله حُبًّا بالله ورسوله. هذا عند الله أجرُهُ عظيمٌ عظيمٌ عظيمٌ حتى إنَّ رجلًا من هؤلاء الذين تركوا بلادَهم حين كانت الهجرة فرضًا وانزوَوا إلى المدينة مَرِضَ مرضًا شديدًا فجَزِع من شدة الألم وقَلِقَ فأخذ حديدةً فقطَعَ بَرَاجِمَهُ[1] فصار الدمُ يَنْزِف ينزف ينزف وليس هناك طبيب يتداركه، فمات هذا الرجل، قَتَلَ نَفْسَهُ، وقَتْلُ النفس أعظمُ الذنوب بعد الكفر، بعد الكفر بالله تعالى أعظمُ الذنوب قتلُ النفس. إنْ قَتَلَ الشخص نفسه أو نفسَ غيرِه ممن حَرَّمَ اللهُ قَتْلَهُ هذا ارتكب أعظمَ الذنوب بعد الكفر، ثم رءاه صديقُهُ رفيقُهُ

(١) البراجم جمع البُرجمة بالضم وهى رؤوس السلاميات من ظهر الكف إذا قبض القابض كفه نشزت وارتفعت. مختار الصحاح

الذِى كان جاء مِن بلده فِى المنام على هيئةٍ حسنةٍ فقال له ما فَعَلَ بك رَبُّكَ قال غَفَرَ لِى بِهِجْرَتِى إلى نَبِيّه أى بسبب أنّى هاجرتُ تركتُ بلدِى بلدَ الكفر بلدَ الشرك وجئتُ المدينة، الله تعالى ما عاقبنِى بجريمة قتل النفس، بجريمة الانتحار بل سامحنِى، ثم رفيقُهُ هذا ذهب إلى النبىّ ﷺ فأخبره بقصته فقال الرسول عليه الصلاة والسلام **اللهم وَلِيَدَيْه فاغْفِرْ**[1] اهـ وذلك لأن رفيقَهُ هذا كان رَءَاهُ مُغَطّيًا يَدَيْه ما أراد أَنْ يَرَى صاحبُهُ يدَيْه محلَّ الجرح الذِى جَرَحَهُ هو فقال له وما لِيَدَيْك قال قيل لِى إنَّا لا نُصْلِحُ منك ما أفسدتَ أى الملائكةُ قالوا لى إنَّا لا نُصْلِحُ منك ما أفسدتَ.

هذا فضلُ الهجرة إلى المدينة لَمَّا كانت الهجرةُ فرضًا على المؤمنين، ثم ارتفعَ الوجوبُ وجوبُ الهجرة ارتفعَ لمَّا فَتَحَ الرسولُ ﷺ مكةَ وصارت مكةُ فِى يده تحت تصرفه وأولئك المشركون الذين كانوا يتصرفون فيها ويُؤْذُونَ المؤمنين الذين ءَاذَوُا الرسولَ والمؤمنين انكسروا، انتصر رسولُ الله ﷺ عليهم فصارت مكةُ فِى يده، بعد ذلك مَن شاء يهاجر إلى المدينة ومَن لم يشأ لم يهاجر يبقى فِى بلده أما قبل ذلك فكان فرضًا على من استطاع أن يَتْرُكَ بلدَهُ وأهلَهُ إن لم يذهبوا معه ومالَهُ إذا لم يتيسر له أخذُ مالِه معه يترك أهلَهُ ومالَهُ ويلتحق بالمدينة فلما فُتِحَتْ مكة صارت الهجرةُ سُنَّةً ليست فرضًا إن شاء هاجر إلى المدينة وإن شاء بَقِىَ فِى أرضه.

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر.

هذا فضلُ الهِجرَة. وهذه الخصلةُ وهِيَ التزامُ العبادة أى طاعة الله تعالى بعدم تضييع الفرض وارتكابِ المعصية من أجل القَلاقِل والقتل والخوف الرسولُ عليه الصلاة والسلام قال **العبادةُ فِى الهَرْج كهجرة إلَىَّ**[1] اهـ احْذَرْنَ، كثيرٌ مِن الناس يتركون الفرائض فِى أيام القلق وكثرة القتل والضرر والتخريب يُضَيّعُونَ الفرائضَ فلا تَكُنَّ مثلَهم فإنه لا يكون إلا ما شاء الله تعالى لا يموتُ أحدٌ إلا بِأَجَلِه ولا يُصابُ أحدٌ إلا بتقدير الله أحيانًا يُصابُ بسبب قصف المدفعية الذِى فِى المَلْجَإِ ويَسْلَمُ الذِى فِى البيت، هذا على أىّ شىءٍ يَدُلُّ، يَدُلُّ على أنه لا أحدَ يُصابُ بمصيبةٍ إلا على حَسَب مشيئة الله الأزلية، مَن كان اللهُ كَتَبَ أنه يُصابُ بمصيبةٍ بقَتْلٍ أو بما دون ذلك يُصابُ مهما حاولَ أنْ يُنْقِذَ نَفْسَهُ أو يُنجِىَ نفسَهُ يُصابُ ولا بُدَّ. انتَهَى.

والله تعالى أعلم.



(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب فضل العبادة فى الهرج.

**الدرس الرابع**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

## شرع محمد ﷺ يُسرٌ

درس ألقاه المحدث الاصولِىُّ الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى الثامن والعشرين من ذى القعدة سنة ثمان وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق للثامن والعشرين من شهر كانون الثانى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة وألف رومية فِى سويسرة. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وصلوات الله البَرّ الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين وسلام عليهم أجمعين.

أما بعد فقد روينا فِى صحيح البخارىّ رحمه الله تعالى مرفوعًا عن النبىّ ﷺ أنه قال **إِنَّ الدّينَ يُسْرٌ ولن يُشَادَّ الدّينَ أحدٌ إلَّا غَلَبَهُ وعليكم بالقَصْد فَسَدّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالغَدْوَة وَالرَّوْحَة وَشَىْءٍ مِنَ الدُّلْجَة**[1] اهـ

(١) رواه البخارىّ فى صحيحه بَابٌ الدّينُ يُسْرٌ.

إن الدّين يسرٌ معناه إنَّ هذا الدّينَ أى إنّ شرع محمد ﷺ يُسْرٌ أىْ سهلٌ وهذا يعرفه مَن عرفَ ما كان على الأمم الماضين مِن التشديد.

كُلُّ شرائع الأنبياء نُسِخَتْ بشريعة محمد ﷺ، قال الإمام الشافعى رحمه الله كل شريعة كانت تنسخ الشريعةَ التِى قبلها ونسختْ شريعةُ محمد ﷺ سائرَ الشرائع اهـ

فإنْ قيل إنه كان فِى بعض الشرائع صلاتان فقط فِى اليوم والليلة وهذه الشريعةُ المحمّديةُ فيها خمس صلوات فما وَجْهُ كَوْن هذه الشريعة يُسْرًا فالجواب أنه كان فِى شرائع بَنِى إسرائيل أنَّ الإنسان لا يجوز له أن يُصَلّىَ الصلاة حيثما شاء إلا فِى المكان المخصوص للصلاة، فلو كان فِى مكان بعيد ثم حانَ وقتُ الصلاة ذهب إلى المكان البعيد المخصص للصلاة ليؤدىَ الصلاة فيه حتى تصحَّ صلاتُه أما فِى هذه الشريعة المحمدية فيصح أن تُصَلَّى الصلاةُ فِى السوق وفِى الشارع وإن كانت الصلاةُ فِى قارعة الطريق مكروهةً لكنها تصحُّ. كذلك يصحُّ للواحد من أمّة محمد ﷺ أن يُصَلّىَ الصلاةَ فِى دكانه ويصحُّ أن يُصَلّىَ أيضًا فِى بيته ويصح أن يُصَلّىَ فِى البرية ويصح أن يُصَلّىَ فِى الغابة وهذا يَدُلُّ على اليُسْر الذِى فِى شريعة محمد ﷺ بالنسبة للصلاة بحيث لا يُقال إنَّ فرض صلاتين على بعض الأمم السابقة هو أيسرُ من الشريعة المحمدية التِى فيها فرضُ خمس صلواتٍ فِى اليوم والليلة.

ثم إنَّ مِنْ يُسْر هذه الشريعة أنَّ الصلاةَ يجوزُ أن يصليَها الإنسانُ لو فقدَ الماءَ أو وجدَ الماءَ لكن كان الماءُ يضرُّه لشدة بردٍ يُخْشَى منه الضَّرَرُ إذا توضأ الشخص منه. وهناك أمثلة أخرى.

الحاصل أنَّ هذه الشريعة نحكم بأنها أيسر من غيرها من الشرائع المتقدمة.

ومِن الأمر الذِى هو مِن أَشَقّ الشَّاقّ وكان فِى شرع بَنِى إسرائيل أن الشخص إذا أصاب ثَوْبَهُ بولٌ لا يُصَلّى فِى هذا الثوب إلا أن يَقطع بالمقراض ذلك الموضعَ الذِى أصابه البولُ منه. كان فرضًا عليهم أن يُصَلّىَ أحدُهم فِى ثوبٍ غير ذلك الثوب الذِى أصابه البول أو يقطعَ موضعَ البول من ذلك الثوب وأما فِى الشرع المحمدىّ فيكفِى غسلُهُ بالماء، إن غسله فذهبت أوصافُ البول بمرة واحدة طهُر وإن زالت أوصافه من غسلتين طَهُرَ وإن زالت بثلاثٍ طهر.

ثم إن الشرع سَهَّلَ الأمر على الأخرس مثلًا الأخرسُ إذا أراد أن يدخل فِى الإسلام وكان على دين من الأديان الكفرية يدخل فِى الإسلام بالنية بالتصديق بقلبه بمعنى الشهادتين من غير نطق بها. هذا إذا كان أخرسَ خلْقِيًّا ليس خَرَسُهُ طارئًا بعد أن تعلم الكلام أمَّا إن كان خرسه طارئًا فإنه يحرك شفتيه إن كان يمكنه تحريك الشفتين من دون صوتٍ يُسْمَعُ، يكفيه ذلك ليدخل فِى الإسلام.

ثم الأخرس تصح له العقود البيع والشراء والهبة

وغيرُ ذلك بالإشارة حتى النكاح، إذا أراد أن يتزوج بنتًا مثلًا يقول له وَلِيُّ البنت زَوَّجْتُكَ بِنْتِى هذه أو بِنْتِى فلانةَ فيقبل الأخرس بالإشارة فتصير حلالًا له، صح نكاحه.

كذلك الطلاق والخُلْعُ يصح من الأخرس فإن أشار الأخرسُ إشارةً مفهومةً[1] بالطلاق طَلَقَت امرأته ولا يُمَكَّنُ من العودة إليها إلا إذا كان الطلاق دون الثلاث فَعَمِلَ رَجْعَةً بالإشارة فتصحّ رجعته. وإنما يختلف الأخرس فِى أمرين أولهما الشهادة فإذا كان أراد أن يشهد فِى حقّ من حقوق الناس عند الحاكم لا تُقبلُ شهادته بالإشارة، وكذلك لو أشار وهو فِى الصلاة بما لو كان نُطقًا لأَفْسَدَ الصلاةَ لا تفسدُ صلاتُه بهذه الإشارة. فِى هذين الأمرين تختلف إشارة الأخرس عن النطق. انتَهَى.

والله تعالى أعلم.



(١) قالوا إشارةُ الأخرس بالطلاق إذا كان يفهمها كلُّ أحد تُعَدّ صريحة فى الطلاق وإذا كان لا يفهمها إلا الذكىّ الفطن فهى كناية لا تُعَدّ طلاقًا إلّا بالنية.

**الدرس الخامس**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# عدم مشابهة الله للمخلوقين

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى وهو فِى بيان عدم مشابهة الله للمخلوقين. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على نبينا محمد أشرف المرسلين وعلى ءاله الطيبين الطاهرين.

أما بعد فقد قال رسول الله ﷺ **مَن أراد بُحْبُوحَةَ الجنة فَلْيَلْزَم الجماعةَ**[1] اهـ المعنى أنَّ الذِى يريد أن يدخلَ الجنة وينجوَ من عذاب الله فليلزمْ جمهورَ الأمة أىِ السوادَ الأعظمَ فِى عقيدتهم لأن الله تعالى أكرمَ سيدنا محمدًا ﷺ بأنْ حَفِظَ أمته مِن أنْ يَضِلَّ جمهورُهم أى أن يخرجوا من الإسلام، الله تعالى وعد نبينَا محمدًا ﷺ أن يحفظ عقيدة الإسلام على جمهور أمته أىْ معظمِهم، معنى ذلك أن بعضهم قد يكفرون أما الجمهور فلا يكفرون، بل يبقون على الاعتقاد الذِى عَلَّمَهُ النبىّ ﷺ الصحابةَ ثم الصحابةُ عَلَّمُوهُ التابعين ثم

(١) رواه الترمذىّ باب ما جاء فى لزوم الجماعة.

التابعون عَلَّمُوا أتباعهم وهكذا إلى عصرنا هذا، فعقيدة الإسلام محفوظة للجمهور أى للمعظم، أما الشراذمُ التِى تخالفُ الجمهور فهذه هالكة. أصحاب رسول الله ﷺ كانوا على عقيدة واحدة وهِىَ أنَّ الله موجود بلا مكان من غير أن يتحيز فِى جهة من الجهات ومن غير أن يكون حالًّا فِى جميع الجهات، هو موجود بلا جهة ولا مكان كان فِى الأزل موجودًا قبل المكان والزمان ليس لوجوده بداية. المكان مخلوق لم يكن ثم أوجده اللهُ والزمان كذلك، فالذِى يكون قبل الزمان والمكان موجودًا بلا ابتداءٍ لا يتغيرُ ولا يتطور ولا يتحوَّل من حال إلى حال أما المخلوقُ فيتحول من حال إلى حال، حتى النورُ والظلامُ يتحولان من حال إلى حال، الآن أرضٌ من الدنيا عليها ظلام كهذه الأرض وقسمٌ من الدنيا عليه نور تَقَلَّصَ عنه الظلامُ فَتَسَلَّطَ عليه الضوءُ، وهكذا الضوء يتنقل والظلام يتنقل وكلٌّ له كمية عند الله تعالى، النور له مِساحة يتسلط عليها والظلام كذلك وكلٌّ منهما يتحول من حال إلى حال، والشمس كما تعلمون عند الغروب تكون لونها حمراءَ وعند طلوعها كذلك حمراء وفِى غير ذلك بيضاء.

فخالقُ العالم لا يتغير، لأنه لو كان يتغير لكان مخلوقًا يحتاج إلى من أوجده وأخرجه من العدم ثم نَقَلَهُ مِنْ حال إلى حال.

الأشياءُ الكثيفةُ كالإنسان والحجر والشجر والأشياء اللطيفةُ كالهواء والروح والملائكة كلُّها تتغير من حال

إلى حال. الملائكة فِى أصل خِلقَتِهم جسم لطيف لطيف لطيف، يستطيعون أن يدخلوا إلى صدر الإنسان ولا يحس بهم لذلك ملك الرحم بأمر الله تعالى يشتغل فِى رحم النساء فيخطط جسدَ الإنسان فِى رحم الأمّ ثم يأتى الملك بالروح بعد تطوُّره من النطفة إلى العلقة ومن العلقة إلى المضغة، فِى هذا الدور دور المضغة يدخل ملك الرحم فِى رحم المرأة[١] وهِىَ لا تحس به وينفخ فيه الروح، عندما يكون كقطعة لحم تُمضغُ أى بعدما يتحول المنىُّ إلى دم جامدٍ ثم هذا الدم الجامد يتحول إلى قطعة لحم بقدر ما الإنسانُ يمضغُه ثمَّ اللهُ تعالى يكسوه عظمًا، أول ما يُخلق من عظام الإنسان هو عظم صغير فِى ءاخر الظهر، هذا أصل الإنسان عليه يركَّب الإنسان فِى الدنيا ويومَ القيامة عندما يُعيد الله الجسدَ الذِى أكله التراب ينبت الجسد والعظم على هذه القطعة الصغيرة التِى تكون قدرَ حبة خردلة هذه تبقى لا تفنى، الله تعالى يحفظها من الفناء، أما ما سواها يفنى العظمُ واللحمُ والجلدُ كلٌّ يفنى.

الجسم اللطيف كجسم الملائكة والجسم الكثيف كجسم البشر والحجر والشجر خلقهما الله تعالى فهو لا يشبه هذا ولا هذا لذلك هو موجود بلا مكان.

لو كان عقل الإنسان لا يتصورُ موجودًا بلا مكان

(١) روى مسلم وأحمد والفريابى وغيرهم عن النبى ﷺ أن الملك يدخل على النطفة بعدما تستقر في الرحم إلخ اهـ وفي بعض الروايات فيجئ ملك الرحم فيدخل فيصور له عظمه ولحمه ودمه وشعره وبشره وسمعه وبصره إلخ اهـ قال بعض العلماء أى يدخل بعضُهُ أى يده اهـ

يجب علينا أن نؤمن بأن اللهَ موجودٌ بلا مكان.

ليس كلُّ موجود يتصوره قلبُ الإنسان. فِى المخلوقات التِى خلقها الله يوجد ما لا يستطيعُ الإنسانُ أن يتصوره وهو أنَّه فِى وقتٍ لم يكن نور ولا ظلام، وهذا لا يستطيعُ عقلُ الإنسان أن يتصوره، النورُ تستطيعُ أن تتخيله بقلبك وحدَه والظلامُ كذلك تستطيع أن تتخيله بقلبك وحده أما وجود وقت ليس فيه نور ولا ظلام لا تستطيع فكيف الله؟! كيف يُستطاع تَصَوُّرُهُ وهو لا يشبه العالم اللطيف ولا العالم الكثيف؟! المشبهةُ تصوروه جسمًا فوق العرش بقدر العرش هؤلاء ليسوا مسلمين لأنهم جعلوه مثل خلقه، جعلوه موازيًا للعرش الذِى هو مخلوق. لم يكن العرش فِى الأزل، الله كان وحده لم يكن معه شىء لا عرش ولا سماء ولا أرض ولا جهة فوق ولا جهة تحت ولا جهة يمين ولا جهة يسار ولا جهة أمام ولا جهة خلف، كان موجودًا بدون هذه الأشياء، ثم خلق هذه الأشياءَ ثم هو لم يتغير عما كان عليه، لم يتخذ مكانًا، وهذا العرشُ خلقَه لإظهار قدرته لأنه يوجد ملائكةٌ لا يعلمُ عددهم إلا الله محيطون بالعرش، يدورون حولَ العرش يُسبّحون بحمدِ اللهِ وهؤلاء عندما يَرَوْنَ هذا الجِرْمَ الكبيرَ الذِى لا يعلمُ حدَّه إلا اللهُ يزدادون يقينًا بكمال قدرة الله لهذا خَلَقَهُ ليس ليجلس عليه، الجلوسُ من صفة الخلق، الإنسانُ يجلس والكلب يجلس والبقر يجلس فالله تبارك وتعالى لا يجوز عليه أن يكون كشىء مِن خلقه. هكذا تكون

معرفة الله، ليس معرفةُ الله بأن يعتقدَ أنه جسمٌ فوق العرش بقدر العرش. لا يوجد شَيْءٌ له حياة مُسْتَقِرٌّ فوقَ العرش، يوجد كتابٌ كتب الله فيه **إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**[1] اهـ هؤلاء المشبهةُ صاروا يقولون لِكَيْ يخدعوا الناس ويجرُّوهم إلى عقيدتهم يقولون فوق العرش لا مكان والله تعالى هناك حيث لا مكان، فاحذروهم قولوا لهم كذبتم يوجد فوق العرش مكان، الله تعالى وضع ذلك الكتاب فوق العرش، أنتم تتصورون جسمًا فوق العرش عظيمًا واسعًا مِساحتُه بقدر العرش وهذا وهمٌ لا وجود له، هكذا قولوا لهم.

من اعتقد أن اللهَ موجودٌ بلا مكان بلا جهة من غير أن يكون حجمًا لطيفًا كالملائكة والنور ومن غير أن يكون حجمًا كثيفًا كالإنسان وأنه هو الذِى يستحق أن يُعبد فهذا عرف الله وءامن بالله فإذا اعتقدَ رسالةَ سيدنا محمد ﷺ كان مؤمنًا بالله ورسولِه فهو مسلمٌ ما دام على هذا الاعتقاد. انتَهَى.

والله تعالى أعلم.



(١) رواه البخارىّ بَابُ قَوْلِه تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾.

**الدرس السادس**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# بيان مسائل فِى العقيدة

دَرْسٌ أَعْطَاهُ الشيخُ عبدُ الله الهررىُّ رحمهُ اللهُ تعالى رحمة واسعة فِى بَيْتِه فِى بُرْج أبِى حَيْدَرٍ فِى شَهْر شَوَّالٍ سَنَةَ ثمان وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق للثالث عشر من شهر تشرين الأول الموافق لسنة سبع وألفين رومية لطلاب عِلم مِن قِسم الدّراسات الإسلاميّة فِى الجامعة العالَمِيَّة وهو فِى مسائلَ من علم العقائد.

رحَّبَ الشّيخُ عبدُ الله بنُ محمّدٍ الهررىّ رحمهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً بطلاب العلم الشّرعىّ قائلًا

فِى سُنَن ابن مَاجَهْ أنَّ أبا سَعِيدٍ الخُدْرِىّ كانَ إذَا أتاهُ مَنْ يَطْلُبُ الحَدِيثَ قَالَ مَرْحَبًا بِوَصِيَّة رَسُول الله اهـ مَعْنَاهُ الرَّسُولُ ﷺ أَوْصانا بِتَعْظِيم طُلَّاب العِلْم وَلِذَلِكَ أُرَحّبُ بِكُمْ.

ثمَّ قالَ الحمدُ لله وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى رَسُول الله وَعَلَى ءَالِه.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَفْضَلَ الأَعْمَال مَعْرِفَةُ الله، وَمَعْرِفَةُ الله تَكُونُ بِالتَّنْزِيه أَى بِاعْتِقَاد أَنَّهُ مَوْجُودٌ لا كالمَوْجُودَات. الموْجُودَاتُ سِوَى اللهِ تَعَالَى حادِثاتٌ كانَتْ مَعْدُومَةً ثم وُجِدَتْ بِإِيجاد الله ليس بالطَّبيعة ولا بِالعِلَّة كما تَقولُ

الفلاسِفَةُ. ابنُ سينا كافِرٌ وَالفارَابِى كافِرٌ وابنُ رُشْدٍ الحفيدُ صاحبُ بِداية المجْتهد كَافِرٌ هؤلاء يقال لَهُم الفلاسفةُ الإسلاميّونَ لأنَّهم يدَّعونَ الإسلامَ ويظنُّونَ بِأنْفُسِهم أَنَّهُم مسلمونَ وكانُوا قبل أن يدرسوا الفلسفةَ مسلمينَ. بعض من كان مُفْتِيًا فِى سوريّة أخذَ اسم المفتِى بواسطة عملٍ عَمِلَهُ ولم يكن عالمًا قال مرَّةً الإسلامُ يأمرُ بكذا الإسلامُ يأْمرُ بكذا الإسلامُ يأمرُ بالفلسفة وهو لا يعرفُ معنى الفلسفة الأصليَّة، الفلاسفةُ يقولونَ وجودُ الله اقْتَضَى وجودَ العالم كما يَقولُ محمدُ سعيدٍ البوطى اللهُ عِلَّةُ العالم فكفروا بهذا، والذينَ قالوا منهم العالمُ وُجِدَ بالطّبيعة كفّارٌ أيضًا. الفلاسفةُ تقول اللهُ عِلَّةٌ لِوجُود العالم معْناهُ العالمُ حَدثَ بوجود الله ليس اللهُ خلقهُ بِاخْتيارِه إنَّما وجودُ الله اقْتَضَى وجودَ العالم وهذا كفْرٌ. وءاخَرُونَ يقولونَ العالم وُجِدَ بالطَّبيعة وهذا كُفْرٌ. الحَقُّ أن اللهَ أَوْجَدَ العالمَ بمشيئتِه وَاخْتِيَارِه.

ثم إن اللهَ تعالى ليسَ جَوهرًا ولا عرضًا. الجوهرُ حَجمٌ لا يَقْبَلُ القِسْمَةَ لا بِالتَّقْدِير وَلا بِالتَّحْقِيق لا تَرَاهُ العيونُ مِنْ قِلَّتِه. اللهُ ليس هذا وليس جسمًا. إذا اجْتمعَ جَوْهران فأكثرُ يَصِيرُ جِسْمٌ، اللهُ ليس جوهرًا وَلا جسمًا، ليس شيئًا لهُ مِقدارٌ أى مِقياسٌ وهَذا معنى قولِه تعالى ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾[1] مَعْنَاهُ كلُّ المخلوقات لهَا مِقْدَارٌ أى مِقياسٌ. الصَّغِيرُ

(١) سورة الرعد/الآية (٨).

والكبيرُ، اللهُ لا يجوزُ أن يكونَ لَهُ مقياسٌ كبيرٌ بِقَدْر العالم ولا مِقْيَاسٌ أكبر من العالم. كل شيءٍ له مِقياسٌ يحتاجُ إلى شيءٍ خَصَّهُ بذلك المَقياس لذلك لا يجوزُ على الله أن يكون له مقدارٌ. بعضُ أهل التوحيد يُعَبّرُونَ عن هذا بقولهم اللهُ موجودٌ ليس له كميَّةٌ ولا كيفيَّةٌ. الإيمانُ فيه إثباتٌ وتنزيهٌ، التَّنْزِيهُ نَفْى التَّشْبِيه، نَفْى التَّشْبِيه يقالُ له التَّنْزِيهُ أما الإثباتُ فهو اعتقادُ أن اللهَ موجودٌ وأنه أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ وأن صفاتِه أزليّةٌ أبديَّةٌ فلا تقومُ به صفةٌ حادثةٌ.

النّورُ ما كان مَوجودًا والظَّلامُ ما كان مَوجودًا قبل أن يخلُقَهُمَا اللهُ. قال الله تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[1] هذه الآيةُ معناها أن السَّمٰوات والأرضَ كانت معدومةً والنُّورَ والظّلامَ كانا معدومَين ثم خلقها اللهُ تعالى، معناهُ لا يكونُ اللهُ نورًا ولا ظلامًا ولا ريحًا ولا غير ذلك من الأجسام اللَّطيفة. ومع ذلك يُسمّى اللهُ النُّورَ، النُّورُ إذا أُطلِقَ على الله معناهُ المُنيرُ هو أنارَ السّمٰوات والأرضَ بِالشّمس والقَمر والنُّجوم، يُقالُ اللهُ نُورٌ بمعنى أنه مُنِيرٌ. القمرُ يُعطِى النُّورَ إلى السّمٰوات السّبع، القمرُ وَجْهُهُ إلى السّماء وَقفاهُ إلينا، ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2] تَفسيرهُ مُنَوّرُ السّمٰوات والأرض ليس معناه الضّوءَ. الضّوءُ والظّلامُ مخلوقان قَرينان هذا حادثٌ

(١) سورة الأنعام/الآية (١).
(٢) سورة النور/الآية (٣٥).

وهذا حادثٌ وإن كان الضَّوءُ أنفعَ لِلخلق.

عليكم بإِتقَان عِلْم التَّوْحِيد.

الوهابى وكل من يَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ جِسْمٌ لَطِيفٌ أو كَثِيفٌ كَافِرٌ. أبو الحَسَن الأَشْعَرِىُّ قَالَ هَذا فِى كِتَاب النَّوَادِر، والشَّافِعِىُّ قَالَ المُجَسّمُ كَافِرٌ اهـ

كُتُبُ ابن حجرٍ المَكّىّ احذرُوا ما فيها منَ الكلام المخالف وكذلك كتابٌ اسمه القواعد مَذْكُورٌ فِيه أن العامّىَّ الذى يعتقدُ أن اللهَ فِى جِهَةٍ لا يكفرُ. هذا غلطٌ، من قال إن اللهَ حالٌّ فِى جِهَة السّماء أو العرش كَافِرٌ لأنهُ جعلهُ جِسمًا. كل شىءٍ يَحُلُّ فِى جهةٍ جِسْمٌ. النُّورُ يَحُلُّ فِى الأَرض ثم يَذْهَبُ وَيَأتى الظَّلامُ مَكَانَهُ.

ثم إن اللهَ تعالى ليس له بِدَايةٌ وصفاتهُ ليس لها ابتداءٌ لا يوجدُ من هو هكذا إلا اللهُ فإن الله تبارك وتعالى لما كان أزليًّا ليس لوجوده ابتداء وجب أن تكون صفاتهُ كذلك أزليَّةً أبديَّةً لا تنقطع. قال أهل التّوحيد من أهل السُّنَّة قُدرتُهُ قدرَةٌ واحدةٌ أزليَّةٌ أبديَّةٌ، ومشيئتهُ كذلك مشيئةٌ واحدةٌ أزليَّةٌ أبديَّةٌ، وسمْعُهُ كذلك سَمْعٌ واحدٌ أزلِى أبدِىٌّ لا يَنقطعُ ولا يَتجدَّدُ بل هو دائمٌ، وبصرُهُ بصرٌ واحدٌ أزلِىٌّ أبدىٌّ، كذلك عِلْمُهُ عِلْمٌ واحدٌ أزلِىٌّ أبدىٌّ لا يزيدُ ولا ينقصُ، كذلك كلامه كلامٌ واحدٌ لأنه ليس حرفًا ولا صوتًا. الحرفُ والصوتُ لهما ابتِدَاءٌ وانتهَاءٌ فهما حادثان. الكُتُبُ الأربعةُ ليس الله قرأها بهذه اللُّغَات إِنَّما كَتَبَهَا فِى اللّوح المحفُوظ أمرَ القلمَ فجرى بَقُدْرَتِه عَلَى اللَّوْح

المحفوظ فكتب وأمرَ جبريل أن يُنزلها على هؤلاء الأنبياء. القرءانُ يقال له كلامُ الله ولا يجوزُ أن يقال مخلوقٌ لأنهُ يوهمُ أن كلام الله الذّاتيَّ مخلوقٌ حادثٌ.

فى القرْن الثّانى امتُحِنَ المسلمونَ، علماء دعوا إلى القول بأن القرءان مخلوقٌ[1] فمنهم من امتنع ومنهم من أجاب خوفا من القتل. أحمد بن نصرٍ الخزاعىّ من أكابر علماء الحديث رضى اللهُ عنه طلب فقيل له قل القرءانُ مخلوقٌ فقال لا أقولُ فَقطعَ رأسهُ ورفعَ على رمحٍ وَوُكّلَ به من يجعله مستدْبِرَ القِبْلَة فالرّأسُ فِى اللَّيلِ كان يَسْتَقْبِلُ القِبْلَةَ وَيقرَأُ القرءان.

أما عندَ التّعلِيم فيجوزُ أن نقولَ القرءانُ بمعنى اللّفظ المُنَزَّل على سيدنا محمدٍ ﷺ مخلوقٌ ليس من تأليف جبريلَ ولا سيدنا محمد ﷺ حتى لا يُتوهَّمَ أن كلامَ الله الذَّاتِىّ حرفٌ وصوتٌ كما تقول المشبهةُ.

الماتريديةُ والأشعريَّةُ مُتّفقونَ على أن اللهَ لا تقومُ به صفةٌ حادثةٌ. أبو حنيفةَ رضى اللهُ عنه قال من شكَّ فِى أن صفةَ الله حادثةٌ أو قديمةٌ كافرٌ ومن توقّفَ كذلك كافرٌ اهـ وقال أيضًا نحن نتكلَّمُ بالآلات والحروف واللهُ يتكلَّمُ بلا ءالَةٍ ولا حرْفٍ اهـ وَحْدَةُ الكَلام تَخفَى على كثيرٍ من النّاس وهى مجْمَعٌ عليها. أبو علِىّ

(١) أىْ طُلِبَ منهم أن يقولوا ذلك بمعنى أن الله ليس متصفًا بصفة الكلام بل هو متكلم بمعنى أنه خالق الكلام فِى غيره فعلى هذا المعنى طلب منهم أن يقولوا القرءان مخلوق أى على معنى نفْىِ صفة الكلام الذاتىّ الذِى لا يشبه كلامنا عن الله تعالى.

السَّكُونِى من علماء إِشْبِيليةَ مات سنةَ سبعمائةٍ وسبعَ عشرَة قال وَحْدَةُ الكَلام مُجْمَعٌ عليهَا اهـ معنَاهُ لا خِلافَ بينَ أهل السُّنَّة أنَّ كلامَ الله واحِدٌ لأَنَّهُ ليس حرفًا وصوتًا. اللهُ يَستحيلُ أن يتكلَّمَ بحرفٍ وصوتٍ لأن الحرفَ والصَّوتَ لهما ابتداءٌ وانتهَاءٌ. التّكلُّم بِحرفٍ وصَوتٍ صِفتنا صِفَةُ الإِنس والجِنّ والملائكة أما كلامُ الله تعالى فليس له ابتِدَاءٌ ولا انتهاءٌ. كذلك قُدْرَةُ الله وسَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَعِلْمُهُ وَكَلامُهُ ليس لها ابتِدَاءٌ ولا انتهاءٌ.

أهل السُّنَّة هم الذين بقوا على ما كان عليه الصَّحابةُ. الصَّحابةُ اتَّبعوا الرَّسولَ ﷺ ثم التَّابعونَ اتَّبعوا الصَّحَابَةَ ثم التَّابعونَ علَّموا مذهب أهل السُّنَّة أَتباعَ التَّابعينَ وهكذا خلفًا عن سلفٍ وصل إلينا، ثم شذَّ عن ذلك أناسٌ بعضهم فِى زمن سيدنا علِىّ، فرقتان إحداهما الخوارجُ هاتان خلافُ مذهب أهل السُّنَّة ثم بعد ذلك ظهرت المعتزلةُ. بعض هذه الفرق الشاذّة كُفَّارٌ وبعضهَا ليسوا كافرين لكن فسّاقٌ. الرسول عليه السلام قال **سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِى إِلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهُم فِى النَّار إِلَّا وَاحِدَةً وَهِىَ الجَمَاعَةُ**[1] اهـ معناه ما كان عليه الصَّحَابَةُ ومَنْ تَبِعَهُم وهم أكثر الأُمَّة. أما الاثنتان والسَّبعونَ فرقَةً فمجموعهُم أَقَلُّ من أَهل السُّنَّة. وفِى رِوَايَةٍ قِيلَ من هم يا رسول الله قَال **مَا أنا عليْه وأصحابى اهـ** معنى الحديث أن مَن خالفَ أهل السُّنَّة

(١) رواه البيهقىّ فى سننه بَابُ مَا تُرَدُّ بِه شَهَادَةُ أَهْل الْأَهْوَاء.

استحقَّ النّار بعضهم كفَّارٌ يُؤَبَّدُونَ فِى النَّار وَبَعْضُهُم الذينَ لم يبلغوا درجةَ الكفر لا يؤبَّدُونَ فِى النَّار.

ثم إنه قد كثر التَّساهلُ فِى حكْم المجسّم حتى إِنَّ بعض المُتأخّرِينَ مثل ابن حَجَرٍ المَكِىّ يقولونَ الصَّوَابُ تركُ تَكفيرِهِم وهذا قولٌ فاسدٌ. أبو الحسن الأشعرىُّ قال المجسّم جاهلٌ بخالقه فهُو كافرٌ بربّه اهـ من يعتقدُ أن اللهَ جسْمٌ كثيفٌ أو لطيفٌ فهو كافرٌ، لو قال اللهُ جِسْمٌ لطيفٌ كبيرٌ نُورٌ فهو كافرٌ.

ثم بعض المُؤلَّفَات لِلمالكيَّة والشّافعيَّة والحَنَفِيَّة والحنابِلَة احذَرُوا ما فيها. فِى ثلاثة كتبٍ لِلْحَنَفِيَّة مذكورٌ أنه يجوزُ كتابةُ الفاتحة بالبول والدّم إن عُلِمَ فِى ذلِك شفاءٌ. كتابةُ الفاتحة بالبَول كُفْرٌ. هَذِه الكُتُبُ الثَّلاثةُ لِمُتَأَخّرِينَ من الحنفيَّة، عند المتقدمين لا وجود لهذا الكلام. كذلك بعْض المالكيَّة قَالَ يَجُوزُ الاستنجاءُ من البَوْل بِالإِصْبَع بَدَلَ الحَجَر اهـ وَبَعْضُهُمْ قال يجوزُ الاسْتِنْجاءُ باليد التى فيها خَاتم فِيه اسم الله اهـ هذا كُفْرٌ. وبعض الشَّافِعِيَّة قال إنه يجب أكل لحم الضَّأْن مَرَّةً فِى العمُر اهـ احْذَرُوا هَذَا.

وفى شرْح حاشية البَيْجُورِى عَلَى جوهرة التَّوْحِيد نحو ثَمَانِيَة أبياتٍ منسوبةٍ لِلْغَزَالِىّ ءاخِرُ بَيْتٍ منها فيه كفرٌ وهو

وهــو فَــوْقَ الــفَــوْق لا فَــوْقَ لَــهُ
وَهْـوَ فِـى كُـلّ الـنَّـوَاحِـى لا يَـزُولُ

فَوْقَ الفَوْق لَهُ تَأْوِيلٌ، بِحَسَب الظَّاهِر لا يَصِحُّ لَكِنْ

له تَأوِيلٌ. بعضُ الوهّابيّة قال اللهُ بِلا مَكَانٍ لأَنَّ اللهَ فَوْقَ العَرْش وفَوْقَ العَرْش لا مَكَانَ اهـ هَذَا غَلَطٌ، يُوجدُ فَوقَ العَرش مكانٌ، ثَبَتَ فِى الحَدِيث أَنَّه يُوجَدُ فوقَ العرش كتابٌ. والجزءُ الأخيرُ من هذا البيت وهو فِى كل النَّواحى لا يزولُ هذا كفرٌ، مَعْنَاهُ اللهُ حَالٌّ فِى كل النَّواحى. هذا الكتاب يدرّس فِى معهد الفتح فِى سوريَّة وفى عدة معاهد أخرى وربما فِى مصرَ يَشتغلونَ بِه أيضًا ولا يَنتبهونَ لهذا الكَلام الذى هو ضِدُّ التَّوْحِيد. هذا الكَلامُ يُنْسَبُ لِلْغَزَالى ولا وجودَ له فِى كُتُب الغَزَالِى، وَبَعْضُهُم يَنْسُبُهُ لِلدّيرِينِى وهُوَ مِنْ مَشَايِخ الرِفَاعِيَّة الكِبَار وليس له، وبعضهم نسبَهُ لِزَين العَابِدِينَ رضى اللهُ عنه وهو كذبٌ عليه.

الفسادُ انتشر فِى كل الدُّنْيَا، اللهُ تعالى يُنْجِى من شاءَ من هذا الفساد.

فِى مصْرَ أناسٌ مُلحِدونَ دخلوا باسم الأزهر بينَ النَّاس فَأَضَلُّوا بَعْضَ النَّاس كَمَا حَصَلَ هُنَا. فِى سُورِيَّة سَعِيد البُوطِى تخرَّجَ من كليَّة أصول الدين من مِصرَ طلع مُلْحِدًا سمَّى الله عِلَّةً سَمَّى اللهَ واسِطَةً سَمَّى اللهَ مَنْبَعًا سَمَّى الله أَصْلًا. كل هذا كفرٌ. اللهُ لا يُسَمَّى عِلَّةً، العِلَّةُ المرض كيف يسمَّى اللهُ باسمٍ معناه المَرض.

ثم أُحَذّرُكم من الوَهَّابِيَّة. وَهَّابِى لَمَّا كُنْتُ فِى الحبشة جاء من مكّةَ أو المدينة نزل عند وهابِى يعرفهُ هناك، ذهبت إليه أخَذت كِتَابَ أبِى حَنِيفَةَ الوصية قرأتُ

عليه ولقاء الله تَعَالَى فِى الجَنَّة بِلا كَيْفِيَّةٍ وَلا تَشْبِيهٍ وَلا جِهَةٍ حَقٌّ اهـ أحدهما قال هذا فِى الآخِرَة مرادهُ أن اللهَ اليومَ فِى جهةٍ لكن فِى الآخِرَة يكُونُ بلا جهةٍ. وكلامهُ تَصْرِيحٌ بأن اللهَ يَتَغَيَّرُ والتَّغَيُّرُ مِنْ صِفَات الخَلْق. مَا أَكْفَرَ الوَهَّابِيَّةَ، الذِى يعرفُ عَقِيدَتَهَا ولا يُكَفِّرُهَا هو كافِرٌ.

ثم المسئلةُ الأخرى من العقيدة من أهم المسائل الاعتقادِيَّة وهى اعْتِقَادُ أنهُ لا خَالِقَ لِلْجِسْم وَلا لِلأَعْمَال إلَّا الله.

المُعْتَزِلَةُ ومن وَافَقَهُم يَعْتَقِدُونَ أن الإنسَانَ يَخْلُقُ عَمَلَهُ حركاته وسكناته وَتَفْكِيرَهُ وَقُدْرَتَهُ وَمَشِيئَتَهُ، هَذَا كُفْرٌ. اللهُ خَالِقُ كُلّ شَىء، الجِسمُ هو خَالِقُهُ والحركاتُ والسُّكُونُ وأعمالُ العباد هو خالقها. العبادُ لا يخلقونَ شيئًا. انتهَى.

والله تعالى أعلم وأحكم.



**الدرس السابع**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# فِي التحذير من بعض أهل الضلال

درس ألقاه المحدثُ الشيخُ عبد الله بن محمد الهررىّ رحمه الله تعالى فِى بيته فِى بيروت فِى جمادى الآخرة سنة عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق لشهر أيلول سنة تسع وتسعين وتسعمائة وألف رومية وهو فِى التحذير من أنواع من أهل الضلال. قال رحمه الله رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين

أما بعد فقد قال رسول الله ﷺ **مَنْ يُرِد الله به خيرًا يفقهْهُ فِى الدّين**[1] اهـ أما سيد قطب فيقول فِى تفسيره الاشتغالُ بالفقه فِى هذا الوقت مضيعةٌ للعمر.

الفقه يُحتاج إليه فِى الطهارة فِى الصلاة فِى الحج فِى الزكاة حتى فِى الدعاء والذكر. ثم معيشة الإنسان إذا لم تُطَبَّقْ على وَفق الشريعة تكون وبالًا عليه. القرءان ما نزل للمواعظ فقط إنما للجِنايات والمعاملات وغير

(١) رواه البخارىّ فى صحيحه بَابٌ العِلْمُ قَبْلَ القَوْل وَالعَمَل.

ذلك. الذِى لا يعرف أحكامَ شرع الله فهو فِى خطر عظيم. حزب الإخوان تركوا الفقه وركضوا إلى مطالعة مؤلفات سيد قطب ومنشورات بعضهم وأهملوا علم الفقه الذِى درج عليه المسلمون منذ أربعة عشر قرنًا. وسيد قطب لم يكن من أهل العلم يقولون أديب مفكر. ومن عجائب ما حصل من ترك الفقه ما حَكَى لى شخصٌ من أهل مصرَ قال لما قُتل أنور السادات صاروا يَلُمُّون الناس فأخذونى معهم أدخلونا سِجْنَ أبِى زَعْبَل قال وجدتُ جماعة حزب الإخوان فِى السجن ستَّ فرق كل فرقة تكفّر الأخرى ولا تُصَلّى خلفها، أحيانًا تطلع الشمس ولم يصلوا الصبح.

أما الوهابية فالعقيدة التِى يتعلمونَها ضدُّ ما أنزل الله ولا سيما فِى التوحيد. فِى التوحيد هم ضدُّ قول الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1]. جعلوا الله جسمًا قاعدًا على العرش يطلع وينزل وله انفعالاتٌ. ما بَقِىَ إلا أن يقولوا هو إنسان مِنْ حيثُ اللفظُ، أما من حيث الاعتقادُ جعلوه إنسانًا.

ثم مِن النواحِى الأخرى عندهم ضلالٌ، من قال يا محمد يا حسن يا حسين عندهم كَفَر. يقولون أنت عَبَدْتَهُ لِمَ تُناديه. والحِرز الذِى فيه ءَايَاتٌ قرءانيةٌ عندهم شركٌ إذا علَّقه الشخص. عند المواجهة الشريفة الناس يُسلّمونَ على الرسول ﷺ، حراس الوهابية هناك إذا رأوا على شخصٍ هذا الحرزَ يقولون شركٌ وأحيانًا

(١) سورة الشورى/الآية (١١).

يَجُرُّونه حتى يكاد يختنق. هؤلاء ضررهم عظيم وهؤلاء ضررهم عظيم. نحن بين هاتين الفرقتين فِى هذا الزمن.

ثم جماعة سيد قطب انتشروا لأنهم يوهمون الناس أنهم يريدون إقامةَ حكم الشرع فَيُصْغِى لهم الجاهلُ فيَضِلُّ كما ضَلُّوا.

أما الوهابية فيوردون ءاياتٍ يحملونَها على ظواهرها يفسرونها على خلاف قولِه تعالى فِى سورة الشورى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ لا يفسرونها كما يفسرها السلف والخلف على خلاف ظواهرها منها قول الله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[1] استوى قال العلماء معناه قهر، والعرب يقولون أيضًا استوى فلان على البعير أو الفرس بمعنى جلس، هذا كلام عربىٌّ وهذا كلام عربىٌّ لكنهم اختاروا المعنى الذِى لا يليق بالله.

هؤلاء الوهابيةُ أشد تأثيرًا لأنهم يوردون عدةَ ءاياتٍ. أما حزبُ الإخوان يوردون ءايةً واحدةً ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٤٤﴾[2]. يقولون أىُّ حاكم حكم بغير حكم الله ولو فِى مسئلةٍ واحدةٍ هو كافرٌ والرعيةُ إذا لم يثوروا عليه كفارٌ.

المسلمون منذ أيام الصحابة إلى اليوم يقرؤون هذه الآيةَ وفهموا معناها أما حزبُ الإخوان يفهمونَها على خلاف ما فهِمَها المسلمون. شَوَّشُوا على الناس وصاروا يقتلون ويغتالون. هاتان الفرقتان فِتنتان

(١) سورة طه/الآية (٥).
(٢) سورة المائدة/الآية (٤٤).

عظيمتان فيجبُ التحذير منهم.

نحن ما فَحَصْنَا كُلَّ الأفراد لكنْ كتبهم وكثير من الأفراد المنتسبين إلى الوهابية تقول بهذه الأقاويل إنّ الله جالسٌ على العرش وإنه بذاته ينزلُ كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا فيمكث إلى ثلث الليل ثم يعود. أهل السنة يقولون معنى ينزل ربُّنا يأمرُ ملائكتَه فينزلون فيمكثون إلى ثلث الليل ثم يعودون إلى مراكزهم. هذا إسنادٌ مجازيٌّ كما يُقال بَنَى الأمير المدينة وليس الأمير هو الذِى يباشر البناء لكن لما كان البناء بأمره أُسند إليه البناء. هؤلاء فتنة على الناس.

ثم بعض الناس يقولون نحن لا نكفّرُ الكافر بل الله يحاسبه. هؤلاء ليسوا بأورعَ من الإمام الأوزاعىّ وأبِى حنيفة رَضِىَ الله عنهما وأمثالِهِمَا. أبو حنيفة قال عن شخص رءاه فِى مجلسه اسمُهُ جَهْمٌ إنه كافر أخرجوه اهـ وأيامَ هشام بن عبد الملك قال رجلٌ ضالٌّ اسمُه غَيلان لهشام أريدُ من يُناظرنِى فاستدعَى الأوزاعىَّ فناظرَه فكسرَه فقال هو كافرٌ يا أمير المؤمنين فأُجرِىَ عليه القتلُ قطعَ يديه ورجليه وصَلبَهُ. كانَ اسمه غيلانَ أبا مروان. هو [ابن] مولى عثمانَ بن عفانَ. الله أضلَّهُ. هذا غيلان كان يقول الله تعالى ليس هو يخلق أعمالَنا نحن نخلق أعمالَنا. كذّب الآية ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[1]. الله يقول فِى سورة الرعد ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ

(١) سورة الرعد/الآية (١٦)

شَيْءٍ﴾[1] الأفكارُ والأعمالُ والنوايا وتقلباتُ الأبصار هذا كلُّه شَيْءٌ والله تعالى خالقه كلّه. أما غيلانُ يقول أعمالُنا الاختياريةُ نحن نخلقها أما الله خلق أجسامَنا. كان شوَّشَ على الناس كما شوشَ ابنُ تيميةَ كثيرًا بتآليفه. الخليفة بعدما جمعه بالأوزاعيّ الإمام الأوزاعيُّ أفتى بأنه كافرٌ فأجرَى عليه هشامٌ القتل. وكان قبل ذلك فِى أيام عمر بن عبد العزيز سمع عنه عمر فطلبَه فقال ما هذا الذِى يبلغُنِى عنك فقال يُكْذَبُ علىَّ يا أمير المؤمنين فتركه لكن تفرَّس فيه أنه يُقتل ثم بعد وفاة عمر بن عبد العزيز رَضِىَ الله عنه تحققت فيه فِراستُه فقُتل. ظَهَرَتْ كرامةُ عُمَرَ.

وبعض أهل عصرنا أيضًا عندنا مؤلفاته وشُرُطُهُ فيها كفر. يُسَمّى اللهَ العلةَ الكُبرَى ويسميه واسطةً ويسميه منبعًا ويسميه الأصلَ ويقول عندما يختلف القرءان والعلم نترك القرءان ونأخذ بالعلم. إلى هذا الحد وصل.

هؤلاء الدكاترةُ فِى هذا العصر الذين يتخرجون من كثير من الكليات التِى يسمونها شرعيةً من الكلية التِى تُسمى أصولَ الدين وغيرها مفتونون لأنهم لا يلتزمون مذهبَ أهل السنة إنما يقاربون ويتركونَ لهم حريةَ الفكر. قبل ثلاث سنوات اجتمعت بشيخ مصرىّ يقال له محمد سعد قال لى اليوم فِى جامعة كذا الدكتوراه بالثَّمَن. انتَهَى.

والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة الرعد/الآية (١٦).

**الدرس الثامن**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# فِي بيان التوحيد وبعض أمور الآخرة
# (ملخص فِي العقائد)

درسٌ ألقاهُ المحدثُ الشيخُ عبدُ الله بنُ محمدٍ العبدريُّ رحمهُ اللهُ تعالى يوم الأحد فِي الثامن والعشرين من ذِي القَعدة سنة عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق للرابع من شهر ءاذار سنة ألفين رومية فِي ضاحية لندن فِي بريطانية وهو فِي بيان التوحيد وبعض أمور الآخرة. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وصلواتُ الله البَرّ الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه من النبيين ءادمَ ونوحٍ وإبراهيمَ وموسى وعيسى ومن سواهم من النبيين والمرسلين وعلى ءَالِهِمُ الطاهرين.

أما بعد فإن الله تباركَ وتعالى قال فِي سورة الحديد ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾[1] وَصَفَ نفسه بأنه موجودٌ قبل كُلّ شَيْءٍ

(١) سورة الحديد/ الآية (٣).

بلا ابتداءٍ أى أن كلَّ ما سوى الله لم يكن موجودًا ثم صار موجودًا فكلُّ شَىْءٍ يصحُّ أن يقالَ متى وُجِدَ إلا اللهَ فإنَّ اللهَ لا يجوز فِى حقّه أنْ يُقال متى وُجِدَ متى كان لأنه لم يسبقه عدمٌ أما ما سوى الله فقد سَبَقَهُ عدمٌ. النورُ والظلامُ ما كانَا موجودَين قبلَ أن يخلُقَهما اللهُ ثم خلقَهما الله فصارَا موجودَين وكذلك الروحُ والريحُ وغيرُ ذلك من المخلوقات لم يكن موجودًا ثم أوجدَه الله. الله وَحْدَهُ الموجودُ الذِى لم يسبقْه عدم. المسلمون على هذا. الأنبياءُ كلُّهم على هذا الاعتقاد أنه لا موجودَ ليس له ابتداءٌ إلا اللهُ وأنَّ ما سوى الله موجودٌ حادثٌ أحدثه اللهُ بَعْضهُ قبلَ بعضٍ وبعضهُ بعد بعض.

فلمّا كان اللهُ تبارك وتعالى ثابتًا أنه موجودٌ لا ابتداءَ له وما سواه كلُّه لهُ ابتداءٌ وجبَ أنَّ الله تبارك وتعالى لا يتصف بشىء من صفات خلقِه فهو تبارك وتعالى ليس كالأجسام التِى هِىَ كثيفةٌ ولا كالأجسام التِى هِىَ لطيفةٌ.

الجسمُ الكثيفُ هو ما يُمْكِنُ جَسُّهُ باليد كالحجر والشجر والإنسان وحجم الشمس وحجم القمر والكواكب كلُّ هؤلاء يمكن جَسُّهُ باليد أما الجسمُ اللطيفُ فهو ما لا يمكن جسُّه باليد كالضوء ضوء الشمس وضوء القمر والريح هذه الأشياءُ أجسامٌ لطيفةٌ. الله تبارك وتعالى ليس بينه وبينهم مشابهةٌ. الله تعالى ليس حجمًا كثيفًا ولا حجمًا لطيفًا ليس له مقدارٌ

صَغْرَ أو كَبْرَ منزَّهٌ عن أن يكون حجمًا طويلًا أو حجمًا قصيرًا كالأجسام الكثيفة واللطيفة لأن الأجسامَ كلَّها لها مقادير. الإنسانُ ظاهرٌ أنَّ له مقدارًا أربعةُ أذرع طولًا وذراعٌ عرضًا. كذلك سائرُ الأجسام الكثيفة لَهَا مقدارٌ منها ما مقداره صغيرٌ ومنها ما مقداره كبيرٌ، والأجسام اللطيفة كذلك لها مقاديرُ، نور الشمس له مقدارٌ يمتدُّ إليه وكذلك ظلام الليل له مقدار يمتدُّ إليه، فاللهُ الذِى خلق هذه الأشياءَ بعد أن لم تكن موجودةً ليس كَشَيْءٍ منها بوجهٍ من الوجوه فهو تبارك وتعالى ليس حجمًا صغيرًا فِى منتهى الصّغَر ولا هو حجم كبيرٌ فِى منتهى الكِبَر كحجم العرش. العرش أكبرُ حجم خلقه الله لم يخلق اللهُ أكبرَ منه وهو قادرٌ على أن يخلق أكبرَ منه.

الله لا يوصف بِكِبَر الحجم ولا يوصف بالصّغَر. نقول الله أكبرُ بمعنى أنه أقدر من كل قادر وأعلمُ من كل عالم بهذا المعنى يقال الله أكبرُ الله كبيرٌ الله عَلِيٌّ الله عظيم لا على معنى كِبَر الحجم.

كبرُ الحجم مستحيل على الله كالصغر لأن العالمَ منه حجمٌ صغيرٌ كحبة الخردل ومنه ما هو أكبرُ منه إلى أن انتَهَى كِبَرُ المخلوقات بالعرش. فلا يجوز أن يُتَصَوَّرَ اللهُ حجمًا صغيرًا ولا حجمًا كبيرًا لأن العالم حجم صغير وحجم كبير فكيف يكون الله حجمًا كبيرًا أو حجمًا صغيرًا إنما هو موجود ليس حجمًا لطيفًا ولا حجمًا كثيفًا ولا حجمًا صغيرًا ولا حجمًا كبيرًا.

الصِغرُ والكِبرُ من صفات المخلوقين.

وكذلك لا يجوزُ أن نعتقدَ ونتصورَ أن الله متحيزٌ فِى جهة فوقٍ وغيرِها ولا يجوزُ أن نتصورَ بأنَّ الله حجم محيط بالعالم بحيث يكون العالمُ فِى داخله. الله تبارك وتعالى هو الذِى جعلَ بعضَ خلقه متحيزًا فِى جهة فوقٍ كالعرش والملائكة الذين حول العرش يطوفون به والسمٰوات والنجوم والشمس والقمر، هو الله جعل هذه الأشياء متحيزةً فِى جهة فوقٍ وجعل البشَرَ والجنَّ والبهائمَ متحيزِين فِى جهة تحتٍ فهو لا يكون متحيزًا فِى مكان أو فِى جهة أمام أو خلفٍ أو يمينٍ أو شمالٍ أو فوقٍ أو تحتٍ. كل هؤلاء هو أوجدها فكيف يكون مِثْلَهَا. لا تصح معرفةُ الله مع تصوره حجمًا كبيرًا أو حجمًا صغيرًا متحيزًا فِى جهة فوق أو جهة تحت أو أَيَّة جهة من الجهات إنما معرفته والإيمان به اعتقاد أنه موجود من غير هذه الكيفيّات. فمن اعتقد أن الله موجودٌ ليس متحيزًا فِى جهة من الجهات ولا هو حجم صغير ولا هو حجم كبير فقد عرف الله.

ثم إنه تبارك وتعالى كما أنه ليس حجمًا صغيرًا ولا حجمًا كبيرًا ولا حجمًا متحيزًا فِى جهة من الجهات كذلك هو لا يوصف بشىء من صفات خلقه غير هذه الصفات المذكورة فلا يوصف بالحركة ولا بالسكون لأنَّ الخلقَ قسمٌ منهم ساكنون دائمًا كالعرش والسموات السبع وقسم منهم متحركون دائمًا كالنجوم. النجوم كلها متحركةٌ لا يوجد نجم إلا وهو متحركٌ

هكذا خلقها الله وقسم من الخلق يسكنون مرة ويتحركون مرة كالإنسان والملائكة والبهائم والجن فهو ليس متصفًا بالحركة ولا بالسكون الدائمَين ولا بالحركة مرة والسكون مرة كخلقه. لا يوصف بهذا. وكذلك لا يوصف بأى صفة من صفات الخلق كالانفعال أى الانتقال من صفة إلى صفة.

ثم إن الله تبارك وتعالى صفاتُهُ أزليةٌ أبديةٌ ليست كصفات خلقه. علمُه تبارك وتعالى أزليٌّ أبديٌّ لا يزيد ولا ينقص وقدرته أزليةٌ أبديةٌ لا تزيد ولا تنقص ومشيئته كذلك لا تزيد ولا تنقصُ وسمعُه لا يزيدُ ولا ينقصُ ورؤيتُه أى بصرُه أزلية أبدية وكذلك حياته أزليةٌ أبديةٌ كذلك كلامه أزليٌّ أبدى ليس حرفًا ولا صوتًا متكلمٌ بكلام ليس حرفًا ولا صوتًا ليس ككلام الخلق يحصل شيئًا فشيئًا يسبق بعضه بعضًا فكما أن حياته لا تزيد ولا تنقص ولا يتخللها انقطاعٌ كذلك علمه وقدرته وسمعه وبصره ومشيئته وكلامه. كل صفاته لا يدخلها انقطاع. كما أن حياته لا يدخلها انقطاع حيٌّ دائمًا أزلًا وأبدًا كذلك عالم بعلم أزلى أبدى لا يزيد ولا ينقص، كذلك هو قادر بقدرة أزليةٍ أبديةٍ لا تزيدُ ولا تنقصُ كذلك كلامُه أزليٌّ أبديٌّ لا يزيد ولا ينقص ولا يتخلله انقطاعٌ وسكوتٌ لأن كلَّ شَىْءٍ يزيد أو ينقص يكون حادثًا فلا يكون لله صفةٌ حادثةٌ تزيدُ وتنقصُ. أما نحن كنا معدومين ثم صِرْنَا موجودين أوجدَنا الله ثم خلق فينا صفاتٍ، خلق فينا قدرةً تزيدُ وتنقصُ وخلق فينا مشيئةً تزيد وتنقص وخلق فينا كلامًا يزيد

وينقص ويتخلله سكوتٌ وانقطاعٌ. الله تبارك وتعالى لا يكون كذلك أى لا تكون صفاته كصفات خلقه. لا يكون كلامُه ككلام خلقِه ومع هذا يُسْمِعُهُ مَن شاء مِن خلقه. فِى الدنيا يَسمع جبريلُ كلامَ الله الذِى ليس حرفًا ولا صوتًا وليس لغةً من اللغات. اللغاتُ كلُّها مخلوقةٌ ما كانت موجودةً قبل أن يخلقَها الله. الله متكلم فِى الأزل وفيما لا يزال. هذه الكتب السماوية القرءان والإنجيل والزبور والتوراة وكتب أخرى كثيرة أنزلها الله على بعض الأنبياء كلها عباراتٌ عن كلام الله الذاتِىّ الذِى ليس حرفًا ولا صوتًا لأن هذه الكتبَ لغاتٌ بعضُها بالعربية وبعضُها بالسُّريانية وبعضُها بالعِبرانية. اللغاتُ كلُّها مخلوقة. كلام الله ليس ككلام خلقه. جبريل يسمع كلامَ الله وسيدُنا موسى سمعَ كلام الله فِى طور سيناء هناك فِى ءَاخِر حدود بَرّ الشام يوجد جبلٌ هناك مباركٌ، موسى سمع هناك كلام الله الذِى ليس حرفًا ولا صوتًا أما القراءنُ الذِى نقرؤه بالحروف هذا ليس اللهُ قرأه كما يقرأ القُراء إنما الله كتبَهُ فِى اللوح المحفوظ وأمر جبريل أن ينزلَه على سيدنا محمد. كذلك الإنجيلُ جبريلُ أخذَه من اللوح المحفوظ وأنزلَه على سيدنا عيسى فليس معنى قولِنا القرءانُ كلامُ الله أن الله قرأه بالحرف والصوت، هذه صفة المخلوق لا تجوز على الله.

ثم إنَّ اللهَ تبارك وتعالى حَفِظَ القرءانَ منذ أُنْزِلَ على سيدنا محمد إلى اليوم هو هو لم يتغير. ثم الله تبارك وتعالى يَسَّرَ حفظَه للكبير والصغير. يوجد بين

المسلمين مَن حفظ القرءان وهو ابنُ سِتّ سنوات، وحَفِظَهُ مَن كان فوق ذلك فِى العمر أما الأمم القديمة ما كانوا يحفظون الكتب التِى أُنْزِلَتْ على أنبيائهم. أكبرُ عالِم فيهم ما كان يحفظُها إنما كان يقرؤها قراءةً نظرًا. التوراة ما كان يحفظها أحدٌ من أصحاب موسى إلا أنَّ رجلًا كان اسمُهُ عُزَيْرًا رَضِىَ الله عنه هذا أَلْقَى التوراةَ مِن حفظه بعد أنْ جاءَ مَلِكٌ جبارٌ كافرٌ إلى فلسطين حَطَّمَ مَن كان ينتسبُ إلى سيدنا موسى. فِى ذلك الوقت كان اليهودُ منهم مؤمنين وبعضُهم كافرين. هذا الملك الجبار كان قتل منهم كثيرًا وأَسَرَ منهم كثيرًا وأحرق التوراة. هذا الرجل عُزَيْرٌ أعاد التوراة مِن حفظه فتعجب اليهود، كفروا، قالوا لولا أنَّ هذا ابنُ الله كيف يُعيدُ التوراةَ بعدما أُحْرِقَتْ. هذا يدل على أنَّ أمةَ محمدٍ أفضلُ الأمم. الأممُ غيرُ أمة سيدنا محمد هم الذين كانوا لا يحفظون الكتبَ التِى أنزلت على أنبيائهم أما الأنبياءُ فكلُّ نبىّ كان يحفظُ الكتابَ الذِى أُنزل عليه.

ثم إن شريعةَ محمد إلى اليوم موجودة. اليوم مئات ملايين النفوس على شريعة سيدنا محمد على اختلاف مواقعهم ولا يزال دينُ محمد الإسلامُ إلى نهاية الدنيا.

ثم قبل أن تَنْتَهِىَ الدنيا بِمِائَة عام القرءانُ يُرْفَعُ ولا يبقى منه فِى الصدور شَىْءٌ. عندَ ذلك كل مسلم يموت، يرسل اللهُ ريحًا تدخل فِى إبْط كل مسلم فيموت ثم يبقى الكفار الذين يعيشون كالحمار

يتسافدون فِى الطريق يتجامعون فِى الطريق كالحمار. يعيشون مِائَةَ سنةٍ ثم تقوم القيامة بعد ذلك فيأمر الله إسرافيلَ أن ينفخَ فِى القرن فيموت الإنس والجن من شدة هذا الصوت.

ثم بعد ذلك بمدةٍ يُحْيِى اللهُ الملائكةَ الذين ماتوا والإنسَ والجنَ. يُحْيِى إسرافيلَ قبل غيره. إسرافيلُ الذِى نفخ أولَ مرةٍ فَهَلَكَ الإنسُ والجنُّ مِن القرن الذِى هو نَفَخَ به. يُؤْمَرُ أن ينفخ نفخة البعث فيعيد الله العظام ثم يكسوها عصبًا ولحمًا ثم يكسوها جلدًا. تعود كما كانت فيخرجون من القبور ثم يُساقون إلى المحشر إلى مكان الاجتماع. سيدُنا محمد يخرج من المدينة بعد أن ينشق عنه القبر. يخرج هو مع أهل المدينة ثم ينضاف إليهم أهل مكة والطائف. ثم المحشر فِى بر الشام سورية والأردن ولبنان وفلسطين. حشر الخلق إليها، ثم يَقْضِى اللهُ بين العباد، يُكَلِّمُ كلَّ إنسان من البشر والجن بكلامِه الذِى ليس حرفًا ولا صوتًا. ذلك اليومَ نَفْهَمُ كلام الله الذِى ليس حرفًا ولا صوتًا لِمَ فعلتَ كذا، أليس أعطيتُك كذا من النعم، فينتهِى من حساب هذا الخلق كلّهم بساعةٍ واحدةٍ لأن كلامه ليس حرفًا ولا صوتًا، ولو كان حرفًا وصوتًا ما كان ينتهِى من حسابهم فِى ساعة بل كان يأخذ عليه أكثرَ من مائة ألف سنة. هذا يَفهم عن أىّ شَىْءٍ يسأله الله وهذا يفهم وهذا يفهم. بعدَ هذا قسمٌ من الناس يَأْمُرُ بهم إلى الجنة هؤلاء كلهم مؤمنون لم يعبدوا أحدًا غير الله وصَدَّقُوا الرُّسُلَ. والذين عبدوا غير الله أو

كَذَّبُوا الرسلَ يُساقون إلى النار. مدة القيامة خمسون ألف سنة. ما بين أن يخرجوا من قبورهم ويستقر الناس قسم فِى الجنة وقسم فِى النار مقدار خمسين ألف سنة. والشمس والقمر يُلَفَّان ويَذْهَبُ نورُهما ويُرْمَيَان فِى جهنم حتى يُخْزِىَ اللهُ الكفارَ الذين يعبدونَهما. اليومَ يوجد مَن يَعْبُدُ الشمسَ ويوجدُ مَن يعبدُ القمر، الشمسُ والقمرُ يكونان وَقودًا على الكفار زيادةً فِى وقود جهنم.

ثم يومَ القيامة حسابُ الخلق يكون فِى الأرض المُبَدَّلَة. هذه الأرض الله يُحَطّمُها يَكْسِرُها تكون مكسرة والجبال تَنْتَسِفُ تصيرُ كالغبار الناعم تطير فِى الجو فَيَحْسَبُهَا الناظرُ جامدةً وهذا معنى قوله تعالى فِى سورة النمل ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾[1] قبل أن تُدَكَّ هذه الأرض اللهُ ينقل هؤلاء البشر إلى ظُلمةٍ، بقدرته يكونون محمولين فِى تلك الظلمة ثم يُعادون إلى الأرض المبدلة من تلك الظلمة فيُحاسبون. وورد فِى الحديث أن أُحُدًا يكون فِى الجنة. ورُوِىَ أن المساجد تُزَفُّ يوم القيامة كالعروس إلى الجنة. وتواتر الخبر أن ما سوى ذلك من الأرض يُرْمَى فِى جهنم. تكون الأرضُ المبدلةُ أرضًا مستويةً بيضاءَ كقُرْصَة النَّقِىّ أى كالخبزة التِى من الطحين الصَّافِى ليس عليها جبال ولا وهاد ولكن مع هذا الله

(١) سورة النمل/الآية (٨٨).

تعالى يأتِي بالأرض التِي كان الإنسان يعمل فيها فتشهد على الشخص بأنه فعل كذا وكذا يوم كذا وكذا. انتَهَى.

والله تعالى أعلم.



**الدرس التاسع**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# النجاة فِى تعلُّمِ عِلمِ الدين

درسٌ ألقاهُ المحدثُ الشيخُ عبدُ الله بنُ محمدٍ العبدرىُّ رحمهُ اللهُ تعالى فِى بيته فِى محلّة أبِى شاكِر فِى رجَب سنةَ أربع وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق لشهر ءاب سنة ثلاث وألفين رومية وهو فِى بيان أن النجاة بتعلم علم الدين. قال رحمه الله تعالى رحمة واسعة

الحمد لله ربّ العالمين له النعمةُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحسنُ وصلواتُ الله البَرّ الرَّحِيم والملائكة المقرَّبِين على سيدنا محمدٍ وعلى ءاله وأصحابه الطيبين

أمّا بعدُ فإن الذِى يرَى الرّسولَ ﷺ فِى المنام إنْ رءاهُ بصُورته التِى هِىَ خَلقَهُ اللهُ عَليها مِن حيثُ اللونُ والجمالُ أو رَءَاهُ على غيرِها فهو حقٌّ فهذا الرَّائِى لا بدَّ أنْ يموتَ على الإيمان أمّا الكلامُ الذِى يقولُ الشّخصُ الرّسولُ قالَ لِى كَذا إنْ كانَ ذلكَ الكلامُ موافقًا لشَريعته فهوَ شَىْءٌ مؤكّدٌ وإلا فيَقولُ الرّسولُ لَا يقولُ شيئًا مخالفًا لِمَا قَرَّرَهُ فِى شريعته فأنا غَلطتُ مَا سَمعتُ ما قالهُ على الوجه الذِى قالهُ أنا توهّمتُ مَا ضَبطتُ مَا فهِمتُ كلامَ الرّسول اهـ أمّا مَن يقولُ رأيتهُ

فِى اليقظة، إنْ كانَ على حسب خلقته الأصليّة التِى فِى كتب الحديث وإلا فهوَ لم يَرَه فِى اليقظة. بعضُهم يراهُ وهوَ فِى قبره وهذه الأبنيةُ والجبالُ لَا تمنعهُ تصيرُ كالبِلَّوْرَة يراهُ كأنهُ أمامهُ وهذا لَا يكونُ إلَّا لِوَلِىّ. أمّا الذِى يقولُ رأيتهُ على غَير صورته التِى فِى كتب الحديث يقظةً فهوَ كاذبٌ. الشّيطانُ يستطيعُ أن يَظهرَ للشَّخص يقظةً فِى صورةٍ ليسَتْ صورةَ الرّسول فيقولُ أنا رسولُ الله لكنْ لَا يكونُ على طِبْق خِلْقَة الرّسول، لَا يكون.

بعضُ الأشخاص يزعمونَ أنّهم رأوا الرّسولَ يقظةً، هنا فِى بَيروت رجلٌ وامرأةٌ ادَّعيا ذلكَ. الرّجلُ قالَ أنا رأيتهُ يقظةً قلتُ لهُ ما صفة شَعره قالَ أبيَض فسَقطَ مِن أوّل كلمةٍ وظهَر كذِبهُ، كانَ جاءَ إلَينا مِن سِنينَ يريدُ أنْ يتعلَّمَ الرُّقَى ونحوَ ذلكَ فقلتُ لهُ تَعَلَّم العَقيدةَ أولًا فتردَّد أيامًا قلائلَ ثمَّ صارَ يدَّعِى أنهُ يرَى الرّسولَ يقظةً استدعيتُهُ فجاءَ فقلتُ لهُ ما لونُ شَعره قالَ أبيضُ فظهَر كذِبهُ الرّسولُ ﷺ ما طَلعَ لهُ منَ الشّيب إلّا نحوُ عشرين شعَرة.

ورجلٌ ءاخَرُ قالَ جاءَ الرّسولُ إلَىَّ أربعَ مرّاتٍ ثمَّ فِى المرّة الأخيرة وضعتُ لهُ سجّادة للصّلاة فَتَوَجَّهَ إلى عكس القبلة. هذا مِن بعلبكَ يَشتغلُ فِى الرُّقَى ولا يعرف الرُّقَى الفاسدةَ منَ الرُّقَى الصّحيحة ما زالَ حيًّا. أرسَلوا إلىَّ استِفتاءً فِى هذا فقلتُ لهم هذا الذِى ظهرَ لهُ شيطانٌ والذِى يعتقدُ أنَّ رسولَ الله ﷺ يصَلّى إلى

عكس جهة القبلة فهوَ كافرٌ قيلَ لِى إن هذا الرجلَ البعلبكىَّ تشهَّدَ عندما بلغهُ ذلك.

الجاهلُ الذِى لم يتعلَّم العقيدةَ ولا الأحكامَ الضّروريّةَ سَهْلٌ على الشّيطان أن يَتصرَّفَ فيه لذلكَ تَعَلُّمُ علم الدّين العقيدة والأحكام الضّرورية أمرٌ عظيمٌ. كَم مِنْ أناسٍ أخَذوا الطَّريقةَ واشتَغلوا بالذّكر كثيرًا ثمَّ صاروا ضالّينَ كافرينَ وهُم لَا يَشعرونَ هذا يأخذُ الطّريقةَ النَّقشبنديَّةَ وهذا يأخذُ الطَّريقةَ الشَّاذليَّة وهذا يأخذُ القادريَّةَ وهُم جهّالٌ فصارَ الشّيطانُ يتلاعَبُ بهِم يُوهِمُهُم عَن أمورٍ أنّها تُقرّبهم إلى الله وهِىَ فَاسدةٌ فصاروا ضالّينَ.

كانَ رجلٌ منَ الحبشة مجتهِدًا فِى العبادة لكنْ مَا تعلَّمَ علمَ الدّين الضّرورىَّ صارَ يُصَلّى الفجرَ معَ السّنة ويُصلى فِى الليل قبلَ الفجر ويُكثرُ منَ الذّكر كانَ يُصلى بينَ الصّبح والظُّهر عشرينَ ركعةً منَ السُّنَّة، الشّيطانُ أوهمَهُ أنهُ صارَ على حالةٍ عاليةٍ، ثمَّ الشَّيطانُ عمِلَ حيلةً ءَاذَى بعضَ النّاس وصارَ يحرّكهُم ليَذهبوا إليه فإذا جاءوا إليه يذهَبُ عنهُم الشّيطانُ ويتركُ أذاهم فدَخلَ هذا الرَّجلَ الغُرورُ وصارَ المصابُونَ الذينَ يأتونَ إليه يَتَعَافَوْنَ حَتى إنَّ الجنَّ صارُوا يتشكّلونَ بصُورة بشرٍ فيقولونَ لبعض جماعته هنيئًا لكم أنتم من أهل الجنة أنتم مع هذا الشيخ حَتى إنهُ ظُنَّ به أنهُ وَلِىٌّ، سَبعةٌ منَ الشّيوخ الذينَ لهم طَلبةٌ فِى علم الدين انضَمّوا إليه، ثمَّ الشَّيطانُ اشتغلَ به قالَ لهُ قُلْ للناس اختصرتُ لكم

رمضان على النصف فأعلن بما قالتْ له الشياطينُ، أولئكَ المشَايخُ الذينَ ظنّوا أنهُ وليٌّ الآنَ استَيقَظوا فرَفعوا عَليه دعوى عندَ الدّولة ثمَّ أولئكَ الشّياطينُ أخذتْهُ غَيَّبَتْهُ ولا يُدْرَى إلى الآنَ ماذا حَصَلَ لهُ، أَخْفَوْهُ.

فعليكُم بمجالس العلم وادْعُوا غيركُم إليهَا. انتَهَى.

والله تعالى أعلم.



**الدرس العاشر**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# قصة فاطمة الزبيرية

الحمدُ لله ربّ العالمينَ لهُ النّعمةُ ولهُ الفضلُ ولهُ الثّناءُ الحسنُ وصلواتُ الله البَرّ الرّحيم والملائكة المقرّبينَ على سيّد المرسلينَ وعلى ءاله الطّيّبينَ الطّاهرينَ.

أما بعدُ فبيانًا لأهمية الصلاة فِى الدين ذكر الشيخ عبد الله بن محمد الهررِىّ رحمه الله تعالى قسمًا كبيرًا من ترجمة فاطمة بنت أحمد بن عبد الدائم الزبيرية نسبة لبلدة الزبير فِى العراق من كتاب السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة وقَد قُرِئتْ على شيخِنا رحمهُ الله ليلة الأحد الحادِى والعشرين من ذِى القعدة سنة عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق للسادس والعشرين من شباط سنة ألفين رومية. قالَ صاحبُ كتاب السُّحب الوابلة فاطمةُ ابنةُ أحمدَ بن عبد الدّائم أمُّ عائشةَ بنت حمد الفُضَيْلِىّ الزُّبَيريّة وتُعرَفُ بالشَّيخة الفُضَيْلِيَّة بضم الفاء وفتح الضّاد المعجمة وإسكان الياء التحتيّة وبعدَها لامٌ مكسورةٌ فياءٌ تحتيّةٌ مشدّدةٌ الشّيخةُ الصّالحةُ العابدةُ الزّاهدةُ وُلدَت فِى بلد سيّدنا الزُّبير قُبَيل المائتين ونشَأتْ بها وقرَأتْ على شُيوخها وأكثرتْ

عن الشّيخ إبراهيمَ بن جديد فأخذَت عنهُ التّفسيرَ والحديثَ والأصلَين والفقهَ والتّصوفَ وقرأَت على غيره كثيرًا وتوجّهت إلى العِلم توجّهًا تامًّا وتعلّمَت الخطَّ مِن صِغَرها فأتقنتهُ وكَتبتْ كتبًا كثيرةً فِى فنونٍ شتّى وخطّها حَسنٌ منوّرٌ مضبوطٌ وصارَ لَهَا هِمَّةٌ فِى جمع الكتب فجَمعت كتبًا كثيرةً فِى سائر الفنون ولها محبّةٌ فِى الحديث وأهلِه فسَمِعت كثيرًا منَ المسلسلات وقرأَت شَيئًا من كتب الحديث وأجازها جمعٌ منَ العلماء واشتهَرت فِى مِصرِها وفِى عصرِها وكاتَبها الأفاضلُ منَ الآفاق وكاتبتْهُمْ بأبلغ عباراتٍ وأعظم مدحٍ ثمَّ حَجَّتْ وزَارتْ ورَجعتْ إلى مكّةَ المشرّفة وأقامَت بها فِى باب الزّيادة فِى بيتٍ ملاصقٍ للمَسجد الحرَام ترَى منهُ الكعبةَ المشرّفةَ وعزَمت على الإقامة فيها إلى الممات فتردَّد إليها غالبُ علماء مكّةَ المشرّفة وسمِعوا مِنها وأسمَعوها وأَجَازَتْهُمْ وأجازُوها خُصوصًا قَمَرَيْها النَّيّرَين العلامةُ الورِعُ الزّاهدُ الثَّبْتُ القدوةُ شيخُ الإسلام الشيخُ عُمر عبد الرسول الحنفِى والعلامةُ الحجةُ الورِعُ العمدةُ الشيخُ محمد صالح الرّيس مُفْتِى الشافعيّة فإنهما كانا كَثِيرَى التَّرَدُّد إليها والسّماع منها من وراء ستارةٍ ويَريان أنهما يستفيدان مِنها وهِىَ تَرَى كذلكَ كما أخبرنِى بذلكَ تلامذتُها منهُم الشّيخُ محمّدُ بنُ خضر البصرىُّ قالَ وكانَت هذه حالهما مع بعضِهما فإنَّ الشّيخَ عمر كانَ يُسابِقنى إلى حمل مداس الشيخ محمّد صالح وتقديمِها لهُ من غير أن يَعلمَ والشّيخُ محمد صالح يقولُ يا ليتَنى

شعرةً فِى جسد الشّيخ عمر فصارَ للشّيخة المذكورة شهرةٌ عظيمةٌ وصيتٌ بالغٌ وأسندَتْ كثيرًا منَ المسلسلات وأخذَت الطّريقةَ النقشبنديّةَ والقادريّةَ وكانَ لها أورادٌ وأحزابٌ ومَشربٌ رَوِيٌّ فِى التّصوف وأرشدَتْ خَلقًا منَ النّاس سيّما النّساء فقَد لازمْنَهَا مُلازمةً كلّيّةً وانتفَعْنَ بها انتفاعًا ظاهرًا وصَلحتْ أحوالُ كثيرٍ منهنَّ وصارَ مَن يتردّدُ إليها منهنَّ يُعرفُ من بين النّساء بالدّين والتّقوَى والوَرع والمواظبة على فرائض الدّين والقناعة والصّبر وحسن السّلوك.

واتّفقَ لها كَرامةٌ ظاهرةٌ باهرةٌ لا يمكن ادّعاؤُها وهِىَ أنهُ كُفَّ بَصرُها فِى ءَاخِر عُمرها فبَقيَتْ على ذلكَ نحوَ سنتين أو أكثرَ وكانت بعضُ النّساء الصّالحات تخدِمها محبّةً فيها وتبرّكًا بها فعَرضَ لها شغلٌ فِى بعض الليالى عندَ زوجِها وأولادِها فاستأذنت الشّيخةَ فِى المبيت عندَهم تلكَ الليلة فأذِنت لها فقامَت الشّيخةُ تلكَ الليلة للتهجّد على العادة ولَم يكنْ لها خَبرٌ بالدَّرجة فتوضّأتْ وزَلِقتْ رِجْلُهَا فسَقطتْ وانكسرَ ضِلَعَان من أضلاعِها فَعَصَبَتْهُما وصَلَّتْ راتِبَها بغاية التكلّف والمشقّة ثمَّ غَفَتْ فرأت النبىّ ﷺ ومعَهُ أبو بكرٍ وعمرُ رَضِىَ الله عنهُما مُقْبِلِين من نحو الكعبة قالتْ فأخذَ النبىّ ﷺ مِن رِيقِه الشّريف بطرف ردائه وقال امْسَحِى عينَيك فَمَسَحَتْهُما فأبصرَتْ فِى الحال ثم مَسحتْ على الكسر فَبَرَأَ فِى الحال فقالَ يا فاطمةُ من غير استئذانٍ فقلتُ يا سيّدى يا رسولَ الله إنَّ الحدثَ الأصغرَ

يندرجُ فِى الأكبر وأنتَ قد أذِنْتَ فِى البَصر وهو أعظمُ فتبسَّم ﷺ وقالَ عمرُ عبد الرسول ومحمد صالح الريس فِى مكانهما كأبِى بكرٍ وعمرَ فِى زمانِهما وفلان وفلان عندَ الناس منَ العلماء وهما عندَ الله منَ الفسّاق اهـ فلمَّا أصبحَتْ وأتى النّساءُ إليها على العادة وَجَدْنَهَا مُبصِرةً وقَصَّتْ عليهِم الرّؤيا وأتى الشّيخان المذكوران فأخبرَتهما فبَكيا وَبَكَتْ وسألاها أن لا تخبرَ بأسمائِهما فقالَت لا أكتم ذلكَ وهوَ بإشارة النبىّ ﷺ فناشَداها اللهَ فِى ذلكَ فقالَت لكُما علىَّ ذلكَ إلى قُرْب وَفَاتِى أو مَوْتِكُمَا قَبْلِى فَقَدَّرَ اللهُ وفاتَهما قبلَها فأخبرَتْ بأنهما الممدوحان وأما المذمومان فلَم تُخبِر أحدًا بل يقالُ إنها أرسلَت إليهما وأخبرَتهما ونصحَتهما ولم يُعْلَم مَنْ هما إلى الآنَ إلا بالظّنّ والتّخمين واللهُ العالمُ بالسّرائر والضّمائر، واشتهَرتْ هذه الرّؤيا وتناقلَتها الرّكبانُ وكاتَبَهَا علماءُ الشّام والغرب بأنْ تكتُبَ لهم هذه الواقعةَ بخطّها ورأيتُ كتُبهم البليغةَ بطلب ذلكَ اهـ إلى أنْ قالَ وأما النّساءُ فاعتقادُهُنَّ فيها فوق الحدّ وانتفاعُهُنَّ بها لا يُحْصَى بالعدّ حتى إنَّ مَنْ صحِبها منَ النّساء إلى اليوم يُعرَفنَ بالتّفقه والصّلاح والعبادة والحرص على الخير والقناعة والورع وبالجملة فقد كانَت مِن عجائب الزّمان جمالًا للوَقت وفَخرًا للنّساء ووَقفتْ كُتُبَهَا جميعَها على طلبة العلم منَ الحنابلة وجعلت النّاظرَ عليها بَلَدِيَّها التقىَّ الصّالحَ شيخَنا الشّيخَ محمدًا الهديبىَّ فكانَت عندَه إلى أنْ أرادَ النُّقْلَةَ

إلى المدينة إلخ. وذكرَ أنّها توفّيَت سنةَ ألفٍ ومائتين وسبعٍ وأربعينَ ودُفنَت فِى المُعَلَّاة فِى شعبة النّور لَصِيقةً لقبر الشّيخ محمّد صالح الريس بوصيةٍ منها رحمَهُم اللهُ تعالى. انتَهَى.

والله تعالى أعلم.



**الدرس الحادى عشر**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# من كذب بشريعة محمد فهو كافر

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق للثالث من شهر تشرين الأول سنة تسع وتسعين وتسعمائة وألف رومية فِى بيته فِى بيروت وهو فِى بيان أن من كذب بشرع سيدنا محمد ﷺ فهو كافر. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ لله ربّ العالمينَ لهُ النّعمةُ ولهُ الفضلُ ولهُ الثّناءُ الحسنُ وصلواتُ الله البَرّ الرّحيم والملائكة المقرّبينَ على سيّد المرسلينَ وعلى ءاله الطّيّبينَ الطّاهرينَ

أما بعد فالإنسان الكافر والجنىُّ الكافر أَخَسُّ خلق الله. ثم فِى القرءان الكريم فِى سورة البيّنة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾[1] الكفارُ إن كانوا من أهل الكتاب الكفار أو من الوثنيين من عبدة الشمس أو من عبدة النجم، أخسُّ خلق الله أى شر المخلوقين.

(١) سورة البينة/الآية (٦).

بعض الجاهلين يقولون أهل الكتاب ليسوا كفارًا. على زعم بعض الناس ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ معناه بعض أهل الكتاب وبعضٌ ليسوا كفارًا. هذا جهل بالشرع واللغة. مِنْ هذه بيانيةٌ ليست بَعْضِيَّةً. اليهودُ والنصارى قيل لهم أهل الكتاب لأنهم ينتسبون إلى التوراة والإنجيل انتسابًا فقط وهم لا يَتْبَعُونَهُمَا. النصارى لا يتبعون الإنجيل الذِى أنزله الله على عيسى واليهود لا يتبعون التوراة التِى أُنزلت على موسى إنما أخذوا الاسم فقط ما تركوا الاسم لذلك يُسَمَّوْن أهلَ الكتاب وهم تركوا حكم التوراة والإنجيل من زمان. لَمَّا كذّبوا سيدَنا محمدًا ﷺ انخلعوا من التوراة والإنجيل الأصليَّيْن. فِى بَدْء الأمر صاروا يحرفون المعنى. لفظ التوراة ولفظ الإنجيل تركوهما كما هما لكن حرفوا المعنى ثم حرفوا اللفظ والمعنى. الآن لا يوجد توراة حقيقية بين البشر ولا إنجيل حقيقىٌّ بل لفَّقوا كلماتٍ خبيثةً فيها نسبةُ الحقارة إلى الأنبياء.

هذا الإنجيلُ الموجودُ اليومَ فِى أيدِى النصارى يوجد فيه كلمة فيها طعنٌ بسيدنا عيسى فإنَّ فيه ملعونٌ مَنْ عُلّقَ على خشبة وهم يزعمون أن سيدنا عيسى عُلّقَ على خشبة كيف هذا. حكموا على سيدنا عيسى بأنه ملعون. هذا لا العقل يقبله ولا الناس فِى عادتهم لأن الذِى يعلق على خشبة إما أن يكون مظلومًا أو مستحِقًّا فكيف يقال كل من عُلّق على خشبة ملعون. مَنْ يستحى مِن الكذب لا يقول هذا. لو سُئِلَ هؤلاء ألا يُعَلَّقُ إنسانٌ مظلومٌ لقالوا بلى. مع هذا بعضُ الناس

ممن أفسدَ اللهُ قلوبَهم يُنْكِرُ ضلالَهم. فِى البقاع مرة كنا فِى بيت فِى بعلبك فجرى ذكر النصارى فقال قاضٍ بلفةٍ وجُبَّة كان حاضرًا الروم ليسوا كافرين. النصارى يعبدون عيسى ويعبدون مريم والخوارنة، الروم وغير الروم منهم هكذا. هذا الذِى يقال له البابا عندهم وكيل الرب. الخوارنة أَحَلُّوا لهم ما حرَّمَه المسيحُ وحرَّفوا دين عيسى عليه السلام. الربا كان حرامًا فِى التوراة والإنجيل ولحمُ الخنزير كان حرامًا فِى التوراة والإنجيل ثم علماء النصارى أَحَلَّتْ لهم أما اليهود فبحسب الظاهر لا يُحَلِّلُونَ. وكان فِى شريعتِهم الوضوءُ والصلاةُ بركوعٍ وسجود، وكان الصيامُ فلا يُؤكل فِى وقته شىء ولا يُشرب شىء ثم غيَّروا لهم فأطاعوهم. هذه الكنائس يجتمعون فيها فِى الأسبوع يومَ الأحد مرةً واحدةً. الصلاة فِى شريعة سيدنا عيسى كلَّ يوم. وسيدنا عيسى عليه السلام ما كان يُدَفّعُ مالًا كلَّ سنة على العمال وغير العمال باسم الكنيسة. هم باسم دينهم يعيشون كالملوك مِنْ دون أن يتعبُوا يأكلون ويلبسون اللباس الفاخر بدون تعب. باسم الكنيسة يأكلون من الأغنياء ويوزعون للفقراء شيئًا قليلًا.

الحاصلُ أنَّ مَنْ لم يعتقد بلزوم اتّباع الشريعة المحمدية فهو كافرٌ ومن شك فِى كفره فهو كافر. لو طلع واحد فقال أنا أعبد الله أقول لا إله إلا الله لكن ليس علىَّ أن ألتزم بشرع سيدنا محمد فهذا كافر. كلّ رسولٍ مَنْ أنكر شريعتَهُ فِى زمانه فهو كافر. لما كان سيدنا موسى على ظهر الأرض الذِى قال أنا لا يجبُ

علىَّ أن ألتزم بشريعتك لكن لا أعبد غير الله فهو كافر. كذلك فِى أيام عيسى. كذلك فِى أيام سيدنا إبراهيم. كذلك فيما قبل.

فِى هذه الأمة يوجدُ أناسٌ انحرفوا عن دين الله عن عقيدة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وهم يَدَّعُونَ الإسلامَ بل يدعون أنهم أولياءُ وهم حرَّفوا شريعةَ الله كهؤلاء اليَشْرُطِيَّة الذين يقولون اللهُ داخلٌ فينا يقولون هذا معنى الحىُّ القيوم. القيوم يقولون الداخل فينا. هؤلاء لا ينفعُهم صلاةٌ ولا صيامٌ ولا حجٌّ ولا زكاةٌ لأنهم خالفوا الأساسَ أساسَ الإسلام، خرجوا من توحيد الله فماذا ينفعهم انتسابهم إلى الإسلام وإلى شريعة الله. الذِى لا يعرفهم يظنُّهم صوفيةً من طبقةٍ عالية، الصوفية فِى الأصل مَنْ صَفَتْ قلوبُهم وزَكَتْ أعمالُهم ويترفَّعون عن الشهوات يقلّلُون من الأكل والشرب ويتبعون الشريعةَ فِى الظاهر والباطن ويزيدون على الفرائض أنهم قصدًا يتركون الكثيرَ من الحلال. هؤلاء الصوفيةُ كالخلفاء الأربعة كأبِى بكر وعمر وعثمان وعلىّ، وبعدَهم كان صوفيةٌ من التابعين ومَنْ بعدَهم وإلى يومنا يوجد صوفيةٌ حقيقيةٌ لكن المنحرفون كثُروا، تعلقوا بالاسم وتركوا الحقيقة كما أن النصارى تمسكت باسم الإنجيل وعَطَّلُوهُ فاحذروا هؤلاء اليشرطية وأمثالَهم. انتَهَى.

والله تعالى أعلم.

**الدرس الثانِى عشر**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# تفسير سورة العصر

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى بيروت فِى برج أبِى حيدر قبل سنة خمس عشرة وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق لما قبل سنة خمسة وتسعين وتسعمائة وألف رومية وهو فِى تفسير سورة العصر. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه من النبيين وعلى ءاله الطيبين الطاهرين.

أما بعد فقد كان من عادة أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا أن يقرأ بعضهم هذه السورة ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[1]. وذلك لأن هذه السورة جامعة لما يكون به العبد ناجيًا مفلحًا فِى الآخرة.

(١) سورة العصر.

أول خصلة ذكرت فيها هِيَ خصلة الإيمان، الإيمان إذا أطلق يكون شاملًا للإيمان بالله ورسوله كما فِي هذه الآية أما إذا جُمع بين ذكر الله وذكر الرسول فيكون كل من اللفظين لمعنى خاص كقوله تعالى ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1] فالإيمان بهما مُصَرَّحٌ به أما فِي سورة العصر فأُجملت العبارة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. ثم ذكر الله تعالى الخصلة الثانية وهِيَ عمل الصالحات، وعملُ الصالحات عبارة عن أداء ما افترض الله على عباده من الأعمال. ثم ذكر الخصلة الثالثة بقوله ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ أى نصح بعضهم بعضًا بالإرشاد إلى عمل الخير والبر أى لا يداهنون ولا يغش بعضهم بعضًا. ثم ذكر الخصلة الرابعة وهِيَ ما فِي قوله تعالى ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ وذلك بمعنى التناهِي عن المنكر وأن لا يداهن بعضهم بعضًا لأن المداهنة خلاف حال الصالحين. الله تبارك وتعالى أخبر فِي هذه الآية بأن الإنسان فِي خسر أى فِي هلاك إلا من جمع هذه الخصال المذكورة فِي هذه السورة الإيمان بالله أى ورسوله وعمل الصالحات والتواصِي بالحقّ أى يحث بعضهم بعضًا على عمل البر والتواصى بالانكفاف عما حرم الله تعالى لأن الصبر إذا أطلق قد يكون شاملًا للصبر على الطاعات وللصبر عن المعاصِي وللصبر على البلايا والشدائد والمشقات وهذا حال من اختارهم الله تعالى من المؤمنين بأن يكونوا من أحبابه

(١) سورة الصف/الآية (١١).

وأصفيائه وأوليائه هذه حالتهم أما من ليس على هذه الحالة فلا يكون من أولئك.

أقل أحوال المسلم أن يكون مؤمنًا بالله ورسوله مجتنبًا للكفر هذا أقل أحوال المسلم أما الزيادة على ذلك بالعمل على الخصال المذكورة فِى هذه السورة فهذا شعار الصالحين المفلحين الناجين يوم القيامة من الخِزيِ والعذاب. والشرط فِى أن محبة الله تبارك تعالى تثبت لمن يتناصحون فِى الله تعالى هو هذا، لا يكون الإنسان محبًّا لأخيه فِى الله تعالى إلا إذا عمل بهذه الآية يدله على الخير الذِى يحبه الله مِن فِعل الواجب وينهاه عما يكره الله تعالى من المحرمات هذه صفة المتحابين فِى الله الذين ورد فِى الحديث الصحيح الذِى رواه البيهقى[١] والحاكم[٢] وابن حبان[٣] وغيرهم **حَقَّتْ مَحَبَّتِى للمتحابين فِىّ** اهـ ثم أَتْبَعَ رسولُ الله ﷺ فِى هذا الحديث القدسِىّ الذِى يرويه عن ربه تعالى كلمات أخرى منها **وحَقَّتْ مَحَبَّتِى للمتناصحين فِىّ** اهـ جعلنا الله مِن أهل ذلك اللهمّ حَقّقْنَا بذلك اللهم حققنا بذلك اللهم حققنا بذلك.

(١) رَواه البيهقىّ فِى سننه الكبرى باب شهادة أهل العصبية.
(٢) رَواهُ الحاكمُ فِى المستدرك كتابُ البِرّ والصّلَة.
(٣) رَواهُ ابنُ حبّانَ فِى صَحيحِه فِى ذِكْر إِيجَاب مَحبَّة الله لِلْمُتَناصِحينَ وَالْمُتَبَاذِلينَ فِيه.

عليكم بالعمل بهذه الآية وهذا الحديث لتكونوا من المفلحين الناجين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. انتَهَى.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



**الدرس الثالث عشر**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# بيان أن العمل بالقرءان والحديث فرض

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى سويسرة سنة اثنتى عشرة وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق لسنة إحدى وتسعين وتسعمائة وألف رومية فِى لوزان وهو فِى بيان أن العمل بالقرءان والحديث الثابت فرض. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد أشرف المرسلين وسلم.

أما بعد فقد قال الله تبارك وتعالى فِى سورة النور ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[1] فِى هذه الآية دليل على أن العمل بحديث رسول الله فرض كما أن العمل بالقرءان فرضٌ. الله تعالى أنزل على رسول الله نوعين مِن الوَحْى الوَحْىُ القرءانِىّ والوحىُ الحديثِىُّ فمن أنكر واحدًا منهما فقد كفر. بعض الناس من أهل هذا العصر يكون فِى أنفسهم فِى قلوبهم ما فيها من الزغل والفساد فيتسترون أمام الناس بقولهم لا نعمل إلا بالقرءان نعمل بالقرءان فقط فهؤلاء ملحدون لأنه لو

(١) سورة النور/الآية (٥٤).

كان لا يجب الأخذ بالحديث إلا بالقرءان ما ذكر الله تبارك وتعالى إلا طاعته ما ذكر طاعة الرسول لكنه ذكر طاعته وطاعة الرسول أمرنا بطاعته سبحانه وتعالى وطاعة رسوله ففهمنا أن العمل بالحديث أى قول الرسول وفِعْلِه فرضٌ لازم كما أن ما نص عليه القرءان الأخذ به فرض لازم.

ثم إن الحديث الذِى يجب العمل به هو ما رواه الثقات، الصحابة لا يكذبون على رسول الله ولا فرد واحد منهم، لا يكذب الصحابِى، إذا روى حديثًا عن رسول الله ﷺ فهو عدل فِى روايته عن رسول الله لا يُتَّهَمُ بالكذب، أما فِيمن بعد الصحابة فيُشترط أن يكون الراوِى ثقة، كذلك فيمن بعد التابعى يُشترط أن يكون الراوى ثقة. معنى الثقة هو الذِى سَلِمَ من المعصية الكبيرة ومن الإصرار على الصغيرة بحيث تزيد معاصيه على طاعاته فمن غلبت معاصيه طاعاته فهذا ليس ثقة. فالحديث الذِى يرويه أناس من التابعين وممن بعدهم مَن هم ثقة بمعنى أنهم عدول سالمون من الكبائر ومن الإصرار على الصغائر أى أن تكثر صغائرُهم وتزيد على حسناتهم مَن سَلِمَ من ذلك وكان أيضًا متخلّقًا بخلق أمثاله لا يتعاطى عملًا الناسُ يعتبرونه رذالة وخساسة ودناءة مثل الذِى يُطَيّرُ الحمام، وتَطيِيرُ الحمام يُنافِى العدالة لأن نفوس الناس لا تثق به، كذلك الرقَّاص، لو كان يؤدى الفرائض ويجتنب المحرمات الرقاص وأمثاله ليسوا مقبولين فِى رواية الحديث عن رسول الله فَمَن سلم من الكبائر والإصرار على

الصغائر أى أن تزيد صغائرهم على حسناتهم وكان متخلقًا بأخلاق أمثاله لا يكون ممن يتعاطى ما يكون عند الناس خساسة محلًّا للتهمة والنفور عن قبول كلامه فهو عدل، فالحديث الذِى يرويه هؤلاء يجب العمل به كما يجب العمل بالقرءان أما هؤلاء الملحدون المتسترون بدعوَى أنهم لا يعرفون الحديثَ الصحيحَ مِن غيره، يقولون الحديث اختلط ما يُدرينا بالصحيح منه من غير الصحيح فهؤلاء يقال لهم الحديث له أهلٌ ميَّزوا صحيحَهُ مِن سقيمه فما صحَّحَهُ أهل الحديث فهو كلام الرسول ﷺ الذِى عناه الله بقوله ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[1] هذا هو، هذا الحديث الذِى يرويه هؤلاء الثقات لو ثقة واحد عن مثله رواه فيجب العمل به كما يجب العمل بما جاء فِى القرءان.

ثم إن كل ما ثبت عن رسول الله ﷺ منَ الفرائض والنوافل يُسَمَّى سُنَّةَ رسول الله أىْ طريقتَهُ، ليس معنى السنة فِى الأصل ما قابل الفرض لا هذا اصطلاحٌ للفقهاء، الفقهاءُ فِى مؤلفاتهم إذا أرادوا الفرق بين الفرض وغيره من أمور الدين من أعمال الدين يقولون هذا فرض هذا سنة أما فِى الأصل فالسنة تشمل الفرائض والنوافل، كلُّ ما جاء به رسول الله ﷺ يقال له سنةٌ سنةُ رسول الله ﷺ ثم إذا أريد تمييز ما هو فرض مما هو ليس بفرض يقال هذه سنة واجبة سنة مفروضة وهذه سنة غيرُ مفروضة غيرُ واجبة، يُمَيَّزُ على

(١) سورة النور/الآية (٥٤).

هذا الشكل، وهذا الذِى عناه رسول الله ﷺ بالحديث المشهور الصحيح الحديث الذِى ذكر فيه الستة الذين لعنهم الله ولعنهم كل نبىّ مجاب، ذكر الرسول فِى هؤلاء الستة التاركَ لِسُنَّتِه المفارق للجماعة قال **والتاركُ لسُنَّتِى**[١] معنى التارك لسنتِى أى العقيدة التِى أنا جئت بها التِى هِىَ أصول العقيدة وفروعها العقيدة لها أصول ولها فروع ولها أصل الأصول، العقيدة منها أصل الأصول ومنها أصول، منها أصل هذه الأصول ومنها أصول ليست بمثابة هذه بل أقل منها أهمية. أصل العقيدة هِىَ معرفة الله ورسوله الإيمان بهما ليس مجرد المعرفة لأن مجرد المعرفة لا يكون الإيمانَ الذِى يوجِبُ النجاة فِى الآخرة وذلك لأن الإنسان قد يعرف الشىء وينكره مع معرفة قلبه ينكر الشىء الذِى يعرفه قلبُهُ كما قال الله تبارك وتعالى عن اليهود ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾[٢] معنى هذه الجملة أن اليهود كانوا يعرفون أن محمدًا ﷺ نبىُّ الله كيف كانوا يعرفون لأن كتابهم التوراة وكتبَ الأنبياء الآخرين وكتبَ علمائهم المسلمين كانت تذكر محمدًا بنعته وصفته فهم وصل إليهم هذا فعرفوا أن محمدًا ﷺ نبِىّ الله لكن عنادًا ينكرونه يكذبونه بألسنتِهم وقلوبُهم تعرفه تعرفُ أنه نبِىّ، هذه معرفة بلا تصديق معرفةٌ بلا إذعانٍ المعرفةُ إذا اقترن بها الإذعان أى رضا النفس فهو الإيمان، معنى

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه فِى ذكر لعن المصطفى مع سائر الأنبياء أقوامًا من أجل أعمال ارتكبوها.
(٢) سورة الأنعام/الآية (٢٠).

الإذعان رضا النفس بالشيء الذِى عَرَفَتْهُ، إذا نفسُكَ رضيتْ بالشيء الذِى عَرَفَتْهُ بقلبك فهذا هو الإيمان أما مجرد المعرفة مع عدم الإذعان ليس إيمانًا مقبولًا عند الله إنما الإيمان الذِى هو مقبول عند الله الذِى يوجب لصاحبه الخلودَ فِى الجنة والنجاةُ من الخلود فِى النار هِىَ المعرفة التِى قارنها إذعانُ النفس أى قَبول النفس، إذا اجتمعَتِ المعرفةُ والقبولُ فِى القلب هذا هو الإيمان، مجرد المعرفة لا تكفِى لكن إذا قلنا الإيمانُ معرفةُ اللهِ ورسولِهِ المرادُ تلك المعرفةُ التِى يَقترن بها الإذعانُ الإذعانُ القلبى.

المراد بالسنة فِى هذا الحديث وهو قوله عليه الصلاة والسلام فِى تعداد الستة الذين لعنهم الله ولعنهم الأنبياء **والتارك لسنتى** مَن ترك عقيدة أهل السنة التِى كان عليها الصحابة ثم التابعون ثم أتباع التابعين وهلم جرًّا، الأمةُ لا تخرج عن ذلك، جمهورُ الأمة لا يخرجون عن تلك العقيدة فهؤلاء الذين شَذُّوا فِى العقيدة عما كان عليه الصحابة ومَن تبعهم هؤلاء الذين لعنهم الله ولعنهم كلُّ الأنبياء أما مَن خالف فِى الأعمال بأن ارتكب محرّمًا أو ترك فرضًا مِنَ الفرائض العملية ليست الفرائض الاعتقادية فهذا يستحق العقاب لكن ليس مثل أولئك الذين شذوا فِى العقيدة عما كان عليه الصحابة ومن تبعهم. هِىَ هذه العقيدةُ، منها معرفة الصفات الثلاث عشرة الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والوحدانية والقيام بالنفس أى استغناء الله عن كل شيء أنه لا يحتاج إلى غيره لا

ينتفع بأحد ولا ينضر بأحد والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام والحياة، هذه الصفات الثلاث عشرة يقال لها أصول العقيدة، هذه الصفات الثلاث عشرة أهم من كل العقائد بالنسبة لخطورة إنكارها أو الشك فيها فمن أنكر صفة واحدة من هذه الثلاث عشرة أو شك فِى قلبه فهو غير مؤمن غير مسلم عند الله. ثم يبقى من أصول العقيدة الستةِ التِى فسر رسولُ الله الإيمان بها فِى حديث جبريل خمسةٌ، لَمَّا جاءه جبريل بصورة إنسان لا يعرفه ولا يعرفه أحد من الصحابة سأله عن الإسلام الرسولُ فسّر له الإسلام بخمسة أشياء، أي يعملها الإنسان بجوارحه ببدنه، وفسر له الإيمان بستة أشياء اعتقادية ليست عملية قال **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره** اهـ وفِى لفظ **والقدر كله** الخمسة الباقية تُلْحَقُ بتلك الأصول أى أصول العقيدة الثلاث عشرة صفة وإنما كانت تلك أهمَّ بالنسبة لمن شك فيها أو أنكرها لأن هذه الثلاث عشرة يدل عليها العقل، فلا يُعذر أحدٌ لو كان ممن أسلم اليوم لا يعذر فِى إنكارها أو الشَكِّ فيها، لا يعذر فمن أنكر واحدة منها أو شك فإنه ليس بمسلم ليس بمؤمن عند الله وهى مذكورة فِى القرءان بعضها باللفظ وبعضها بالمعنى، هذه الثلاث عشرة من أنكرها فهو كافر لا يُعذر لو كان قريبَ عهد بإسلام ولو كان عاش بعيدًا من الأرض التِى يوجد بها علماء لو كان عاش بعيدًا من البلد التِى فيها أهل العلم لا يعذر، أما ما سوى

ذلك كالصلوات الخمس إذا إنسان عاش ببلد ليس فيها عالم يُحدّث الناس عن أمور الدين إن فِى الإسلام خمسَ صلواتٍ مفروضاتٍ وإن فِى الإسلام صيامَ شهر واحد من السنة رمضان وإن فِى الإسلام زكاةَ الأموال وإن فِى الإسلام حجَّ بيت الله الحرام لو عاش فِى بلد لا يُتحدث فيها من صغره إلى الوقت الذِى هو فيه ما سمع من أحد لكنه عرف اعتقد بقلبه أنه لا أحد يستحق أن يعبد إلا الله الذِى لا يشبه شيئًا وأن محمدًا رسوله صادق فِى كل ما جاء به مِن قِبَل الله عرف من الإسلام هذين الأمرين فقط لم يعرف أن هناك الصلواتِ الخمسةَ وأن هناك صيامَ رمضان وأن هناك زكاةً وأن هناك حجَّ بيت الله الحرام ما سمع بهذه كلها أو كان قريب عهد بإسلام لا يعرف أن المسلمين من دينهم هذه الأشياء لا يعرف أسلم من أسبوع من شهر من شهرين أو أكثر هذا يُعذر بمعنى لا يُكَفَّرُ إن أنكر هذه الأشياء لا يكفر لأنه ما سمعها ولا العقل يدل عليها العقل لا يدل على أن الصلوات الخمسَ فرض وأن صيام رمضان فرض وأن الحج فرض وأن الزكاة فرض لا يدل العقل لولا ورودُ السمع أى الخبرِ منَ الله تبارك وتعالى عن طريق النبىّ ﷺ ما عرفنا هذه الأشياء لذلك قريب عهد بالإسلام ومن عاش فِى أرض لا يسمع فيها بأمور الإسلام لا يكفر إن أنكرها أو شك فيها يُعَلَّمُ، بعد أن يعلم أن هذا من دين الإسلام إن عاد إلى الإنكار أو الشك عندئذ يكفر، أما هذه الصفات الثلاث عشرة وجوده وكونه أزليًّا لا ابتداء

لوجوده وكونه غنيًّا عن كل شيء مستغنيًا عن كل شيء وكونه واحدًا لا ثانى له وكونه باقيًا لا يلحقه فناء وكونه عالـمًا بكل شيء وكونه قادرًا على كل شيء وكونه سميعًا بصيرًا على ما يليق به ليس على معنى سمع المخلوق وبصره وكونه مخالفًا للحوادث أى لا يشبه العالم لا يشبه أىَّ شيء مما أحسسناه بأبصارنا ومما لم نحسسه بأبصارنا كالعرش الآن العرشُ نحن ما رأيناه مع ذلك [هو] مخلوق من المخلوقات له حدٌّ لا شكَّ له مِساحة مهما اتسعت ومهما بَعُدت مساحته أما الله تبارك وتعالى فالعقل السليم يعلم بأنه ليس شيئًا له حدٌّ لأن الشيء الذِى له حدٌّ يحتاج إلى مَن جعله على ذلك الحد، الشيءُ لا يجعل نفسه على الحد الذِى هو عليه.

وكونه حيًّا أى متصفًا بحياة هِىَ صفة أزلية ليست كحياة المخلوقين، حياةُ المخلوقين هِىَ بالروح واللحم والدم.

حياةُ الإنسان بالروح واللحم والدم وكونه متكلمًا أى له كلام لكنه لا يشبه كلام المخلوقين كلام المخلوقين له ابتداءٌ وانتهاء وله ترتيب أما الله تعالى متصف بكلام ليس هكذا ومع ذلك أنزل كتبًا سماويةً على بعض الأنبياء هذه الكتب عبارة عن ذلك الكلام ذلك الكلام الذِى هو ثابت لذات الله تعالى ليس حادثًا أى ليس شيئًا يُبتدأ ثم يُختم يوجد شيء منه ثم ينقضِى ثم يوجد شيء منه ثم ينقضِى.

هذه الصفات العقلُ لو لم يرد الشرع يَعلم بثبوتها لله

تعالى لذلك إنكار واحدة من هؤلاء الثلاث عشرة كفر سواء كان قريب عهد بإسلام أو ناشئًا ببلد بعيدة من علماء الإسلام فِي الحالين يكفر، على أن القرءان نزل بها لكن فِي القرءان لم تأت معدودة على هذا الترتيب الوجود والوحدانية والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر والحياة، القرءانُ دلَّ على معانيها لو لم يسردها على الترتيب كما نحن نسردها عند تعليم الناس، القرءان مشتمل عليها يفهم معانيها من عدة مواضع من القرءان، القيام بالنفس هو معنى قول الله تعالى ﴿ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾[1] وكذلك بقيةُ الصفات الثلاث عشرة تُفهم من القرءان لو لم ترد باللفظ الذِى نحن نسرده عند التعليم فأىّ إنسان أنكر قدرة الله على كل شىء أو شك فِي ذلك هذا لا يعذر بل يكفر ولا يقال هذا قريب عهد بإسلام هذا نشأ بأرض بعيدة من العلماء بل يكفر أما تلك الأشياء الصلوات الخمس وصيام رمضان والحج والزكاة هذه إذا كان الشخص قريب عهد بإسلام ما كان يسمع أن المسلمين من دينهم هذه الأشياء ما سمع، أو كان وَلَدَهُ أبوان مسلمان ثم تركاه فِي شاهقٍ ليس فيه أحد يعرفُ يتكلمُ بأمور الدين فهذا لا يكفر إن أنكر شيئًا من هذه الأشياء، كذلك لا يكفر إن أنكر حرمة الزنى وأكل لحم الخنزير وشرب الخمر إن أنكر هذه الأشياء أيضًا لجهله لأنه ما سمع

(١) سورة الممتحنة.

أن دين الإسلام يحرّم هذه الأشياء استحلَّها لا يكفر بل يُعلَّم لأن هذه الأشياء لا يدل عليها العقلُ، الصلوات الخمس لا يدل العقل على وجوبها وكذلك الصيام صيام رمضان وكذلك الحج وكذلك الزكاة العقل لا يدل على وجوبها لولا أن الشرع ذكرها لولا أن الرسول بيَّنها ما كنا نعرف أن هذه الأشياء فرض أما الصفات الثلاث عشرة لو لم يذكرها الله ورسوله العقل يعرف، العقلُ الصحيح يعرف لأن العقل الصحيح يعرف أن هذا العالم ما وجد من دون موجِد لا يصح فِى العقل الصحيح وجود هذا العالم من دون موجِد من دون مكوّن ولا يصح فِى العقل أن يكون مكوّن هذا العالم يشبه العالم بل العقل يقضِى بأن مكون هذا العالم لا يشبهه.

كان فِى زمن سيدنا عمر رجل أسلم من وقت قريب ثم صار يتحدث بين الناس يقول عن نفسه إنه زنى هذه الليلة زنيت يعنى كأنه لا بأس بهذا عنده من شدة جهله لكونه قريب عهد بإسلام كان يتحدث كأن ما فيها بأس كأنه عمل شيئًا لا بأس به فأُخْبِرَ سيدنا عمر فقال علّموه أنه حرام أن الزنى حرام ما قال هذا كفر ارتد كيف يعتقد أن الزنى حلالٌ لم يَقُلْ إنه مرتَدٌّ قال عَلّموه اهـ فإذا عاد بعد ذلك إلى تحليله أى بعد أن يعرف أنه فِى دين الإسلام الزنى حرام يجوز للخليفة قتله. انتَهَى.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

**الدرس الرابع عشر**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# بيان عظم ذنب لعن المسلم بغير حق

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى فِي بيروت فِي سنة أربعمائة وألف من الهجرة الشريفة أو التى بعدها الموافق لسنة ثمانين وتسعمائة وألف رومية أو التى بعدها وهو فِي بيان عظم ذنب لعن المسلم بغير حق. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى ءاله وأصحابه الطيبين وءاله الطاهرين

أما بعد فقد روينا بالإسناد المتصل فِي مسند الإمام أحمد وغيره أن نبيّ الله ﷺ قال **لَعْنُ المسلم كَقَتْلِه**[1] اهـ

شرح الحديث اللعنُ من الله تعالى الإبعاد من الخير فمعنى لَعَنَ اللهُ فلانًا أى أبعده من الخير ليس معناه لا يرحمه الله ألبتة الرحمة العامة ولا الرحمة الخاصة وأما مِن العبد فهو الدعاء على العبد بأن يبعده الله من

(١) رواه أحمد فِي مسنده من حديث ثابت بن الضحاك الأنصاريّ رضِيَ الله تعالى عنه.

الخير، وإنما قيد رسول الله ﷺ فِى هذا الحديث بالمسلم لأن لعن الكافر ليس كلعن المسلم، الكافر يجوز لعنه بالتخصيص والتعيين وبالتعميم أى من غير تخصيصٍ وتعيينٍ كِلا الأمرين جائز، هذا هو القول المنصور الذِى تؤيده الأحاديث النبوية، وليس لما قاله بعض الشافعية كالغزالى وجهٌ وهو أنه لا يجوز لعن شخص معين ولو كان كافرًا إلا من عُلِمَ موتُهُ على الكفر بطريق النصّ الشرعِىّ أى إلا إذا كان واردًا فِى القرءان أنه يموت كافرًا إلا إذا ورد فِى القرءان أنه يموتُ كافِرًا أو نص عليه رسول الله ﷺ. الغزالىُّ وكثير من الشافعية على هذا القول لكن هذا القول غيرُ معتمد، القول المعتمد أنه يجوز لعن الكافر الذِى ورد النص على موته كافرًا والذِى لم يرد النص بموته على ذلك. الذِى ورد النص على موته كافرًا كفرعون فإن الله تبارك وتعالى قال ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[1] فلو كان إيمانه بعدما أدركه الغرق مقبولًا ما قال الله تبارك وتعالى ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ ولا قال رسول الله ﷺ فيمن لا يحافظ على الصلوات الخمس إنه يكون يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأُبَىّ بنِ خَلَفٍ هؤلاء قد قام النص من رسول الله ﷺ على موتهم على الكفر لأن الحديث دل على أنهم من أصحاب النار المؤبدين المخلدين فيها لأنهم لو لم يكونوا من أصحاب النار المخلدين فيها

(١) سورة هود/الآية (٩٨).

ما ضرب بهم المثل لعقوبة تارك الصلاة لأن تارك الصلاة يرافق هؤلاء برهة من الزمن وذلك دليل على شدة عذاب تارك الصلاة، لو كان تاركُ الصلاة من الذين عذابهم خفيف ما قال فيه رسول الله ﷺ هذا القول لكنه لما كان من أشد الناس عذابًا يوم القيامة قال فيه ذلك. وليس فِى هذا الحديث أن تاركَ الصلاة المعتقِدَ لفرضيتها الذِى يؤمن بالله ورسوله يكون دوامًا فِى الآخرة مع هؤلاء أئمة الكفر فرعون وهامان وقارون وأُبَى بن خلف، ليس فيه ذلك. ثم الثلاثةُ الأول فرعون وهامان وقارون ليسوا من أمة محمد الذين أرسل الله إليهم محمدًا لأنهم كانوا فِى أيام موسى عليه السلام والرابع من أمة محمد ﷺ الذِى شملتهم دعوة محمد ﷺ وهو أُبَىّ بن خلف كان من أكابر مشركِى قريش من أهل مكة الذين كانوا شديدِى الأذى على المؤمنين من أهل مكة. فلعنُ المسلم يجوز لسبب شرعى وهو أن يكون غاشًّا يغش المسلمين فِى معاملاته الدنيوية أو يغشهم فِى دينهم، يتصدَّى للتدريس وهو ليس بأهلٍ فيحرفُ شرع الله هذا أكبر غشًّا من الأول فيجوز لعنُهُ لكن ليس مطلقًا بل بنية زجره عن هذه المعصية التِى هِىَ جريمة كبيرة فإن الغش إن كان فِى أمور الدنيا كالبيع والشراء وإن كان فِى أمور الدين فهو من كبائر الذنوب، أما الكافر فيجوز لعنه مطلقًا إلا الكافر الذمّىَّ فإنه لا يجوز لنا أن نلعنه بحيث يسمع، والذمّىُّ هو الذِى دفع الجزية والتزم الشروط التِى يُعطِى العهد عليها كالذين عاهدوا عمر بن الخطاب ومن جاء

بعدهم من الكفار الذين وافقوا على دفع الجزية مع التزام الشروط بعد عمر رضى الله عنه كل هؤلاء ذميون حتى ينقضوا العهد. روينا فِى سنن أبِى داود أن أهل نجران أمرهم رسول الله ﷺ بالجزية وشرط عليهم أن لا يأكلوا الربا وأنهم إن أحدثوا حدثًا أو أكلوا الربا أى إن نقضوا العهد أو أكلوا الربا الذِى شرط عليهم رسول الله ﷺ أن لا يأكلوه انتقض عهدهم خرجوا عن كونهم ذميين ثم أجلاهم عمر بن الخطاب بعد وفاة رسول الله ﷺ لنقضهم العهد أجلاهم أى أخرجهم من أرض اليمن، هِىَ نجران معدودة فِى الأصل من اليمن والآن هِىَ مع السعودية تحت حكم السعودية كان هناك مسكنهم كان عمر بن الخطاب خاف أن يميلوا على المسلمين ميلة لأنه وجدهم قد تكاثروا وحدث السبب مِن قِبلهم وهو أنهم خالفوا الشرط شرط الذمة الذِى وضعه عليهم رسول الله ﷺ فانتهز هذه الفرصة فطردهم أجلاهم.

الكافر الذمى لا يجوز لعنه فِى وجهه وفِى خلفه بحيث يبلغه فيتأذى مع كفره لا يجوز هو يفترق عن سائر الكفار مع كفره يفترق عن غير الذميين من الكفار وكذلك المعاهَد يفترق عن غيره والمعاهد هو الذِى صالحه إمام المسلمين لمصلحة الإسلام على ترك المقاتَلة من الجانبين لمدة لا تزيد على عشر سنين فكفار قريش عاهدهم رسول الله ﷺ عام الحديبية على ترك قتالهم أى على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه عشر سنوات ثم انتقض عهدهم بعد عامين هم نقضوا العهد،

الرسولُ ﷺ ساحته منزهة عن نقض العهد هو أَوْفَى الناس بالعهود أَوْفَى خلق الله بالعهد هو رسول الله ﷺ، إنما نَقْضُ العهد حصل منهم حصل منهم كانوا ساعدوا طائفة من الكفار دخلوا فِى ذمتهم على ضرب طائفة من الكفار كانوا داخلين فِى عهد رسول الله ﷺ أولئك الذين كانوا فِى قريش كفار قريش مشركى مكة يقال لهم بنو بكر والذين كانوا فِى عهد رسول الله ﷺ يقال لهم بنو خزاعة هؤلاء كفار قريش الذين كانوا عاهدوا رسول الله ﷺ وعاهدهم على ترك القتال عشر سنوات ساعدوا هؤلاء بالسلاح والخيل ليضربوا هؤلاء الذين كان لهم عهد من رسول الله فبذلك انتقض عهدهم فغزاهم رسول الله ﷺ بعد مضى عامين من مدة الهدنة ففتح رسول الله ﷺ مكة وفِى ذلك أنزل الله تعالى ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾[1]

ثم ليس من شرط جواز اللعن لمسلم فاسق فاجر غشاش أو كافر من الكفار أن يُعلم موته على الكفر بطريق الوحى من الله تعالى فقد لعن رسول الله ﷺ أشخاصًا من غير أن يوحى إليه أنهم يموتون على الكفر بل أسلموا بعد ذلك بعد أن لعنهم رسول الله ﷺ صاروا من المسلمين الطيبين هذا القولُ الذِى يدور فِى أفواه كثير من المتفقهة إنه لا يجوز لعن الكافر المعين

(١) سورة النصر.

الذِى لم يرد نص بموته على الكفر قول ضعيف لا يؤخذ به.

فمعنى الحديث **لعن المسلم كقتله**[١] أى أن من يلعن مسلمًا بدون سبب شرعى أى لا هو غشاش للناس فِى معاملاتهم الدنيوية أو فِى أمور الدين ولا هو متجبر حطّام حُطَمَةٌ للناس ولا هو فِى معنى ذلك هذا الذِى قال فيه الرسول ﷺ إن لاعنَهُ ذنبُهُ كذنب قتله فليحفظ المرء لسانه عن إطلاق اللعنة على أحد من المسلمين إلا أن يتحقق أنه من أهله بأن يعلم منه أنه غشاش فِى تجارته أو معاملاته التِى يعامل بها الناس أو أنه يغش الناس باسم الدين كهؤلاء الذين يتصدرون للتدريس أو لإعطاء الطريقة يوهمون الناس أنهم أولياء الله حتى يعتقد فيهم الناس ويهدوهم الهدايا وَيسْخَوْا لهم بأموالهم فهؤلاء جائز لعنهم.

ثم هؤلاء قسم منهم خرجوا من دائرة الإسلام ليسوا فِى دائرة الإسلام كالذين يدعون الطريقة والولاية ومع ذلك يعلّمون الناس كلمات كفرية كإيهامهم لبعض الناس أنهم أنبياء كما قال أحدهم هذا الشيخ رجب ديب نحن أنبياء مُصَغَّرُونَ هذا كافر من الكفار هذا ليس له حكم لعن المسلم وكذلك من أشبهه ليس له حكم لعن المسلم. كل هؤلاء ليس لهم حكم لعن المسلم، قلنا المسلم الذِى هو غشاش يجوز لعنه بنية التحذير

(١) رواه أحمد فِى مسنده من حديث ثابت بن الضحاك الأنصارىّ رضِىَ الله تعالى عنه.

منه أو بنية زجره هو فيرتدع يجوز لعنه فكيف الذِى يقول للناس هذه الكلمة نحن أنبياء مصغرون هذا تكذيب للقرءان الله تعالى قال ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أى أن محمدًا عليه الصلاة والسلام لا يأتى بعده نبى فكيف يتجرأ من يدّعى الإسلام والولاية والطريقة على هذا القول نحن أنبياء مصغرون كيف يتجرأ والذِى لا يكفّره بعد أن يعلم منه ذلك فهو مثله. إنا لله وإنا إليه راجعون. مع هذا تُقَبَّلُ له يدُهُ يسمعون منه هذا الكلام ثم يقبلون يده ما هؤلاء هؤلاء مسلمون؟ ليسوا مسلمين ما عرفوا الإسلام.

كثير من الناس عندما يسمعون قول الرسول ﷺ **رُبَّ قائمٍ ليس له مِن قيامه إلا السهرُ ورُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش**[1] اهـ لا يدرك معنى هذا الحديث، هذا الحديث يفسَّرُ بهؤلاء وبأناس ءاخرين هم مسلمون ما خرجوا عن الإسلام لكن لا يقومون بالصلاة مع شروطها وأركانها أو يؤدونها بشروطها وأركانها للرياء وكذلك هناك أناس مسلمون مؤمنون لكنهم يصومون بدون شروط الصيام يُخِلُّونَ بشروط الصيام بضروريات الصيام أو يصومون حتى يقال عنهم هؤلاء صوامون.

هذا معنى الحديث فاحفظوه وليكن على ذُكْرٍ منكم

(١) رواه النسائىُّ فِى السنن الكبرى باب ما ينهى عنه الصائم من قول الزور والغيبة.

**لعن المسلم كقتله**[١] اهـ المراد به المسلم الذِى ليس غشاشًا ليس ذا غش للناس فِى دينهم أو فِى معاملاتهم ولا هو متجبّرٌ حطمة للناس أى ظلوم. هذا المؤمن الذِى عقيدته صحيحة مؤمن بالله ورسوله ولا يقترف كفرًا من الكفريات لا فِى حال غضبه ولا فِى حال مزحه سالم من الكفريات جميعها ومن الغش للمسلمين ومن التجبر والظلم لهم لعن هذا المسلم هو الذِى قال فيه الرسول **كقتله**.

وما أكثر ما يحرف كثير من الناس أحاديث رسول الله ﷺ وءايات كتاب الله، مثلًا إذا ذكر إنسان إنسانًا حصل منه كفر للتحذير منه سمعوا منه تكفير ذلك الشخص بحق يقولون من كَفَّرَ مؤمنًا فقد كفر يضعون هذا فِى غير محله مَن كَفَّرَ مسلمًا فقد كفر معناه الشخص الذِى ما حصل منه كفر لا قولى ولا فعلى ولا اعتقادى لا فِى المزح ولا فِى الغضب ولا فِى حال الرضا ما حصل منه كفر من الكفريات عنادًا كَفَّرَهُ هذا الذِى يُحكم عليه بكفره لأنه كفَّر مسلمًا أما من سب الله فِى حال الغضب أو المزح أو اعترض عليه لشدة الفقر أو لشدة المصيبة كهذه المصائب التِى حصلت بعضُ الناس عندما يتضايقون يسبون الله، تكفير هؤلاء حق من كفّر هؤلاء لا يقال فيه من كفَّر مسلمًا فقد كفر. أنتَ تُكَفّرُ إنسانًا بحق بدليل شرعىّ ثم

(١) رواه أحمد فِى مسنده من حديث ثابت بن الضحاك الأنصارىّ رضِىَ الله تعالى عنه.

يقولون يدافعون عنه من جهلهم يقولون من كفَّر مسلمًا فقد كفر معناه أنت لأنك كفَّرت ذلك الشخص المنتسب إلى الإسلام انتسابًا مع أنه يسب الله إذا غضب كفرت!!! وقد تكرر ذلك كثيرًا!! هذا لا يقال فيه ذلك إنما يقال هذا إذا شخص قال أراد أن يحطم إنسانًا فقال فلانٌ كافرٌ بدون سبب شرعى لهذا يقال اتق الله لا تكفّره بلا سبب شرعِىّ من كفّر مسلمًا بدون سبب شرعِىّ كفر.

أما من قال الكفر أو فعل فعل الكفر كدوسه على اسم الله تعالى كدوس ورقة فيها اسم الله تعالى عمدًا أو سجود لصنم عمدًا بدون إكراه أو غيّر عقيدته عن عقيدة الإسلام كالذِى اعتقد أن الله تبارك وتعالى جالس على العرش أو أنه شىء نور أبيض أو نور أزرق أو نور أصفر فهذا يكفّر فالإنسان الذِى يكفّر مَن سب الله علم أنه سب الله فقال كَفَرَ هذا كَفَرَ أو قال فِى قلبه فلان كفر فلان كافر لا يقال لهذا أنت تكفّر مسلمًا ومَن كفّر المسلم فهو كافر لا يقال لهذا يقال لذاك الذِى كفّر مسلمًا بدون سبب إلا لأنه خالف هواه قال عنه فلان كافر فلان كافر، هذا يقال فيه مَن كفّر مؤمنًا فهو كافر، يقال له أنت كَفَرْتَ لأنك كفَّرت مؤمنًا بدون سبب شرعىّ. انتَهَى.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

**الدرس الخامس عشر**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# من حُدَّ فِى معصية لم يعاقب عليها فِى الآخرة وبيان بعض أحوال التوبة

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى بيروت فِى الحادِى والعشرين من جمادى الثانية من سنة ثلاث وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق للخامس من شهر نيسان سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف رومية وهو فِى بيان بعض أحوال التوبة وسقوط العقوبة عن المعصية فِى الآخرة عمن حُدَّ فيها فِى الدنيا. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيدنا محمَّد وعلى ءاله وصحبه الطيّبين وسلم.

أما بعدُ فقد روّينا بالإسناد المتّصل فِى صحيح الإمام أبِى عبد الله البخارى أنّ رسولَ الله ﷺ قالَ لأصحَابه الذينَ منهم راوِى الحديث عُبَادَةُ بنُ الصَّامِت رضى اللهُ عنه **بايِعُونِى على أن لا تُشْركوا بالله شيئًا ولا تَسرقوا ولا تَزنُوا ولا تَقتلُوا أولادكم ولا تَأتُوا بِبُهْتانٍ تَفتَرُونَه بينَ أيْديْكم وأرجُلِكُم ولا تعصونِى فِى معروف فمَن وَفَى منكُم فأَجْرُهُ عَلى الله ومَن أصاب**

**من ذلك شيئًا فعُوقِب فِى الدُّنيا فهو كَفَّارةٌ ومَن أصاب من ذلك شيئًا فسترَهُ اللهُ فأَمرُه إلى الله إن شاءَ عَاقبه وإن شاءَ عفَا عنه**[١] اهـ قال فبايَعْناهُ على ذلك أى على ما ذَكَرَ لَنا رسولُ الله وهو أنّهُ أخَذ علَيهِمُ العَهدَ أن لا يُشركوا بالله شيئًا ولا يَسرِقوا ولا يَزنُوا ولا يَقْتُلوا النَّفْس التِى حَرَّمَ اللهُ إلاّ بالحقّ وذكَر أمْرًا ءاخرَ وهو ألاّ يأتُوا بِبُهتانٍ يَفْتَرونَه بينَ أيْديهم وأرجُلِهِم ثم قال الرَّسول ﷺ **فمن وَفَى منكم بذلك** أى مَن تجنّب هذه الأشياءَ أى تجنَّب الإشراكَ بالله إلى ءاخِر ما ذُكِرَ فأجْرُه على الله أى أنّ له أجْرًا عظيمًا وأخبرَهم أنّ من ارتكبَ شيئًا من ذلك فعُوقِب فِى الدّنيا أى عاقبَه مَن لهُ وِلايةُ العِقاب وهو الخليفةُ أو مَن يَقومُ مَقامَه فذلك كَفّارةٌ له أى لا يُعِيدُ اللهُ عليه عقُوبَةً لذلكَ فِى الآخِرة لأنّ هذه الحدودَ التِى وضَعَها اللهُ فِى شرعِ الإسلام إذا أُقِيمَت على مستَحِقّيها طَهروا بذلك منَ الذّنب فلا يُعادُ عليهم فِى الآخرة عقُوبةٌ، الزّنى والسّرقة والقتل العُدْوانى هؤلاء الثلاثةُ إذا علِمَ الإمام بذلك أنّ فلانًا ارتكب واحِدةً من هذه باعتراف الشّخص أو بشهادة الشّهود فأقامَ عليه الحدَّ فذلكَ طُهْرَةٌ له أى لا يُعذّبُ فِى الآخرة، وأخبرَهم أنّ من لم يُقَم عليه حَدٌّ فِى الدّنيا فأمرُه إلى الله إن شاءَ الله تعالى عذّبَه على تلك الجرائم وإن شاءَ غفَر له، هذا إن لم يتُب، العبدُ إذا

(١) رواه البخارىّ فِى صحيحه باب وفود الأنصار إلى النبىّ بمكة وبيعة العقبة.

ندِم على ما فعَل وأقْلَع عن ذلكَ الذّنب فهو فِى الآخرة كأنّه لم يعمَل ذلك الذّنبَ حتّى إنّه لا يجدُ ذلكَ فِى كتابِه الذِى يأخذُه يومَ القيامة إنما يجِدُ فِى كتابه الذُّنوبَ التِى لم يتُب منها. الزّنى التّوبةُ منه أنْ يَندَم الرّجُل على ما فعَلَ أى يَندَم الشخصُ على ما فعلَ ويُقلِع أى يَترُك وينوِى أن لا يعُودَ إليه مَنْ فَعَل هذا فِى الدّنيا ولم يُقَدّمْ نفسَه للحاكِم ليُقَام علَيه الحدُّ حَدُّ الزّنى لا يؤاخذه الله تبارك وتعالى لأنّ التّائبَ منَ الذّنب كمَن لا ذَنْبَ لهُ. أمّا السَّرقة فالتّوبةُ منها أن يسترضِىَ صاحب المال أو يرده له أو بدله، إن كانَ لا يَستطيعُ أن يرُدَّ عينَ المال يَرُدُّ بدَلَه ويَنْدَم ويَعْزم أن لا يعودَ، هذه التّوبةُ منَ السّرقة، وإن كانَ لا مالَ له يُمكّنه مِن رَدّ البَدَل لصاحِب السّرقة فينوِى أنّه متى استَطاع يَرُدُّ ذلك ما دام على هذه النيّة مع النّدم فقد حصَلت لهُ التّوبةُ، ولا عقُوبةَ عليه فِى الآخِرة إن ماتَ قَبْل أن يتَمكّن مِن ردّ البدَل أمّا إن تَرَك استرضاء صاحب المال وردّ البدل له واقتصَر عَلى النَّدم والصّدَقات صَدَقات التّطوّع والإكثار منَ الصّلاة فإنّ هذا ليسَ توبَةً.

وأمَّا القَتْلُ العُدْوانِى فتَوبتُه أن يُقدّمَ نفْسَه لأولياء القتِيل يقُولُ لهم أنا قتَلت فلانًا فخُذوا مِنّى حقّكُم، إن شِئتُم اقتلُونى وإن شئتُم خُذوا الدّيَةَ وإن شِئتُم أن تسَامِحونى مجَّانًا، إذا قال لهم أنا قاتل فلان فخذوا منى حقكم إن شئتم القِصاص فالقصاص وإن شئتم الدية فالدية وإن شئتم أن تسامحونى مجانًا فافعلوا، فإذا عرَض عليهم هذه الخصالَ الثّلاث واتّفَق معهُم

على إحْداها فهذا قد تابَ فإن قتَلُوه قِصَاصًا فقَد طَهرَ وإنْ صالَحُوه على الدّية فقَد طَهرَ وإن سامحوه مجَّانًا لا أخذوا منه دية ولا اقتصُّوا منه بالقتل كذلك طَهرَ لأنّه نَدِم وعزَم أنه لا يعودُ، أما بدون ذلك فلا يكونُ تائبًا. بعض الناس يكونون قتلوا قتيلًا أو أكثر من قتيل ثم لا يفعلون ما جاء فِى الشرع بل يقولون نحن نكثر الصلاة والصدقات ونحج بيت الله الحرام نكون قد طَهرْنا هؤلاء ليسوا تائبين، وهذا الصنف كثير فِى الناس يكونون قتلوا ظلمًا وعدوانًا ثم يختفون عن أعين أهل القتيل زمانًا ثم يعملون حسنات كأن يحج أحدهم فهؤلاء بعدُ فاسقون عصاة إن ماتوا وهم على هذه الحال فحالتهم خطيرة يعذبون فِى القبر ويوم القيامة أشد من عذاب القبر يعذبون أشد العذاب بعد عذاب الكفر، أمّا مَن قتَل قتِيلًا أو أكثرَ مِنْ واحِدٍ ولا يَعرفُ أهَاليَهم حتّى يُسَلّم نفسَه إليهم للقِصاص أو يتصالح معهم بالدّية برضَاهم أو يَطلُب منهم العَفْو المجّانى فَتَّشَ ما عرف سبيلًا لمعرفة أهل القتيل فهذا توبتُه أن يَندَم ويَعزمَ أنّه لا يَعودُ للقَتْل العُدوانى ويَعزمَ أنّه إن عرَف أهلَه يتخَالَص معهم على حُكم شَرع الله تعالى، فهذا ندمُهُ وإقلاعُهُ وعزمُهُ على ما ذُكر يكفيه للتوبة يكون تائبًا بحيث إذا أدركه الموت قبل أن يعرف أهل القتيل ليتخالص معهم ليس عليه شىء من العذاب فِى الآخرة لكنه بقِى شىءٌ ءاخر وهو أن يؤدّى الكفّارةَ إن استَطاع، القاتلُ قَتْلًا عُدْوانيًّا أو غيرَ عُدوانى عليه كفّارةٌ وهذه الكفّارةُ إعتاقُ رقبَة أى يُحرّرُ عبدًا مملوكًا أو أمَةً

مملوكةً فإن لم يستَطع صام شهرين على التَّوالِى أى مِن غير أن يُفطِر يومًا حتّى يُكمِلَ الشّهرَين، هذا كفّارةُ القَتل. القتل العدوانى والقتل الخطأ كلاهما تجب فيهما الكفارة فإن لم يفعل هذه الكفارةَ وهو مستطيع يستحق العذاب لأن هذه الكفارة حق الله يَكونُ كالإنسان الذِى لم يَدفَع الزّكاةَ وهوَ يستَطيع. هذه الأحكام أكثر الناس اليوم جاهلون بها لا يعرفون، الله يرحمنا الله يرحمنا ويتوب علينا ويغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات.

الذّنوبُ التِى لا تعَلُّقَ لها بحقُوق ابن ءادَم أسهَلُ للانفِكاك منها، كالزّنى وشُرب الخمر وما أشبَه ذلك كأكل لحم الخنزير فمَن أكلَ لحم خنزيرٍ عمدًا توبتُه أن يندَم على ما فعل وينوى أن لا يعودَ يَعزم على عدم العود وينقطع عنه هذا توبته فإذا فعَلَ ذلك صار كأنه لم يأكلْ قَطُّ لحمَ خِنزير، محا الله عنه، وهكذا الزّنى وشربُ الخمر كل هذه الذنوب التِى لا تعلق لها بحقوق ابن ءادم توبتها الندم والإقلاع والعزم على ترك العود هذا توبتها.

أما الذِى يتعدى على امرأة يُكرِهُها بالضّرب والسّلاح ليزنى بها فهذا لا يكفِى النّدمُ لتَوبَته بل يستَسمِحُها ويقول لها سامحِينى منَ الأذى الذِى ءاذَيتُك أمّا إن كانَ بطَواعيةٍ منها ليسَ عليه أن يستَسمحَها ولا أن يَستَسمِح زوجَها أو أهلَها.

هذه المسألة مسألة القتل العدوانى يجب تبيينها

للناس لأن كثيرين وقعوا فيها وهم جاهلون لا يعرفون الأحكام فليبين لهم أنه يجب أن يُسلّم نفسه لأهل القتيل وأن عليه كفارةً أما أن يظل هاربًا فهذه ليست توبة لو حج عشر مرات أو عشرين مرة بعد ذلك لا يكون تائبًا، لو لازم المساجد صار يتردد الليلَ والنهارَ إلى المساجد لا يصير تائبًا.

ثم من مات على الإسلام على موجب العقيدة لا إله إلا الله ما وقع فِى كفرية حفظ نفسه من الكفريات كلها لا بد أن يدخل الجنة يومًا من الدهر لو عُذب قبل ذلك ولو أصابه عذاب لا بد أن يدخل الجنة وقد يدخل بلا عذاب لو كانت له ذنوب لو كانت له ذنوب كثيرة وكان زَنى وسرق ومات قبل أن يتوب، الله تعالى يدخل من شاء منهم الجنةَ بلا عذاب.

حديث أبِى ذر الذِى فيه وإن زنى وإن سرق يا رسول الله قال **وإن زَنى وإن سرق**[1] ثلاث مرات صحيحٌ ثابتٌ، معنى الحديث أنه إن مات مسلمًا لا بد أن يدخل إما قبل عذاب أو بعد عذاب لا بد أن يدخل الجنة. الزنى أكبر الذنوب بعد القتل الذِى هو أكبر الذنوب بعد الكفر.

الزنى ذنبه أقوى من الربا. سئل رسول الله ﷺ أىُّ الذنب أشد يا رسول الله قال **أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك** أى أن تعبد غير الله قيل ثم أى قال **أن تقتل ولدك مخافة الفقر** العرب الجاهلية كانوا يقتلون الأولاد

(١) رواه البخارىّ فِى صحيحه باب الثياب البيض.

البنات يقتلونهن مخافة الفقر ومخافة العار بعضهم مخافة العار يقول هذه ربما إذا كبرت وعاشت تجلب لنا العار فيدفنونها حية وأحيانًا يقولون أنا من أين أتحمل نفقة هذه وتربيتها فيدفنونها حية. قيل ثم أى قال **أن تُزانِى بحليلة جارك**[١] اهـ أى زوجة جارك الزنى بزوجة الجار أشد من الزنى بغيرها عشر مرات ذنبه مضاعف عشر مرات. انتهى.

وسبحان الله والحمد لله رب العالمين.

والله أعلم وأحكم



(١) رواه البخارىّ فِى صحيحه باب قوله تعالى﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

**الدرس السادس عشر**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# بيان معنى قول الله تعالى

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾(١)

قال المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى جميع إخوانه من النبيين وعلى ءاله الطاهرين.

أما بعد فقد قال الله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ الله تعالى أمر عباده بالتقوى، التقوى هِيَ أداء الواجبات أداء كل ما افترض الله واجتناب ما حرم الله هذه هِيَ التقوى ومن الواجبات التِى فرضها الله على عباده تعلم العلم الذِى هو فرض على كل شخص مسلم ذكر أو أنثى، من جملة التقوى تعلم العلم الذِى هو فرض. العلم قسمان علم فرض على كل مسلم بالغ عاقل ذكر أو أنثى إذا لم يتعلم استحق عذاب الله فِى الآخرة ثم التعلم إما بقراءةٍ فِى كتابٍ على أهل العلم

(١) سورة البقرة/ الآية (٢٨٢).

أو بمجرد الاستماع ليس شرطًا فِى تعلم العلم أن يقرأ الإنسان كتابًا على عالم فيشرحَ له العالم بل يكفِى مجرد السماع من أهل العلم، أصحاب رسول الله ﷺ أغلبهم كانوا أميين ما كانوا يعرفون الكتابة وإنما كانوا يأخذون بطريق المشافهة، هذا العلم الذِى هو فرض على كل فرد من بنى ءادم البالغين العاقلين من الذكور والإناث هو علم العقيدة عقيدة أهل السنة ثم علم الأحكام الطهارة والصلاة والصيام وما يحل وما يحرم من المأكل والملبس والمشرب والمال، المال الذِى يحل والمال الذِى يحرم يجب معرفته وواجبات القلب كالإخلاص لله فِى العمل أن يعمل الإنسان الأعمال الحسنة من دون أن يقصد محمدة الناس كذلك معرفة معاصى الجوارح العين واليد والأذن والرجل والبطن والفرج التِى هِىَ مشروحة فِى كتاب المختصر.

فمعنى التقوى أن يتعلم الإنسان العلم الضرورىّ ثم يعمل على حسب ما تعلم يؤدى الواجب ويجتنب المعاصِى هذه هِىَ التقوى، بغير هذا لا تحصل التقوى بمجرد الاشتغال بالصلاة والصيام والحج والصدقات والزكاة وبر الوالدين لا تحصل التقوى لا تحصل فقول الله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ هذا معناه أما قوله ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ معناه إذا اتقيتم الله أى إذا تعلمتم العلم الذِى هو فرض على المكلف على البالغ العاقل وعملتم بموجبه أديتم الواجبات واجتنبتم المحرمات يعطيكم الله علمًا وَهْبِيًّا ليس العلمَ المكتسبَ لأن الإنسان عندما يؤدّى الواجبات كلَّها التِى من جملتها العلم ويجتنب

المعاصِى كلها يحبب الله إليه عمل النوافل السنن عندئذ الله تعالى ينور قلبه يعطيه علمًا وَهْبِيًّا يسمى العلم اللَّدُنّى هذا معنى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[1] ليس معناه اشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقات والذكر يأتيكم العلم من دون دراسة من دون تعلم كما يظن بعض الناس الذين يشتغلون بالعبادة مع الجهل على زعمهم إذا اشتغلوا بالعبادة يأتيهم العلم بدون تعلم هؤلاء مغرورون مفتونون فتنهم الشيطان، كثير من هؤلاء هلكوا خرجوا من الدين وهم لا يشعرون يظنون أنهم تَرَقَّوا فِى الدين وصاروا من أهل الدرجات العُلا وهم قد خرجوا من الإسلام من حيث لا يشعرون وإن لم يخرجوا من الإسلام يكونون فِى الحضيض الأسفل منحطّين إلى الحضيض الأسفل ومن هؤلاء أناس يذهبون إلى باكستان ليحضروا الاجتماع الكبير الذِى يصير هناك ثم يقولون خروج فِى سبيل الله هذا ثلاثة أيام يتجول فِى الناس يا ناس اذهبوا إلى المساجد يكلمون الناس بهذا وأكثر هؤلاء جهال هؤلاء لهم وجود فِى لبنان ويترددون إلى باكستان ليحضروا ذلك المجتمع الذِى يجتمع فيه أكثر من مليون نفس، أولئك الذين أسسوا هذا الأمر من أهل العلم والتقوى ليسوا جهالًا لكن هؤلاء الذين يذهبون كثير منهم جهال لا يتعلمون ثم يظنون بأنفسهم أنهم صاروا فِى الدرجات العلا وجهلُهم بمعنى قول الله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ

(١) سورة البقرة/الآية (٢٨٢).

ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ أوقعهم فِى الهلاك، كثير من الناس يشتغلون بالعبادة على جهل ثم يقولون الله قال ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ الله يعطينا العلم بدون دراسة اشتغلنا بالعبادة يأتينا العلم اهـ هذا غرور من الشيطان. انتَهَى.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



**الدرس السابع عشر**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# تفسير قول الله تعالى

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(١)

قال الفقيه العلامة عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد فهذا تفسير قول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾. قوله تعالى ﴿مَا بِقَوْمٍ﴾ أى نعمةً أنعم بها على قوم ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ أى حتى يفسقوا عن طاعة ربهم بعد أن كانوا بحالة الطاعة(٢). المعنى أن القرية أى البلدة التِى هِىَ

---

(١) سورة الرعد/ الآية (١١).

(٢) قال الطبرىُّ فِى تفسيره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من عافية ونعمة فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ من ذلك بظلم بعضهم بعضًا واعتداء بعضهم على بعض فتحل بهم حينئذ عقوبته وتغييره اهـ وهو مأخوذ من كلام مجاهد وإبراهيم وقتادة وغيرهم وهو الذِى قاله الماتريدىّ فِى تفسيره وهو ما فِى تفسير السمرقندىّ والقشيرىّ والثعلبىّ والواحدىّ والسمعانىّ والكرمانىّ والبغوىّ=

كانت على الإيمان والطاعة فما داموا على تلك الحال لا يسلبهم الله النعمة التِى أنعم بها عليهم وإنما يصابون بزوال النعمة إذا فسقوا بأن كفروا وارتدوا أو كانوا مسلمين مطيعين ثم فسقوا فَجَرُوا بشرب الخمور والملاهِى والفواحش والظلم والتجبر على الناس ونحو ذلك هذا معنى الآية ليس معنى الآية أن الله يغير مشيئته فالذِى يتوهم أن هذه الآية تعطِى أن الله يغير مشيئته فذلك جهل واضح فإما أن يكون من الجهل باللغة بمكان بعيد وإما أن يكون فيه شائبةُ إلحاد كأنه يريد أن يطعن فِى كتاب الله وأن ينسب إليه ما هو ضد عقيدة القرءان والحديث.

قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ (ما) هذه من حيث اللغة إما أن تكون نكرةً موصوفةً وإما أن تكون اسمًا موصولًا[1] فإن قُدّرت نكرة موصوفة فالتقدير إن الله لا يغير نعمة موجودة فِى قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم أى يُغَيّرُوا حالهم من حيث الطاعة بأن ينتقلوا من الطاعة إلى الكفر أو إلى الفجور، هذه بلاد اليمن التِى اليوم أغلبها رمال قاحلة ليس فيها نبات والماء يقل فيها جدًّا ما كانت هكذا إنما صارت هكذا لما كفروا بالنبىّ الذِى أرسل إليهم

= وابن الجوزىّ والرازىّ ونقله عن جميع المفسرين اهـ

(١) فيكون التقدير إن الله لا يغيرُ الذى بقوم أى حالَ الرخاء والأمن الذى هم عليهِ حتى يغيروا ما بأنفسهم فيتبدّل حالهم من الطاعة إلى العصيان.

فقلبها الله تعالى أرضًا قاحلة يابسة عديمة المياه لم يبق فيها من الماء إلا شيء قليل جدًّا هؤلاء لولا أنهم كفروا تغيروا عما كانوا عليه من الإيمان والطاعة لبقيتْ حالتهم على ما كانت عليه لكن الله تعالى جازاهم والله تعالى عالم فِى الأزل أنهم يكونون إلى مدة كذا بحالة كذا من الإيمان والطاعة ثم يتغيرون عن تلك الحال إلى حالة الكفر والفسوق والعصيان كان عالمًا فِى الأزل وشاء ذلك فليس هناك أمر يخفَى على الله، الله تعالى عالم بتطورات المخلوقات عالم فِى الأزل بما يحدث من المخلوقات وما يحدث فيهم من التغير إما إلى الخير والازدياد منه وإما إلى غير ذلك عالم بكل ذلك وشاء ما يحدث فِى العالم من التطور، لا يتجدد له علم ولا تتجدد له مشيئة، هِىَ مشيئته الأزلية المتعلقة بالممكن العقلى فيخصّصُه فلا تتطور له مشيئة لا تحدث له مشيئة جديدة، بمشيئته الأزلية يُصرّف الأشياء كيف شاء فِى الأزل، وكذلك قلوب العباد هو مطلع على ما سيحدث فيها من النوايا الله تعالى عالم قبل أن يخلقها بما سيحدث لها من التقلبات.

فهذا الذِى يظن أن الآية معناها أن الله يغير مشيئته إما أن يكون جاهلًا باللغة وإما أن يكون فيه شائبة إلحاد وكيفما كان فليتب إلى الله بالرجوع إلى الإسلام بتغيير ما ظنه من الظن الفاسد إلى العقيدة الصحيحة ثم يتشهد شهادةَ الإسلام وإلا فإنما يضر نفسه ولن يضر الله تعالى شيئًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾[1]. هذه الآية ترجع فِى المعنى إلى ءاية ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾[2] أى يحدث ما شاء من خلقه كل يوم ليس معناه أنه هو يشاء مشيئاتٍ متجددةً ليس معناه أنه كل يوم تحصل له مشيئة لا، لا تحدث له مشيئة لأن مشيئته هِىَ مشيئة واحدة أزلية أبدية يخصص بها الممكنات على حسب ما ثبت فِى علمه الأزلى فهو تعالى يغير أحوال خلقه ولا يتغير، هو لا يتغير إنما يغير أحوال مخلوقاته، هذا الكلام السائد بين الناس الله يُغَيّرُ ولا يَتَغَيَّرُ من أحسن الكلام. انتَهَى.

وسبحان الله والحمد لله رب العالمين.



(١) سورة العنكبوت/الآية (٦).
(٢) سورة الرحمن/الآية (٢٩).

**الدرس الثامن عشر**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# تبشير التقيّ برضوان الله عند الاحتضار وأن التقوى تكون بتعلم ما افترض الله تعلُّمه والعمل به

قال المحدث الأصوليُّ الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد فإن الله تبارك وتعالى قال ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾[1] المتقون يحشرهم الله يوم القيامة مكرمين ليس عليهم نكد ولا فزع ولا خوف ليس عليهم خوف إلا خوفُ الإجلال أما خوفُ أن يصيبهم عذاب من الله فقد أمنوا أن يصيبهم عذاب وليس ذلك من تلك الساعة أى ساعة الحشر بل هذا الفرح والأمن الذِى فِى أنفسهم مستقر فِى أنفسهم بَدْؤُهُ من عند وقت النزع أى الاحتضار فإن المؤمنَ التقيَّ حين يُحضَر يُبَشَّرُ برحمة الله ورضوانه فعندئذ يعرف مصيره أنه إلى الجنة

(١) سورة مريم/الآية (٨٥ - ٨٦).

ورَوْحٌ وريحان ورضوان من الله فيحب الموت فيذهب عنه الخوف والكراهية للموت الذِى كان يجده قبل ذلك ثم لا يزال وهو ءامن مطمئن فِى حال القبر فِى البرزخ وهو مدة القبر وفِى ما بعد ذلك وهو ما بعد رجوع روحه إلى الجنة حين يبلَى جسده فإنه يرجع إلى الجنة الرُّوح يرجع إلى الجنة ثم عند النفخة الثانية يعاد جسده الذِى بَلِىَ إن كان من الأجساد التِى تَبْلَى يعيد الله ذلك الجسد فيجمع الروح مع الجسد ثم ينشق عنه القبر فيخرج من القبر وهو فَرِحٌ مستبشر ثم لا يزال فرحًا مسرورًا إلى ما لا نهاية.

روينا فِى الصحيح صحيح البخارى من حديث عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال **مَن أَحَبَّ لقاءَ الله أَحَبَّ اللهُ لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قالت قلتُ يا رسول الله إنا نكره الموت فقال ليس ذاكِ ولكن المؤمن إذا حُضِرَ بُشّرَ برحمة الله وثوابِه فيحب لقاء الله ويحب الله لقاءه وإن العبد الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فكره لقاء الله وكره الله لقاءه**[1] اهـ

المتقون هم المؤمنون الذين يؤدون ما فرض الله عليهم من الواجبات العملية والعلمية ويجتنبون ما حرّم الله، هِىَ الواجبات قسمان واجبات علمية وواجبات عملية، والعلمية معرفة ما فرض الله تعالى من علم دينه

(١) رواه البخارىّ فِى صحيحه باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

وما لا بد منه من علم دين الله وأداء الصلوات الخمس وصيام رمضان والأمر بالمعروف والنَهى عن المنكر إلى غير ذلك من الواجبات التِى لا يعلمها جميعها إلا من تعلم علم الدين لأن الذِى لم يتعلم علم الدين ويتعبد يعرف الجزء القليل من أمورٍ يعرف الصلوات الخمس من غير إتقان ويعرف صورة الصيام. هؤلاء المتقون هم الذين يقول الله تعالى فيهم فِى كتابه ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾[1] أى أنهم يحشرون وفودًا أى أنهم وفود الرحمن وفود الله فالله تبارك وتعالى شكور عليم يُعْطِى الثواب الكثير على العمل القليل. كان الوفد الذِى يَفِدُ إلى الناس الكرماء يلقى نزلًا وإكرامًا مِنَ الذِى يَفِدُ إليه فكيف الذِى هو وفد الرحمن أكرم الأكرمين.

ثم من كرامة المتقين عند الحشر أنهم يكونون راكبين ويكونون كاسين لا يحشرون حفاة عراة كغيرهم من المسلمين لأن مَن سوى المتقين يحشرون حُفَاةً عُرَاةً، المسلم والكافر يحشرون حفاة أى بلا حذاء ولا نعل ولا ثياب يلبسونها.

وأما الكافر فإنه يُبَشَّرُ إذا حُضِرَ بعذاب الله وعقوبته يقول له ملائكة العذاب الذين يحضرون الكفار عند موتهم أبشر بسخط الله وعذابه ومن ذلك الوقت لا يفرح أبد الآبدين لا يلقى فرحًا أبد الآبدين ومن شدة خوفه وقلقه يُرى الكافرُ عندئذ كئيبًا لا يُرى فرِحًا

(١) سورة مريم/الآية (٨٥).

مستبشرًا لا يوجد كافر يكون فِى حالة الاحتضار وجهه مشرقًا لو كان قبل ذلك حسنَ الشكل والهيئة لأن هذا الخوفَ الذِى نزل به من تبشير ملائكة العذاب له بالعذاب والعقوبة لا يسعه بعد ذلك أن يفرح أو يستبشر. وأما ما يروى أن إبراهيم الخليل ﷺ جاءه ملك الموت عند مفارقته الدنيا وقال هل يقبض الخليل خليله أى من الجزع فذهب ملك الموت فقال يا ربِّ إن عبدك إبراهيم لا يحب الموت فقال ارجع إليه فقل له الخليل يشتاق إلى خليله فهذا غير صحيح هذا افتراء ليس له أصل عن إبراهيم الخليل وغيره من الأنبياء هم أولى الناس بأن يعرفوا مصيرهم الطيب الآمن، وكذلك ما يروى عن موسى ﷺ أنه لما جاءه ملك الموت فقأ عين ملك الموت فَرَقًا من الموت أى خوفًا من الموت فليس الأمر كذلك إنما الصحيح أن ملك الموت فاجأه مفاجأة ولم يكن موسى تلك الساعة متصورًا أنه هو ملك الموت فظنه إنسانًا صائلًا جاء معتديًا فبطش به فَفَقَأَ إحدى عينيه فَفَقْأُ موسى لإحدى عينى عزرائيل ليس عن كراهية الموت إنما موسى ظنه إنسانًا جاء ليعتدِىَ ثم لما علم أنه عزرائيل استسلم ورضى بالموت فقبض روحه. انتَهَى.

وسبحان الله والحمد لله رب العالمين.

والله تعالى أعلم.

**الدرس التاسع عشر**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# بيان منزلة أهل العلم وأنهم أولى بالتقديم فِي مجلس السلطان

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة أربع وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق للخامس والعشرين من شهر كانون الأول سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف رومية وهو فِى بيان منزلة أهل العلم وأنهم أولى بالتقديم فِى مجلس السلطان. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد فإن الله تبارك وتعالى أرسل سيدنا محمدًا مبشرًا ونذيرًا ومعلمًا للناس بقوله وفعله ثم قَيَّضَ له أصحابًا أمناء يبلغون عنه ما أرسل به من هذا الدين القويم أصوله وفروعه جزاهم الله عن الإسلام خيرًا. روينا فِى صحيح البخارى أن عُيَيْنَةَ بنَ حِصْن بن بَدْرٍ الفزارِىّ أتى المدينة فَنَزَلَ عَلَى ابْن أَخِيه الحُرّ بن قَيْس ابن حِصْنٍ بن بدر الفزارى وكان الحُرُّ من أصحاب مجلس عمر ومشاورته وكان أصحاب مجلس عمر

ومشاورته القُرّاءَ فقال عيينة لابن أخيه الحر بن قيس الفزارى يا ابن أخى إن لك وجهًا عند هذا الأمير فأدخلنى عليه فاستأذن له فأذن له عمر رضى الله عنه فقال عيينة بن حصن الفزارى مخاطبًا عمر بن الخطاب إنك لا تحكم بالعدل ولا تَقسِم بالسوية فغضب عمر فهمَّ به فقال له ابن أخيه الحر يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[1] وهذا من الجاهلين فسكن عمر وكان وقّافًا عند كتاب الله تعالى. وهذه الآية ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ ورد فِى بيانها حديث مرفوع رواه عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ أنه قال **صِلْ مَنْ قَطَعَكَ وأَعْطِ مَن حَرَمَك واعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**[2] اهـ هذه الآيةُ وهذا الحديثُ يعلمان المؤمنين مكارم الأخلاق لأن مكارم الأخلاق تتشعب من هذه الأمور الثلاثة أن تصلَ من قطعك وتعطِىَ مَن حرمك وتعفوَ عمن ظلمك كل ما يدخل تحت مكارم الأخلاق فهو داخل تحت هذه الثلاثة والقرءانُ أفصحُ كلام وأبلغُهُ لا يستطيع أحد من الخلق أن يأتىَ بمثله ثم رسول الله ﷺ أعطاه الله تعالى جوامع الكلم أى أُعْطِىَ كلماتٍ قليلة كل واحدة تجمع معانى كثيرة كهذه الكلمات الثلاث **صِل مَن قطعك وأعط مَن حرمك واعف عمن ظلمك** اهـ ولم يُعْطَ مَن قبله مِن الأنبياء

(١) سورة الأعراف/الآية (١٩٩).

(٢) رواه البيهقى فى شعب الإيمان، فصل فى التجاوز والعفو وترك المكافأة.

ذلك، وكل الكتب التِى أنزلت على أنبياء الله تعالى ليست بمثابة القرءان فِى الفصاحة والبلاغة فالقرءان أبلغ كلام وأفصح كلام لذلك كان معجزة مستمرة أى معجزة دائمة لا يستطيع أحد من المكذبين أن يأتى بمثلها لا يستطيع أحد من المكذبين للنبىّ ﷺ فِى زمانه وبعد وفاة الرسول ﷺ أن يأتى بمثل القرءان، لو كانوا يستطيعون أن يأتوا بمثله لكان أهل عصره العرب الفصحاء البلغاء أتوا بمثله والرسول ﷺ كان تحدّاهم فلم يستطيعوا، كذلك من جاء بعد عصره لم يستطع أحد أن يأتى بمثله فكان القرءان معجزة دائمة مستمرة أما غيره من الكتب السماوية فليس فيها هذا الإعجاز، فيها حِكَمٌ تنفع فِى الدنيا وفِى الآخرة لكن ليس فِى البلاغة والفصاحة كالقرءان الكريم.

نعود إلى شرح أول الحديث أول الحديث هو أن رجلًا يقال له عيينةُ بنُ حِصْن هذا الرجل كان من أهل الجفاء كان أسلم ثم فُتِنَ فاتَّبَعَ رجلًا ادعى النبوة غيرَ مُسَيْلِمَةَ الكذّاب وغيرَ الأَسْوَدِ العَنْسِىّ هذان ادَّعيَا النبوة، الأسود العنسىُّ قُتل على كفره فِى اليمن كان فِى اليمن اتبعه كثير من الناس هو ظهر قبل وفاة النبىّ ﷺ هذا الأسود العنسىّ فِى اليمن ادّعى النبوة فاتبعه بعض أهل اليمن، ومسيلمةُ الكذاب ظهر بنجد الحجاز ادعى النبوة فاتبعه كثير من الناس ثم قتل فِى عهد أبِى بكر رضى الله عنه وأما هذا الثالث الذِى اتبعه عيينة بن حصن ثم تركه فرجع إلى الإسلام يقال له طُلَيْحَةُ من بنى أسد يقال له طُلَيحة الأسدىُّ هذا طليحةُ أسلمَ ما

مات كافرًا كذينك الأسودِ العنسىّ الذِى كان ادَّعَى النبوة باليمن ثم قتله بعضُ المسلمين ومسيلمةَ الكذّابِ الذِى كان بنجد الحجاز من بنى حَنِيفَةَ أما طليحة رحمه الله تعالى فكان من بنى أسد، وهذا عيينة بن حصن كان فيه جفاء كان فيه غِلَظُ الطبع وفظاظةٌ وقد ذكرنا أنه جاء إلى المدينة بعدما تاب مما حصل منه فنزل على ابن أخ له يسمى الحر بن قيس من العلماء هذا كان عمر رَضِىَ الله عنه يقرّبه، أميرُ المؤمنين عمر رَضِىَ الله عنه كان يقرّبه لفقهه وعلمه فعمُّه هذا عيينةُ قال له يا ابن أخى إن لك وجهًا عند هذا الأمير فأدخلنى عليه فأدخله فلما وقف أمام عمر رَضِىَ الله عنه حضر مجلس عمر أساء الأدب مع عمر رَضِىَ الله عنه إساءة كبيرة قال له يا ابن الخطاب ما قال له يا أمير المؤمنين إنك لا تحكم بالعدل ولا تقسم بالسّويَّة فغضب عمر فهمّ أن يوقِع به فقال له ابن أخيه الحر بن قيس الذِى هو من العلماء من الذين يكثرون مجالسة عمر رَضِىَ الله عنهما قال له يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[1] فهدأ عمر وما فعل به شيئًا، لو كان عمر كبعض حكام بنى أمية لقتل هذا الرجل ولم يَرْضَ له جزاءً إلا القتل لأن بنى أمية كان فيهم فظاظة وغِلظة وظلم وعَسْفٌ وتجبُّر ما طلع فيهم حاكم تقى إلا عمر بن عبد العزيز رَضِىَ الله عنه فلما سمع عمر الآية التِى قرأها عليه

(١) سورة الأعراف/الآية (١٩٩).

الحر بن قيس هدأ عمر ما فعل أى شىء وكان عمر رضى الله عنه وقّافًا عند كتاب الله لا يتجاوز القرءان يقف حيث وقف به القرءان.

فِى هذا الحديث أن عمر رَضِىَ الله عنه كان أصحاب مجلسه ومشاورته القراءَ أى العلماء كان أقرب الناس حظًّا بمجلس عمر رَضِىَ الله عنه الفقهاء كهولًا كانوا أو شبانًا إن كانوا شبانًا أو كانوا كهولًا أولى الناس بمجلس عمر رَضِىَ الله عنه ومشاورته الفقهاء كان يقدّم إلى مجلسه الشاب الفقيه من الشيخ الجاهل، لا يجعل للشيوخ الجهال من المنزلة والتقريب ما يجعله للشباب الذين هم فقهاء من أهل العلم والكهول من الفقهاء، كان أصحاب مجلس عمر ومشاورته القراء، هكذا عمر رَضِىَ الله عنه كان على الطريقة السوية كل من كان على الطريق السَّوِىّ مِن حكام المسلمين يرون لأهل العلم والفقه منزلة على غيرهم كان التقديم عندهم بهذا لا لأن الرجل زعيم قومه لا يعتبر عمرُ رَضِىَ الله عنه ذلك ولا من كان على طريقته المستقيمة. مجلس الشورى الذِى يعمله الحكام المسلمون إن كان على هذا الخط فهو خير وفلاح ونجاح أما إذا لم يكن على هذا الوجه الذِى كان عليه عمر فهم أمرهم بالعكس. كان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما الذِى يسمى ترجمان القرءان مقدَّمًا فِى مجلس عمر لعلمه وفقهه وتمكنه فِى الفهم فِى أمور الدين حين كان سنه سن الشباب كان يقدمه عمر ثم بعض الشيوخ كلموا عمر رَضِىَ الله عنه قالوا لِمَ تُقَدّمُ

عبدَ الله بن عباس على أبنائنا فلا تنظر إلى أبنائنا كما تنظر لعبد الله بن عباس قال إنه فتى الكهول له قلب عَقول ولسان سَؤُول معناه أين فِى أبنائكم الذِى هو كالعجوز فِى العلم وله قريحة قوية وقلب عَقول ولسان سؤول أى يكثر السؤال فِى طلب العلم. انتهى.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



**الدرس العشرون**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# التحذير من تحليل الحرام وتحريم الحلال

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى سويسرة فِى الحادِى عشر من شهر محرم سنة عشر وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق للرابع عشر من شهر ءاب سنة تسع وثمانين وتسعمائة وألف رومية وهو فِى التحذير من تحليل الحرام أو تحريم الحلال. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه النبيين والمرسلين وسلام الله عليهم أجمعين.

أما بعد فإن الله تبارك وتعالى قال فِى كتابه العزيز ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[١] وقال رسول الله ﷺ **إِنَّ الدِينَ يُسْرٌ**[٢] اهـ والحديث رواه البخارى، وروينا فِى معجم الطبرانى مرفوعًا إلى النبىّ ﷺ أنه قال

(١) سورة الحج/الآية (٧٨).

(٢) رواه البخارى فى صحيحه، باب الدين يسر.

**إن مُحرّم الحلال كَمُسْتَحِلّ الحرام**[١] اهـ **إن مُحرّم الحلال كَمُسْتَحِلّ الحرام** اهـ **إن مُحرّم الحلال كَمُسْتَحِلّ الحرام** اهـ أعدته عليكم ثلاث مرات لأجل أن يرسخ فِى نفوسكم فتحفظوه فإن كثيرًا من الناس فِى هذا العصر يتكلمون فِى الدين فَيُحَرّمونَ ما أحلَّ الله أو يـُحِلُّون ما حرّم والله تعالى لا يحب الإفراط ولا التفريط، الله تعالى يحب فِى عبده أن يكون معتدلًا لا يُحَرّمُ شيئًا إلا على وَفْقِ الدليل الشرعىّ ولا يُحِلُّ شيئًا بأن يقول هذا فرضٌ هذا سنةٌ إلَّا استنادًا إلى دليل شرعىّ.

ثم إن مما أحلّ الله تعالى لعباده المؤمنين اللهوَ المباحَ واللهوُ المباح منه السباحة ومنه تأديب الرجل فرسه أى رياضة فرسه ومنه ملاعبته زوجته لأن الله تعالى يحب حسن المعاشرة، كان عبد الله بن عباس رضى الله عنه يقول إنى أحب أن أتزين لنسائى كما أحب أن يَتَزَيَّنَّ لِى اهـ هو الإنسان مطلوب منه أن يراعىَ خاطر زوجته أن يحسن إليها فيتواضع، لا يقول أنا رَجُلُها أنا زوجها كيف أتواضع هِىَ لتتواضع لى هِىَ لِتَكُن ذليلة تحت قدمِى هذا ليس مما يحبه الله تعالى.

ثم من اللهو المباح الضرب بالدف والضرب بالطبل إلا الطبل الذِى يسمى الكوبة[٢] وهو طرفاه واسعان ووسطه ضيق هذا من بين الطبول حرام أما ما سواه

---

(١) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير.
(٢) كالذِى يُسَمّى فِى بعض البلاد الدِّرْبَكّة.

فليس بحرام.

ثم من اللَّهو المباح الرقص الذِى ليس فيه تثنّ ولا تكسُّر فإن كان فيه تثنّ وتكسّر حرم على الرجال وعلى النساء، ثم إن الرقص الذِى يكون بغير تثنّ وتكسر قد يكون برفع قدم واحدة والقفز بالأخرى. فِى حديث رواه بن حبان[١] والإمام أحمد فِى مسنده من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال «كانت الحبشة تزفن بين يدى رسول الله ﷺ ويقولون بكلام لهم محمد عبد صالح فقال رسول الله ﷺ **ما يقولون** فقيل إنهم يقولون محمد عبد صالح فلم ينكر عليهم» اهـ هنا الدليل على أنه يجوز اللهو المباح ولو كان مقرونًا بشىء من العبادة كمدح النبىّ ﷺ، مدحُ النبىّ ﷺ عبادة، هؤلاء الحبشة قرنوا بين اللهو المباح وهو الزفن معروف فِى بلادهم يرفع قدمًا ويقفز بالأخرى هذا نوع من الرقص يقال له الزفن الحديث فيه جواز أن يقرن بين لهو مباح وقربة إلى الله لأن هذا الزفن لهو مباح ومدح النبىّ ﷺ قربة إلى الله أىْ عبادةٌ، اللهُ تعالى يحب أن يُمدح نبيُّه ﷺ أليس من أعظم المدح أن يقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله كلمة محمد رسول الله ﷺ من أعظم المدح فنحن مأمورون بهذا الكلام بأن نقول هذا المدح فإذًا مدح النبىّ عبادة ولو كان مقرونًا بنوع من اللهو كالضرب بالدف أو الزفن هو عبادة يحبها الله.

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه، ذكر بعض ما كانت الحبشة تقول فى لعبهم ذلك.

بعض الممقوتين الذين مُسخت قلوبهم فِى مسجد قباء قبل ست سنوات[١] قال على المنبر يوم الجمعة لا يجوز تعظيم الرسول وهذا كفر الذِى يقول لا يجوز تعظيم الرسول ﷺ كفرَ هذا الرجل الخبيث الكافر لم يستحِ من الله ولا من المؤمنين فتجرأ على هذه الكلمة فقالَ له رجل كيف تقول هذا والله تعالى يقول ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾[٢] فِى القرءان الكريم ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ أى محمدًا أى عظموه فقال هذا الخبيث ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ نصروه قال له ﴿وَنَصَرُوهُ﴾[٣] وردت بعد هذه الكلمة فانقطع فأوهم الناس أنه يريد صلاة النفل السُّنّة فاستقبل القبلة قال الله أكبر من شدة خجله لأنه أقام عليه الدليل القرءانى. الله أكبر فِى هذا العصر تَسمع كلماتٍ كفريةً غريبةً. هذا تجرأ على الكفر فِى أفضل مسجد بعد مسجد الرسول ﷺ فى الحجاز وهو مسجد قباء. الله أكبر الله أكبر الله أكبر.

كذلك النساءُ إذا تغنَّيْنَ بكلام ليس بمحرم ولو بحضور الرجال فهو جائز فِى دين الله ليس حرامًا ومن يقول إنه حرام فليس معه دليل إنما يتكلم عن هواه فقد روينا فِى سنن ابن ماجه من حديث أنس بن مالك رضِىَ الله عنه قال مر رسول الله ﷺ ببعض المدينة فإذا جوارٍ يضربن بالدف ويتغنين ويقلن

(١) أى من تاريخ إلقاء هذا الدرس.
(٢) سورة الأعراف/الآية (١٥٧).
(٣) سورة الأعراف/الآية (١٥٧).

نحن جوارٍ من بنِى النجار
يا حبَّذا محمدٌ من جار

فقال رسول الله ﷺ **اللهُ يَعْلَمُ إنى لأحبكن**[١] اهـ حديث صحيح صححه الحافظ البوصيرى، هذا الحديث حجة فِى جواز تغنى النساء مع الضرب بالدف بما هو مدح للرسول ﷺ والجوارى فِى اللغة الفتيات إذا قال لكم قائل الجوارى البنات الصغار مثل بنات السبع سنوات قولوا له دعواك هذه مردودة فِى كتب اللغة تفسير الجوارى بالفتيات الشابات وهذا فِى الطريق كان الرسول ﷺ يمر ببعض شوارع المدينة فإذا بهؤلاء الفتيات يتغنين ويضربن بالدف ويمدحنه يقلن نحن جوارٍ من بنى النجار بنو النجار قبيلة مشهورة من قبائل الأنصار أهل المدينة، أهلُ المدينة الذين ءاووا رسول الله ﷺ وءازروه قسم منهم يقال لهم بنو النجار هؤلاء الفتيات كنَّ يقُلْنَ فِى تلك الساعة نحن جوارٍ أى فتيات من بنِى النجار أى نحن منسوبات إلى هذه القبيلة المشهورة التِى ءازرتْ رسولَ الله ﷺ يا حبذا محمدٌ من جار معناه محمد أفضل من يُجَاوَرُ. الرسول ﷺ ما أنكر عليهن ما قال لهن أنتن فتيات شابات كيف تتغنين وتضربن بالدف وتمدحننى بل قال **الله يعلم إنى لأحبكن** يعنى هذا تأكيد لجواز هذا الفعل الذِى فعلنه هؤلاء الشابات تأكيد قال **الله يعلم إنى لأحبكن** فبعد هذا إذا قال قائل صوت المرأة عورة لا تلتفتوا

(١) رواه ابن ماجه فِى سننه بَابُ الغِنَاء والدفّ.

لكلامه، لا تلتفتوا لكلامه لأنه قول مخالف لتقرير الرسول ﷺ هذا إسناده صحيح والحديث الآخر أيضًا باعتبار شواهده الذِى فيه أن الرسول ﷺ رخص للنساء عند إهداء العروس إلى بيت زوجها أن يقلن

أتـــيـــنـــاكـــم أتـــيـــنـــاكـــم

فـــحـــيّـــونـــا نُـــحـــيـــيـــكـــم

وفِى لفظٍ فحيّانا وحيّاكم، هذا مروىٌّ وهذا مروىٌّ ذاك أيضًا إسناده بدرجة الحسن. هذا بالنسبة للنساء أما بالنسبة للرجال فقد ثبت فِى ذلك الحديث الذِى رويناه أوَّلًا فِى هذا الدرس الذِى هو من فعل الحبشة الذِى فيه إقرارُ فعل الحبشة الذين مدحوا النبىّ ﷺ وهم يزفنون فأقرهم رسول الله ﷺ ما اعترض عليهم ما أنكر عليهم.

وكذلك كثير من الناس من قلة معرفتهم بعلم الدين يحرمون إذا وُجِدَتْ نساءٌ ورجالٌ فِى مجلس واحد من دون أن يكون ستار ممدود بين الرجال والنساء يحرمون هذا لا سيما بعض الأتراك وبعضُ مَنْ فِى سورية أيضًا، مِن أين لهم هذا، من أين لهم هذا، الرسولُ ﷺ كان يصلى صلاة الجماعة فِى مسجده فِى المقدَّم ثم يليه الرجال ثم النساء من دون أن يكون ساتر ممدود ما كان فِى القديم أيام الرسول ﷺ يُمَدُّ ساتِرٌ بين صفوف الرجال وصفوف النساء فِى صلاة الجماعة ولا فِى غير صلاة الجماعة.

بعض مشايخ سورية عندهم كأنه حرام يعتبرونه

حرامًا وليس معهم دليلٌ كيف كان الرسول ﷺ يصلّى فِى المقدَّم ثم يليه الرجال ثم النساء من غير ستار ممدود بين صف الرجال وصف النساء، لا حول ولا قوة إلا بالله لا حول ولا قوة إلا بالله، صار نَظَرُ أكثرِ الناس إلى العادات هذا ينظر إلى عادة بلده وهذا ينظر إلى عادة بلده وهذا ينظر إلى عادة بلده ولا يفكرُ بالدليل إنما يتبعون عادات بلادهم فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله وكِلا الأمرين هلاك الذِى يحرم ما أحل الله هلك والذِى يحل ما حرم الله كذلك هلك. انتهى.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



**الدرس الحادِى والعشرون**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# التحذير من الغضب والفخر والحث على الصمت والقناعة بالقليل وبيان عقيدة أهل السنة والجماعة

قال العلامة الشيخ عبد الله بن محمد الهررىّ رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى ءاله الطيبين الطاهرين.

أما بعد فإن رسول الله ﷺ حث أمته على ترك الغضب لما فِى الغضب من المفاسد والمهالك قال رجل يا رسول الله ما ينجينى من غضب الله قال **لا تغضب**[1] اهـ هذا الحديث فيه الحث الأكيد على ترك الغضب وفِى هذا الحديث أن الذِى يترك الغضب يملك نفسه فبتركِ الغضب ينجو من غضب الله أما الذِى لا يمسك نفسه إذا غضب فإنه لا بد أن يَهْلِكَ هكذا

(١) رواه الطبرانىّ فِى مكارم الأخلاق باب فضل من يملك نفسه عند الغضب.

يفهمنا رسول الله ﷺ. ولهذا أمثلة كثيرة، كان فِى العرب الماضين فِى عاد وهم قوم من العرب من أقدم الناس كانوا أيام سيدنا هود عليه السلام ويمكن بيننا وبينهم عشرات الألوف من السنين، الله أعلم كم مضى من عمر الدنيا إلى يومنا هذا، هذا لا يعلمه أحد من البشر إلا الله، كان من هؤلاء رجل يقال له حمار بن مالك هذا كان زعيمًا على وادٍ طويل وعريض كان فِى هذا الوادِى أشجار ومياه يقال لهذا الوادِى جوفٌ، هذا الرجل الله ابتلاه لكنه ما صبر غضب على ربه لأنه ابتلاه، الله أرسل صاعقة فقتلت أولاده فغضب غضبًا شديدًا على ربه قال لا أعبدك لأنك قتلتَ أولادِى وكان عاش فِى الإسلام أربعين سنة قبل أن تحصل هذه الحادثة، كان مسلمًا عاش أربعين سنة على الإسلام ثم كفر وكان إذا أتى أحدٌ إلى هذا الوادى يقول له اكفر بالله وإلا قتلتُك، صار طاغيًا جبارًا، ثم لم ينفعه غضبه على ربه بل زاده الله بلاءً أرسل الله نارًا من أسفل الوادِى فأكلت الوادِى كله، هلك هو ومن أطاعه. هذا الرجل سبب كفره وهلاكه الغضبُ لو لم يغضب على ربه بل قال الحمد لله أنت أعطيتنيهم وأنت أخذتَهم لكان له أجر كبير لكان جزاؤه الجنة لأن الرسول عليه السلام روى عن ربنا تبارك وتعالى **إذا قبضتُ صَفِيَّ عَبْدِى فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ ليس له عندى جزاءٌ إلا الجنة**[1] اهـ معناه أجرُهُ شىءٌ عظيم، الذِى يفقد

(١) رواه البخارىّ فِى صحيحه باب العمل الذى يبتغى به وجه الله.

إنسانًا يَعِزُّ عليه أباه أو أمه أو أخاه أو أخته أو زوجته أو نحو ذلك من فقد مَن يعزّ عليه فصبر واحتسب الأجر على الله فجزاؤه الجنة، هذا الرجل بسبب الغضب على الله أهلك نفسه وحُرِمَ الجنة وصار من أهل النار المخلدين فيها هكذا يفعل الغضب.

كثير من الناس إنما يكفرون بسبب الغضب هذا يغضب لأنه سلط الله عليه مصيبة كبيرة يغضب فيكفر، وهذا يغضب من إنسان ظلمه فيقول كلمة كفر فيكفر، وهذا يغضب من صديقه فيقاطعه ويعاديه بسبب غضبه، وهذا يغضب من قريبه فيقاطع قريبه فيصير قاطعَ رَحِمٍ، قاطعُ الرحم عذابه شديد عند الله، الذِى يقطع رحمه فلا يزوره ولا يرسل له سلامًا وإذا وقع فِى ضيق لا يساعده هذا عذابه شديد، الغضب يوقع فِى هذا أيضًا، فمن أخذ بقول رسول الله ﷺ **لا تغضب** فملك نفسه عند الغضب سلم من المهالك سلم من مهالك الدنيا ومن مهالك الآخرة لأن كثيرًا من الناس يغضبون فيقولون كلمة أو يفعلون فعلًا فيؤدّى به هذا الفعل وهذه الكلمة إلى مصيبة شديدة فِى الدنيا قبل الآخرة قد تصيبه مصيبة فِى الدنيا قبل الآخرة فلذلك أوصى رسول الله ﷺ هذا الرجل الذِى قال له يا رسول الله أوصنِى قال **لا تغضب**[1] وللرجل الآخر الذِى قال له يا رسول الله ما ينجينى من غضب الله قال **لا تغضب** لهذا المعنى العظيم أكد رسول الله ﷺ وصية أمته بترك الغضب.

(١) رواه البخارىّ فِى صحيحه باب الحذر من الغضب.

ثم إن من الأمر المهم ما أوصى به رسول الله ﷺ طولُ الصمت لأن طول الصمت يُنجِى صاحبه من كثير من المهالك فِى الدنيا وفِى الآخرة لأن كثرة الكلام يجر إلى المهالك فِى الدين وفِى الدنيا.

كذلك مما ينفع الناس فِى الدنيا والآخرة القناعة بالقليل من الرزق الحلال فإن الذِى يتعلق قلبه بكثير المال ولا يرضى بالقليل ينجر إلى المهالك مهالك الدنيا ومهالك الآخرة لذلك قال رسول الله ﷺ **ما قلَّ وكفَى خيرٌ ممّا كَثُرَ وألْهَى**[١] اهـ معناهُ الرزقُ القليلُ الذِى يكفِى قدرَ الحاجةِ يسد حاجات الشخص خير من الكثير الذِى يشغل عن طاعة الله، أما إذا إنسان رغب فِى جمع المال الكثير من المال الحلال لينفع به أقاربه والفقراء ويعمل به مبرات لبناء مسجد أو مدرسة أو تكية للفقراء من اشتغل بهذا فليس عليه حرج عند الله تعالى إنما الأمر المذموم هو جمع المال للفخر حتى يقال انظروا إلى فلان صار من الأغنياء أو يقال ما أغناه، الفخر عند الله حرام حتى الفخر باللباس إذا الإنسان لبس ثوبًا فاخرًا جميلًا للفخر ليعجَب به الناس ويقولوا انظروا إلى فلان ما أحسن ثيابَهُ هذا عند الله تبارك وتعالى هلك يستحق عذاب الله، اللهُ تعالى يحب لعباده أن يكونوا متواضعين لا يحب أهل الفخر والعجب والكبرياء.

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه باب صدقة التطوع.

ثم من أهم ما يكتسبه الإنسان فِى هذه الحياة الدنيا أن يكون على عقيدة أهل السنة ويثبُتَ عليها يتجنب الكفر الفعلِيَّ والكفرَ اللسانِيَّ والكفر الاعتقادِيَّ ويثبت على مذهب أهل السنة، أهلُ السنة هم الذين اتبعوا الصحابةَ، الصحابةُ ما كان بينهم خلاف فِى العقيدة كانوا كلهم على عقيدة واحدة أن الله موجود بلا مكان لا يشبه شيئًا، كان قبل المكان ثم خلق المكان فهو كما كان لم يتخذ مكانًا خلق العرش إظهارًا لقدرته لا ليتخذه مكانًا، وأنه تبارك وتعالى منزهٌ عن الأعضاء والحد، الله تبارك وتعالى لا يجوز عليه أن يكون له حد ومساحة لا مساحةٌ واسعة كالعرش أو أوسع منه ولا مساحة صغيرة، المساحةُ شأن المخلوق صفةُ المخلوق، الإنسان له مساحة أربعة أذرع طولًا وذراع عرضًا، وهذه الأرض التِى تحملنا لها مساحة يعلمها الله تعالى لها حد يعلمه الله، والعرش الكريم له حد يعلمه الله لا نعلمه، أما الله تبارك وتعالى فلا يجوز عليه الحد والمساحة. كلُّ شىء له حد ومساحة مخلوقٌ هذه الشمس لها مساحة وشكل فهِىَ مخلوقة فلا يجوز أن تُعبد، كل شىء له حد مخلوقٌ وأما الله تعالى فمنزه عن الحد والمساحة والأعضاء قال سيدنا زين العابدين رَضِىَ الله عنه [عن الخالق عزّ وجلّ] لا يَمَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُجَسُّ ولا يُحَسُّ[1] اهـ معناه لا يجوز على الله تعالى أن يكون شيئًا يُلْمَس ولا يجوز أن يَلْمَس هو

(١) رواه الحافظ مرتضى الزبيدىّ بإسناده فِى شرح الإحياء.

شيئًا من خلقه.

كذلك أهل السنة يعتقدون أن الله خالق كل شىء، الخيراتُ والحسناتُ والمعاصِى والسيئاتُ هو يخلقها.

كذلك أهل السنة يعتقدون أن الله تبارك وتعالى يراه المؤمنون بعد أن يدخلوا الجنة يرونه هم يكونون فِى الجنة أما هو فليس فِى مكان كما هو اليوم ليس فِى مكان وفِى الآخرة أيضًا عندما يكون المؤمنون فِى الجنة يرونه من غير أن يكون له جهة ولا مكان، لا يُرى كما يُرى المخلوق، المخلوق إما أن تراه منتصبًا أمامك أو فوقك أو على يمينك أو على يسارك أو فِى خلفك أو تحتك المخلوق هكذا يُرى، المؤمنون لما يرون الله تعالى لا يرونه كما يُرى المخلوق لأنه ليس له شبيه هذه أيضًا من عقائد أهل السنة الذين اتبعوا الصحابة.

وكذلك من عقائد أهل السنة أن أفضل هذه الأمة بعد الرسول ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علىٌّ رَضِىَ الله عنهم. هذه عقيدة الصحابة التِى تناقلها المسلمون إلى عصرنا هذا، الجمهورُ على هذا وهذه هِىَ عقيدة سيدنا علىّ رَضِىَ الله عنه، كان يعتقد أن أبا بكر وعمر وعثمان أخذوا الخلافة بحق وأنهم أفضل وكذلك ذرية الحسن والحسين إلى يومنا هذا جمهورهم على هذا الاعتقاد أن أفضل هذه الأمة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علىٌّ وأن هؤلاء الثلاث أبا بكر وعمر وعثمان ما ظلموا عليًّا ما أخذوا الخلافة قبله ظلمًا بل

أخذوها بحق، هذه عقيدة سيدنا علىّ لو كان يعتقدهم أخذوا الخلافة قبله ظلمًا كان كرههم وأبغضهم لكن كان يحبهم محبة شديدة والدليلُ على ذلك أنه سمى ابنًا له أبا بكر، هو غير الحسن والحسين، كان له أربعة وثلاثون ولدًا ما بين ذكور وإناث واحدًا سمّاه أبا بكر وءَاخَرَ سماه عمر وءاخر سماه عثمان ورابعًا عثمان كان عنده عثمانان، ثم سيدنا عمر من أجل التبرك بذرية الرسول ﷺ خطب بنت علىّ أم كلثوم وكانت صغيرة وعمر بذلك الوقت كان نحو الستين من العمر فِى العقد السادس فزَوَّجهُ سيدنا علىّ رَضِىَ الله عنه فولدت له ولدًا اسمه زيد هكذا كان الأربعة متحابين. كذلك زين العابدين رَضِىَ الله عنه كان له ولدٌ سماه عمر الأشرف.

ثم أيضًا أهل السنة من عقائدهم عذاب القبر للكفار ولبعض المسلمين كالذين لا يتحفظون من النميمة الذين يقعون فِى النميمة فِى الإفساد بين اثنين فينقل كلام هذا إلى هذا وكلام هذا إلى هذا حتى يصير بينهما عداوة هؤلاء إذا لم يتوبوا بل ماتوا قبل التوبة يستحقون عذاب القبر، كذلك الذِى لا يتحفظ من البول هؤلاء شباب المدارس العصرية الله تعالى يهديهم هؤلاء مبتلَوْنَ بهذه المعصية الكبيرة لا يستبرئون لا يستنجون. ثم عذاب القبر بالنسبة للمسلم الذِى مات قبل التوبة ينقطع أما الكافر فعذابه لا ينقطع، كلَّ يوم قبل الظهر أول النهار مرة وءاخر النهار مرة ملائكة العذاب يأخذون روحه

يُرُوْنَهُ مقعده فِى جهنم يوم القيامة تقعد هناك[١] يكفيه هذا لو لم يكن غيره يكفيه ثم يوجد له غير هذا من عذاب القبر تسلط عليه ثعابين، توجد ثعابين خلقها الله للقبور لا تظهر على وجه الأرض أشدُّ من الثعابين التِى على وجه الأرض. أما المؤمن التقىُّ فهو كأنه فِى روضة من رياض الجنة لكن الله تبارك وتعالى يحجب هذا عن أبصار الناس، الآن لو فتحنا قبر ولىّ كبير من الأولياء نجد البقعة بحسب مرأى أعيننا بحسب رأى العين بقعة صغيرة بحسب حالها يوم حفرت للدفن لكنها فِى الحقيقة هِىَ واسعةٌ ومنوَّرَةٌ الله تعالى يحجب أشياء حقيقية واقعة عن أبصار الناس إلا من شاء له، هذه ليلة القدر جماعة يكونون نائمين فِى بيت والضوء مطفأٌ واحدٌ من بينهم الله يريه ليلة القدر امتلأ البيت ضوءًا والخارجُ أيضًا امتلأ نورًا ضوءًا أما الذين معه لا يرون، وهكذا حال القبر فيه حقائق لا يراها أكثر الناس. هذه عقيدة أهل السنة.

ثم أيضًا من عقيدة أهل السنة جواز التوسل بالرسول ﷺ والأولياء اللهم اقض الحاجة بجاه رسول الله هذا يقال للتوسل، اللهم بجاه رسول الله فرّج كربتى هذا توسل. من أيام الصحابة إلى يومنا هذا المسلمون على هذا أن الله لا يشبه شيئًا ليس قاعدًا على العرش بل هو موجود بلا مكان وأنه يجوز التوسل بالأنبياء

(١) معناه يقال له تقعد هناك والعرب كثيرًا ما يحذفونَ أداةَ الحكايةِ.

والأولياء وأنه يجوز زيارة قبورهم للبركة أى ليعطِى اللهُ الزائر البركة. هذه عقيدة أهل السنة والجماعة ومن خالف هذا فلا تلتفتوا إليه فهو ضال تائه كالوهابية، الوهابيةُ يعتقدون أن الله جالس على العرش ويعتقدون أن الذِى يقول يا رسول الله كافرٌ وأن الذِى يقول اللهمَّ أسألك بجاه محمد كافرٌ هؤلاء ليسوا من أهل السنة هم يدَّعون أنهم سلفية أى مع المسلمين القدماء الصحابة ومن تبعهم وهم كاذبون فِى ذلك فأوصيكم بالتمسك بعقيدة أهل السنة ولا تسمعوا لمن يخالف ذلك. مئات الملايين من المسلمين على هذا الاعتقاد ليسوا على عقيدة الوهابية علماءُ مئات الملايين من المسلمين يعلّمون هذه العقيدة التِى تتعلمونها أنتم أن الله موجود بلا مكان وأنه منزه عن الحد والأعضاء وأنه يجوز التوسل بالرسول ﷺ والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء وأنه يجوز زيارة قبورهم للتبرك. المسلمون على هذا من أيام الصحابة إلى يومنا هذا لكن هذا الذِى كان فِى نجد الحجاز أرض تبعد من مكة ألف كيلومتر ناحية الرياض واحد اسمه محمد بن عبد الوهاب هذا الرجل طلع فِى القرن الثانى عشر الهجرى بعد ألف ومائة وخمسين ظهر أظهر هذه العقيدة الخبيثة أن الله قاعد على العرش وأن له حدًّا وأعضاء وأن الذِى يتوسل بالرسول ﷺ والذِى ينادِى الرسول فيقول يا رسول الله أو يا عبد القادر أو يا رفاعى أو يا أبا بكر أو يا علىّ قال هذا كافر، هذه عقيدة هذا الرجل الذِى ظهر سنة مائة وألف وخمسين

ثم هذا الرجل توفِى سنة مائتين بعد الألف وست سنوات، اسمه محمد بن عبد الوهاب هم يسمونه شيخ الإسلام وهو عدو الإسلام، الذِى يكفّر المسلمَ لأنه يقول يا رسول الله هذا يكون شيخ الإسلام؟!

صلاح الدين الأيوبى رحمه الله تعالى كان على عقيدة الأشاعرة حتى إنه بنى مدرسة فِى القاهرة لتعليم عقيدة الأشعرية عقيدة أهل السنة التِى نحن ندرسها ويدرّسها علماء مئات الملايين فِى الشرق والغرب بنى مدرسة للعقيدة الأشعرية وكان فِى أيامه أَمَرَ المؤذنين أن يقرأوا العقيدة الأشعرية على المآذن فِى ءاخر الليل حتى يتعلم الناس العوام عقيدة أهل السنة. انتهى.

وسبحان الله والحمد لله رب العالمين.

والله أعلم وأحكم



**الدرس الثانِى والعشرون**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# حكم تعدد الجمعة فِى البلد الواحد

قال الفقيه المحدث الأصولىّ الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد فإن رسول الله ﷺ قال **إن الله تعالى فرض فرائض فلا تُضَيّعُوها وَحَدَّ حدودًا فلا تَعْتَدُوهَا وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها**[1] اهـ والفرائض هِىَ قسمان فرائضُ معلومة من الدين ظاهرة بين المسلمين بين العلماء وبين غيرهم وفرائض تَخفَى على كثير من المسلمين وليست ظاهرة بين المسلمين كظهور القسم الأول.

فمن القسم الأول الصلوات الخمس فلم يفرض الله تبارك وتعالى على عباده غيرَ الخمس وأما هذه الصلاة التِى تُعاد يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة ظهرًا أى بنية

(١) رواه الدارقطنى فِى سننه باب الخراج بالضمان والحاكم فِى المستدرك وله شواهد عدة وقد حسَّنه الحافظ أبو بكر بن السّمعانىّ فِى أماليّه والحافظ النووىّ فِى الأربعين.

الظهر فهِيَ للخروج من الشك لأن الله تبارك وتعالى لم يفرض فِى اليوم والليلة على الأمة المحمدية إلا خمسَ صلوات وفرض يوم الجمعة الجمعةَ مكان الظهر لكنه لما لم تكن فِى زمن الرسول ﷺ ولا فِى زمن الخلفاء الراشدين إلى مائتين وثمانين عامًا فِى بلدة واحدة إلا جمعة واحدة رأى بعض الأئمة المجتهدين أنّ تعديد الجمعة فِى بلد واحد لا يصح وإذا تعددت الجمعة فِى بلد واحد قالوا إن سبقت واحدة بالتكبير أى كبرت قبل غيرها صحت هذه الجمعة ولم يصح ما سواها فِى تلك البلدة ولما لم تكن السابقةُ معلومةً بل اشتبه الأمر والتبس نعيد الجمعة ظهرًا خروجًا من الشك لأننا لسنا على يقين بأن هذه الجمعة هِىَ الصحيحة لإقامة عدة جمع فِى بيروت، ومثلُها كل بلد تتعدد فيه الجمعة. لما لم يَرَ الإمام الشافعىُّ رَضِىَ الله عنه فِى مسجد الرسول ﷺ ولا فِى ما يليه أن الجمعة تعددت فِى بلد واحد وكان الإمام الشافعى رضى الله عنه توفِى سنة مائتين وأربع من الهجرة النبوية قال رضى الله عنه لا تقام جمعتان فِى مصر واحد أى فِى مدينة واحدة وإن كبر البلد، قال ذلك اعتمادًا على ما كان عليه الأمر فِى أيام الرسول ﷺ وفِى أيام الخلفاء الراشدين وما بعد ذلك إلى عصره، لم يرَ تعدد الجمعة فِى بلد واحدٍ صحيحًا فعلى نصه رضى الله عنه هذه الجمع المتعددة لا تصح إن لم تُعلم السابقة لا تصح منها واحدةٌ بل كلها غير صحيحة، ثم بعض أصحاب الشافعىّ رضى الله عنه قالوا إن الإمام الشافعى رضى

الله عنه إنما يعنى بقوله بعدم صحة تعدد الجمعة فِى بلد واحد وإن كبر البلد ما لم يشقَّ الاجتماع فِى بلد واحد أما إذا شق الاجتماع فِى موضع واحد فلا يرى تعدد الجمعة ممنوعًا بل يرى ذلك صحيحًا وقال بعضهم من أجل هذا إعادة الجمعة فِى بلد تعددت فيه الجمعة مستحبةٌ سنةٌ وقال بعض أتباعه الإمامُ الشافعى يعنى الإطلاق يعنى لا تصح جمعتان فِى بلد واحد لو كان يشق الاجتماع فِى موضع واحد قالوا هذا مراد الشافعِىّ رَضِىَ الله عنه فعند هؤلاء إذا صليت جمعٌ متعددة فِى بلد واحد ولم تعلم السابقة فالإعادة فرض، إعادة تلك الجمعة ظهرًا فرض عند هؤلاء، وأما عند القسم الأول من أتباع الشافعى الذين قالوا إذا تعددت الجمعة فِى بلد واحد لأجل مشقة الاجتماع فِى موضع واحد صحت كلها فالإعادة أى إعادة الجمعة ظهرًا عندهم مستحبة ليست فرضًا، على ما ذهبوا إليه يجوز للمصلى أن يعيدها ظهرًا وأن لا يعيدها لكنه تستحب الإعادة عندهم وعند الآخرين تجب الإعادة ظهرًا، هذا معنى إعادة الجمعة ظهرًا ليس معناه إيجابَ فرض سادس فِى يوم واحد لا يقصدون هذا لأن مَن تعمد إيجابَ فرض سادس فإن ذلك تكذيبٌ للشرع لأنه ثبت فِى الحديث أن رجلًا أعرابيًّا أى بدوِيًّا جاء إلى رسول الله ﷺ وسأله قال أخبرنى بما افترض الله علىَّ من الصلاة قال ﷺ **خمسُ صلوات** قال هل علىَّ غيرها قال **لا إلا أن تطَّوع** ثم سأله عما افترض الله عليه من الصيام والزكاة فعلّمه شرائع الإسلام فعلمه كل ما

افترض الله على الأمة المحمدية فقام الرجل وانصرف قائلًا والذِى أكرمك بالنبوة لا أتطوع ولا أنقص مما افترض اللهُ عَلَىَّ شيئًا فقال رسول الله ﷺ **دخل الجنة إن صدق**[١] اهـ وفِى رواية **أفلح الرجل إن صدق**[٢] اهـ هذا الرجل لما حلف أمام الرسول ﷺ أنه لا يتطوع أى لا يصلِّى سُنَّةً ولا يصوم سُنَّةً ولا يفعل فِى ماله غير الذِى افترض الله عليه من التطوع شيئًا أى لا يدفع من ماله غيرَ ما افترض الله عليه ما قال الرسولُ ﷺ له كيف تحلف هذا الحلِف أنك لا تعمل سُنَّةً بل قال عليه الصلاة والسلام **دخل الجنة إن صدق** اهـ من هذا الحديث الصحيح باتفاق علماء الحديث الذِى رواه البخارىُّ فِى الصحيح وغيره من المحدّثين فِى كتبهم علمنا أنه لا يُفترض على أحد منا صلاة غير هؤلاء الخمس، فليُعلم أن ما خالف هذا فهو كذب على رسول الله ﷺ كما يقول بعض الناس إن الذِى لا يُصلّى السنة يأتى يوم القيامة إلى النبىّ ﷺ وليس على وجهه قطعة لحم أى من شدة الخجل هذا كذب ليس له أصل، وكذلك ما يقول بعض الناس مَن لم يصلّ سُنَّتِى فليس من أمتِى هذا أيضًا من جملة الكذب على رسول الله ﷺ وكذلك قول بعض الجهلة عن النبىّ ﷺ أنه قال من لم يصلّ سُنَّتِى لم تنله شفاعتِى، كل هذه الأقوال الثلاثة خلاف الشرع ليس لها أصل فحذّروا

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب بيان الصلوات التى هى أحد أركان الإسلام.
(٢) رواه مالك فِى الموطأ باب جامع الترغيب فى الصلاة.

منها وعلموا الناس أن هذا الكلامَ فاسدٌ لا يُرضِى الله ورسوله إنما الذِى على المكلف أداء الصلوات الخمس بأركانها وشروطها مع الإخلاص لله تعالى. وهكذا كل أعمال الدين يشترط أداؤها على الوجه الصحيح والصيام والحج والزكاة وغير ذلك إن لم تُفعل على الوجه الموافق لما جاء عن رسول الله ﷺ من الأركان والشروط فذلك العمل فاسد مردود على صاحبه فيجب على المكلف الذِى يريد النجاة فِى الآخرة أن يتعلم كيف تكون صلاته صحيحة وصيامه صحيحًا وكيف تكون زكاته صحيحة وكيف يكون حجه صحيحًا لأنه إن لم يتعلم قد يؤديها على وجه فاسد ثم هو يظن أنه أداها على الوجه الصحيح وأنها تكون له ذخرًا فِى الآخرة وهيهات هيهات أن يكون ما يعمله من صلاة أو صيام أو حج أو زكاة على خلاف تعاليم رسول الله ﷺ صحيحًا يؤجر عليه يوم القيامة فعليكم بمعرفة ما تصح به الصلاة والصيام والحج والزكاة حتى توافوها يوم القيامة على الوجه الصحيح فتؤجروا عليها ما وعد الله عليها عباده المؤمنين فإن مَن لم يطبق ذلك على الوجه الصحيح بإخلاص النية وصحة العقيدة وإتمام الركوع وإتمام الأركان والشروط فإنه لا يجد لذلك العمل فِى الآخرة ثوابًا لذلك قال رسول الله ﷺ **رُبَّ قائمٍ ليس له مِن قيامه إلا التعبُ ورُبَّ صائمٍ ليس له مِن صيامه إلا الجوعُ والعطشُ**[1] اهـ

(١) رواه أحمد فِى مسند أبِى هريرة من مسنده وابنُ حبان فِى باب ذكر الزجر عن أن يخرق المرء صومه بما ليس لله فيه طاعة. وغيرهما.

هذا سببه أن بعضَ الناس يكونون على غير عقيدة الإسلام فِى باطن الأمر فِى نفس الأمر عند الله فلا تقبل لهم أعمالهم، وبعضَ الناس يكونون مرائين والمرائى فِى عمل الآخرة ليس له ثواب بالمرة، وإما أن يكونوا فعلوا تلك العبادات على غير شروطها وأركانها أى من غير الإتيان بشروطها وأركانها لذلك يكونون لم يستفيدوا من قيامهم أى من صلاتهم بالليل والناسُ نيام، القيام هو صلاة الليل، قيامهم ذلك لا ينفعهم عند الله فِى الآخرة إنما سهروا فِى الدنيا، من أجل ذلك القيام منعوا أنفسهم حِصَّةً من النوم أما الأجر فلا أجر، كذلك أولئك الذين صاموا على غير تطبيق لصيامهم على الشرع إنما استفادوا من ذلك أنهم أجاعوا أنفسهم، هذا كان نتيجة أعمالهم السهر بقيامهم بالليل والناس نيام وأنهم جاعوا وعطشوا بصيامهم بمنع أنفسهم من الطعام والشراب، هذا جزاؤهم ليس لهم فِى الآخرة شىء، كذلك الحج كثير من الناس لا يكون حجهم مطابقًا موافقًا لشريعة الله هؤلاء ليس لهم من حجهم شىء من الثواب إنما نتيجة حجهم أنهم قاسَوا المشقات أنهم كابدوا المشقات وأنهم صرفوا أموالهم وأنهم فارقوا أهاليَهم وأوطانهم هذا نتيجة حجهم أما الثوابُ فلا ثواب لهم.

فإذا رأيتم إنسانًا يعترض على إعادة الجمعة ظهرًا فِى بلدة من البلاد التِى تقام فيها جمعتان فأكثر فيقول هل من فرض سادس فِى اليوم يقال له هذا ليس معناه أنهم زادوا فرضًا سادسًا إنما معناه الخروج من الشك لأن

هذه الجمعة لم تصح عند بعض الأئمة لأنه لم يكن فِى زمن الرسول ﷺ إلى مائتين وثمانين عامًا جمعتان فِى بلد واحد، كانوا يتحملون المشقات للحضور لأداء الجمعة فِى مكان واحد كانوا يجتمعون فِى المدينة وفِى مكة وفِى بغداد مع أن بغداد كانت أيام العباسيين وصلت فِى كثرة السكان إلى حد أنه كان فيها خمسة وعشرون ألف مسجد ذكر ذلك الحافظ الخطيب البغدادى فِى تاريخ بغداد إنما حدث تعدد الجُمَع فِى البلد أيام الخليفة العباسى المعتضد بالله رحمه الله. سبب تعدد الجمعة فِى ذلك الوقت أن الخليفة خاف على نفسه من الاغتيال من أن يعترض له بالاغتيال إن صلى فِى المسجد القديم الذِى كان تقام الجمعة فيه فقط فأحدث جمعة ثانية فِى دار الخلافة.

أيام الرسول ﷺ ما كانت تقام فِى المدينة جمعتان مع أن الصلوات الخمس كانت فِى مسجده ﷺ وفِى ثمانية مساجد أخرى فِى المدينة أما يومَ الجمعة كانوا يَنْزَوُونَ إلى مسجد الرسول ﷺ ما كانوا يصلون فِى مسجد من هذه المساجد الثمانية الجمعة وكذلك فِى مكة كانوا ينزوون إلى المسجد الحرام وكانت بها مساجد عديدة كذلك فِى بغداد كان فيها أضعاف أضعاف أضعاف ذلك من عدد المساجد ما كانوا يصلون إلا فِى موضع واحد إلى هذا التاريخ أى مائتين وثمانين عامًا مع العلم بأن المدينة حرُّها حر وبردها برد كذلك مكة حرها معروف مع ذلك قبل هذا التاريخ ما كانوا يقيمون جمعتين فِى مكة ولا فِى المدينة من استطاع أن يحضر إلى هذا المكان الواحد حضر ومن لم

يستطع فهو معذور يصلّى ظُهره فِى بيته، ثم بعد ذلك بعض الأئمة أئمة الاجتهاد قالوا إن كان يشق الاجتماع فِى مكان واحد جاز أن تُعَدَّدَ الجمعة فِى بلدة واحدة بقدر الحاجة لا أزيد إن كانت المشقة ترتفع بمكانين لا يجوز إحداث جمعة ثالثة بمكان ثالث وإن كانت المشقة تزول بثلاث جُمَعٍ لا يجوز إحداث جمعة رابعة وإن كانت المشقة تزول بخمس جُمَعٍ لا يجوز لأهل تلك البلدة إحداثُ جمعة سادسة ولْيُقَسْ على هذا. انتهَىَ.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



**الدرس الثالث والعشرون**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# كرامة الولِيّ دليل على كمال اتّباعه لنبيه بأداء الواجبات واجتناب المحرمات

درس ألقاه العلامة الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فى العقد الثامن من القرن العشرين بالتوقيت الرومىّ وهو فِى بيان أن كرامات الأولياء دليل على كمال اتّباع الولىّ لنبيّه بأداء الواجبات واجتناب المحرمات وأن تلك الكرامات هِىَ معجزات لأنبياء أولئك الأولياء. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم

أما بعد فإنّ كرامات الأولياء معجزات لأنبياء أولئك الأولياء فما ظهر على أيدى أتباع موسى عليه السلام من الصالحين والأولياء عُدَّ ذلك معجزةً لموسى وكرامةً لهؤلاء الأولياء، وكذلك ما ظهر على أيدِى المؤمنين الصالحين الأولياء من أتباع المسيح بعد ارتفاع المسيح إلى السماء يكون معجزةً للمسيح وكرامةً لذلك الولىّ التابع لشريعة المسيح التِى هِىَ شريعته الحقيقية، المسيح الذِى نال تابعه بصدقٍ هذه العجيبةَ على دين

صحيح لأنه متبوعه أى إمامه الذِى يتبع هذا الولىُّ شريعته وبهذا نال هذه العجيبة كرامة له وظهر أنه من أحباب الله وأصفياء الله.

وذلك كثير، من ذلك ما جاء فِى القرءان وما جاء فِى الحديث النبوى فإن فِى القرءان أن مريم كان يأتيها رزقها من الغيب وهِىَ لم تكن نبية إنما كانت ولية تابعة لشرع النبىّ الذِى كان شرعه واجب الاتباع وهو زكريا[١]، أخبرنا الله تبارك وتعالى أنه كان يأتيها رزقُها من الغيب كان زكريا الذِى هو متبوعُها الذِى بلغت هذه المنزلةَ بسبب اتّباعها له كان حين يدخل عليها المحراب أى المكان الذِى كانت تنزوِى إليه للعبادة يرى عندها رزقًا فيقول أَنَّى لكِ هذا قالت هو من عند الله، هذا يُعد كرامة لمريم حيث إنها مؤمنة مسلمة تقية ولية صالحة أدت الواجبات واجتنبت المحرمات وأكثرت من النوافل.

وكذلك ما أخبرنا الله تعالى فِى القرءان عن الذِى كان عنده عِلْمٌ من الكتاب وهو كان من أتباع سليمان نبى الله عليه السلام سماه المفسرون ءاصفَ بنَ بَرْخِيَا أخبرنا الله تعالى بأنه قال لسليمان حين قال سليمان ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾[٢] أى بعرش بلقيس الذِى كان فِى اليمن ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ

(١) زكريا عليه السلام كان على شرع التوراة المنزلة على رسول الله موسى عليهما الصلاة والسلام.
(٢) سورة النمل/الآية (٣٨).

مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[١] هذا الأمر العجيب إحضار عرش بلقيس فِى هذه اللحظة أمر خارق للعادة لكن هذا ظهر فِى حياة سليمان عليه السلام فهو أيضًا معجزة لسليمان وكرامة لآصف بن برخيا.

وكذلك ما حصل لِجُرَيْج وهو رجل من العبّاد الصالحين الأولياء من أتباع المسيح بعد رفع المسيح إلى السماء ظهر له أنه افترت عليه بَغِيٌّ من بغايا بنى إسرائيل وقد حملت من زنى أنَّ حملها هذا منه فجاء الناس وقد أساؤوا به الظن صدَّقوا المرأة الفاجرة فيما افترت عليه ليهدموا له صومعته التِى كان يعتزل فيها لعبادة الله وكان من الرهبان المؤمنين المسلمين الصادقين المتبعين لشريعة المسيح اتباعًا كاملًا لم يكن من هؤلاء الرهبان الذين أشركوا بالله بعبادة المسيح وأمه، أخذوه وأهانوه وسبُّوه فطلب منهم أن يمهلوه حتى يصلّى فأمهلوه فصلّى ثم أتى على المولود الذِى كانت تحمله هذه الفاجرة التِى ولدته من زنى قال له من أبوك قال الراعِى أى برّأ جُرَيجًا مما نُسب إليه، برّأه الله على لسان هذا المولود مما افترت به على هذا العابد العبد الصالح ولىّ الله جريج، إلى غير ذلك مما حصل لأتباع الأنبياء من الصالحين بعد موت هؤلاء الأنبياء وحالَ حياتهم وذلك إذا اسْتُقْصِىَ شىءٌ كثيرٌ.

(١) سورة النمل/الآية (٤٠).

وأما ما حصل فِى أمة محمد ﷺ للصحابة ومَن بعدهم إلى يومنا هذا فلا يُحصَى ومَن يُحْصِى نجومَ السماء أو أوراقَ الأشجار لا يحصيها أحد إلا الله وكذلك كرامات أولياء أمة محمد لا يحصيها أحد إلا الله ومن ذلك ما حصل لبعض الصحابة وهو زيد بن خارِجةَ الأنصارىُّ الخزرَجِىُّ الحارِثِىُّ رُوِىَ بإسناد صحيح[1] أنه بعدما مات قبل أن يدفن سُمعت له جلجلة أى صوت ثم تحرك فجلس فقال محمد رسول الله فِى الكتاب الأول صدق صدق أبو بكر الصديق الضعيف فِى نفسه القوىّ فِى أمر الله فِى الكتاب الأول صدق صدق عمر بن الخطاب القوى الأمين فِى الكتاب الأول صدق صدق عثمان بن عفان فِى الكتاب الأول مضت سنتان وبقيت أربع بئر أَرِيس وما بئر أريس ثم مات أى عاد إلى حالته التِى كان عليها، هو قبلًا مات إنما الله تعالى أحياه بعد أن مات ثم أعاده إلى الموت إظهارًا لشرف نبيه محمد ﷺ وشرف هؤلاء الخلفاء الثلاثة أبِى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وإظهارًا لكرامة هذا الميت وهو زيد بن خارجة الأنصارى الخزرجى الحارثى أما قوله مضت اثنتان وبقيت أربع فمعناه أن عثمان بقىَ لأيامه التِى يكون أمر

(١) رواه من طرق الطبرانىّ فِى الكبير والأوسط وابن شبة فِى تاريخ المدينة فِى ما جاء فِى كف عثمان رضِىَ الله عنه عن القتال، وابن أبِى الدنيا فِى من عاش بعد الموت، والزبير بن بكار فِى الموفقيات وغيرهم وذكره بصيغة القطع البيهقىّ فِى الاعتقاد وقال فِى مجمع الزوائد إن رجال أحد أسانيده فِى المعجم الكبير ثقات اهـ

سلطته مستقرًا ثابتا بطمأنينة ونشاط مضى منها سنتان وبقيت له أربع سنين أى أنه بعد ذلك تتغير عليه الأحوال إلى الاضطراب عليه، أما قوله بئر أريس وما بئر أريس هو أيضًا كرامة له أنطقه الله بها لأن أريس هو اسم بئر بالمدينة كان عثمان معه خاتم رسول الله ﷺ الذِى انتقل إليه بعد أبِى بكر وعمر كانا يلبسانه بعد وفاة رسول الله ثم انتقل هذا الخاتم إلى عثمان فبين هو ذات يوم على هذا البئر فأخرج خاتمه من يده فجعل يعبث به فوقع فِى البئر فنزح البئر فلم يظهر بعد تفتيش ثلاثة أيام لم يجدوه ثم بعد ذلك صار على عثمان اضطرابات من الناس وتشويشات أقلقت باله حتى أدى ذلك إلى قتله كان ذلك الخاتم فيه سر وضعه الله تعالى فيه.

وفِى قصة زيد بن خارجة هذه بقية وهِىَ أنه قال مع هذه الكلمات ظهرت الفتن وأكل القوى الضعيف بعد أن ذكر عثمان قال ظهرت الفتن وفِى لفظ جاءت الفتن وأكل القوىّ الضعيف المعنى أن عثمان سيستقبل بعد هذه الست سنوات أهوالًا ومشاكل ومزعجات فكان الأمر كذلك.

ثم من جملة ما ظهر بعد ذلك فِى المائة الثالثة أمر حدث فِى خراسان وهو أمر جسيم كانت فِى خراسان ناحية هِىَ ثغر من الثغور كان الكفار المشركون يتعرضون فيها للمسلمين من وقت إلى وقت فهجم كافر طاغية فتصدى له شبابٌ للدفاع عن القرية ثم تظاهر

بالفرار ليستجرهم إلى خارج البلدة إلى الصحراء فلما أصحروا كرّ عليهم وقتل منهم نحو أربعمائة ثم جاءهم المدد من الوالى والِى تلك الناحية فهرب ذلك اللعين فحملوا القتلى إلى البلدة وكان من بينهم شاب متزوج ترك زوجة وأولادًا لم يترك لهم مالًا إنما كان يكتسب قدر ما ينفقه عليهم فأُخذت جثته ووُضعت بين يدى زوجته فصارت تبكى وصارت النساء من ذوات القرابة والجيران يبكين معها وحانت صلاة المغرب فقامت فصلت فبين هِىَ ساجدة أخذتها غفوة فرأت أرضًا يابسة ثم رأت أمام تلك الأرض أرضًا ذات عشب كثير حسن المنظر ثم رأت رجالًا يتحلقون حلقًا حلقًا يأكلون ويلبسون ثيابًا خضرًا وقد علاهم النور فجعلت تتصفح وجوههم لترى زوجها ثم هو رءاها فناداها باسمها قال يا رحمة يا رحمة فأقبلت نحوه فقال للذين يأكلون معه ما زالت هذه المسكينة جائعة منذ اليوم أتأذنون لى أن أطعمها فأعطاها لقمة من رغيف وقال لها كُلِى فلا تجوعين بعد هذا ولا تعطشين ما حييت فأكلت ثم استيقظت وعاشت بعد ذلك أكثر من عشرين سنة لا تشتهِى الطعام وهِىَ صحيحة الجسم لا تأكل ولا تشرب أغنتها تلك اللقمة عن الأكل والشرب وهِىَ لا يُرى فِى وجهها أثر البؤس وجهُها نَضِرٌ خدُّها متورد وإذا مشت تمشى بنشاط ثم فشا أمرها وصار الولاة أى الحكام يأخذونها فيحبسونها فِى بيتٍ الشهرَ والشهرين ليتأكدوا من أنها لا تأكل ولا تشرب فلا يجدونها تأكل أو تشرب، وما كانت تطلب من الناس شيئًا إلا أن الناس

كانوا يعرضون عليها ما تَقُوتُ به أولادها وما تكتسِى به فكانت تأخذ إذا عُرض عليها مال لتكتسى ولتكسوَ أولادها وكانت صادقة لم تُجَرَّبْ عليها كذبة بل كانت من الوليات كانت من التقيات المؤمنات الصالحات ثم الناس فِى تلك البلدة وفيما يليها من عدة بلدان كلهم أيقنوا ولم يبقَ عندهم شك فِى صحة أمر هذه المرأة، كانت لا تشتهِى طعامًا بل كانت تأخذ بأنفها إذا قُرّب إليها طعام كأنها تتضايق من هذا الطعام. وكان بعض الولاة الأذكياء أراد زيادة تأكد من صحة الأمر فأمر بعض هؤلاء النساء بملازمتها ومراقبتها مدة طويلة لأنه عند الأطباء قد يَدَّعِى أحدهم أن الإنسان فِى أحد فصول السنة الأربعة تعرض له حالات تمنعه من شهوة الطعام لكنهم لا يسلمون أن ينقطع الإنسان عن الطعام والشراب طول السنة لأن الفصول تختلف فلو كان أمرًا عارضًا بسبب المرض عرض لها كان ذهب لَمّا يتغير الفصل لَمَّا يأتِى الفصل الثانى ذهب عنها ذلك الحال لكنه لم يذهب عنها فِى جميع الفصول الأربعة فسلمت الأطباءُ أيضًا أن هذا عارض ليس من الأمور المعتادة.

وكذلك حصل لغير هذه المرأة فِى بلدان مختلفة مثل قصتها فمنذ بضع سنوات أُخْبِرْتُ بحلب عن رجل سوريّ أنه مضى أربعة عشر عامًا لا يأكل ولا يشرب وهو صحيح البنية نشيط على الأسفار أخبرنى من شاهده من أهل حلب، وهذا الرجل أيضًا قصته صحيحة ولم نعرف ما بدء أمره هل حصل له مثل ما حصل لهذه المرأة من أكل شىء من طعام الشهداء فِى

المنام من الطعام الذِى يرزقه الشهداء أم بسبب ءاخر شاء الله تبارك وتعالى أن يحصل له وكل هذا شاهد لصدق ما جاء به رسول الله ﷺ. انتهى.

وسبحان الله والحمد لله رب العالمين.

والله أعلم وأحكم.



**الدرس الرابع والعشرون**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# الأمر بإخلاص العمل لله

قال المجدد المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدريُّ الشَّيبيُّ رحمه الله تعالى وكان فِى عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا عليه كما يحب ربنا ويرضاه.

أما بعد فإن الله تبارك وتعالى منَّ على أمة محمد ﷺ بأن جعل دينهم[١] دائمًا مستمرًّا حتى تقوم القيامة وذلك لأنه ءاخر الأنبياء وأمته ءاخر أمم الأنبياء ليس بعد سيدنا محمد ﷺ نبىّ ءاخر فمن ادّعى لنفسه أو ادّعى النبوة لغيره فقد كفر ومن شك فِى كفره فقد كفر.

وهذا يلتقِى مع حديث **نحن السابقون الآخِرون**[٢] اهـ من حيث الظهور فِى الدنيا أمة محمد هم الآخِرون ومن حيث دخول الجنة هم السابقون لا تدخل أمة من أمم الأنبياء الجنة إلا بعد دخول أمة محمد ﷺ وذلك لشرف نبيهم وأفضليته على كل خلق الله. ثم إنه تبارك وتعالى حفظ هذه الأمة عن أن تَضِلَّ أكثرُها وإنما يضل

(١) أى شريعتهم.

(٢) رواه البخارىّ فى صحيحه باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به.

مَن شذ عن الجمهور لذلك أوصى بثلاث قال عليه الصلاة والسلام **ثلاثٌ لا يَغِلُّ عليهن قلبُ المؤمن إخلاصُ العمل لله ومناصحةُ أُولِى الأمر ولزومُ جماعة المسلمين فإنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مَن وراءهم**[١] اهـ

إخلاص العمل لله معناه أن يعمل الإنسان الحسنات لله تعالى وحده أى من غير أن يخلط فِى نيته أن يحمده الناس أو أن ينظر إليه الناس بعين الإجلال والإكرام لأن مَن عَمِلَ حسنة من الحسنات ليحمده الناس ليس له أجر إلا الذنب، ومن عمل الحسنة بنيتين بنية طلب الأجر من الله ونية أن يحمده الناس كذلك ليس له شىء من الأجر إلا المعصية وهذا معنى قوله عليه السلام **إخلاصُ العمل لله** اهـ

أىُّ حسنة يعملها المسلم إن لم ينو بها نية حسنة فليس له منها ثواب، كثير من الناس بل أكثر الناس يتعبون فِى تربية أولادهم من حين يولدون إلى أن يَكْفُوا أنفسهم يتعبون فِى خدمتهم والإنفاق عليهم ورعايتهم لكن لا ينوون فِى تربية أولادهم ورعايتهم والإنفاق عليهم التقربَ إلى الله إنما ينوون أن يربوا أولادهم كما يُرَبِّى الناس حتى لا يقال فلان لا يرعَى أولاده فلانةُ لا ترعَى أولادها لهذا أكثر الناس يتعبون فِى خدمة وتربية ورعاية أولادهم من الصغر من حين يولدون إلى أن يبلغوا هؤلاء ويذهب تعبهم بلا أجرٍ بل مَن يُرَبّى أولاده برعاية وعناية ليقول الناس فلان يُرَبِّى

(١) رواه الترمذِىُّ فى السنن وغيره.

أولاده تربية حسنة هذا عليه ذنب بدل أن يكون له أجر. أما من أنفق على أولاده وهو ينوِى كلَّ مرة أن الله تعالى هو أمر بتربية الأولاد والإنفاق عليهم ورعايتهم فلذلك أنا أربّى أولادى وأنفق عليهم وأرعاهم هذا له أجر عظيم. كذلك النفقة التِى ينفقها على زوجته إذا لم يَنْوِ بها التقرب إلى الله بل أراد أن يقول الناس إنه يُعَيِّشُ زوجته عيشة حسنة ليس له أجر والدليل على ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال لسعد بن أبِى وقّاص **إنك لن تنفق نفقةً تبتغِى بها وجه الله إلا أُجِرْتَ عليها حتى ما تجعلُهُ فِى فم امرأتك**[1] اهـ اللقمة التِى تلقمها امرأتك بيدك إن نويت بها وجه الله لك أجر هذه اللقمة الواحدة لذلك الذِى لا يَنْوِى وجه الله إنما يَنْوِى موافقة عادةِ الناس أنهم ينفقون على أزواجهم وينفقون على أولادهم، الذِى يعمل لهذا ليس له ثواب مهما كثر تعبه، وما أكثر تعبَ الوالدين، ءاباءٌ يتحملون الكد الشديد حتى يحصّلوا لأولادهم النفقة لكن أتعابهم بلا ثواب. النية هِىَ أساس العمل، الله تبارك وتعالى لا يقبل عملًا أُشرك فيه معه غيرُه.

كثير من الناس يبنون المساجد وينوون السمعة ليقال فلان بَنَى هذا المسجد إما لجهلهم بعلم الدين وإما نفوسهم غافلة لـمّا يُقدمون على العمل لا يخطر ببالهم إلا مراعاة الناس لا يخطر ببالهم طلب الأجر من الله

(١) رواه البخارىّ فى صحيحه باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى.

بالتقرب إليه بما أمر به من العمل الحسن، فليحاسِبِ المسلمُ نفسه فِى كل أعماله لِيَقُلْ فِى كل أعماله أنا لماذا أعملُ هذا العمل هل أعمله للتقرب إلى الله فقط أم لماذا أُقْدِمُ على هذا فإذا كانت نيته فاسدة يغيّر نيته يقول لا أعمل هذا العمل إلا للتقرب إلى الله لا أَخلط به أن يَرى لي الناسُ ويحمدونى ويذكرونى بأن فلانًا فعل كذا لا أُريد أن يقال فلان فاعل خير، وكذلك المرأة لا تريد أن يقال عنها فاعلة خير، كثيرٌ من النساء يعملن وَقْفًا، هذا إن لم ينوين نية خالصة فليس لهن أجرٌ. ومن كان فِى ما مضى من عمره يعمل بغير هذه النية الشرعية فَلْيَتُبْ وليستأنفِ العملَ بالنية الخالصة لله تعالى فإن القليل من العمل الحسن الذِى يكون بإخلاص النية لله عند الله كثيرٌ، والكثير الذِى يفعله الإنسان بغير نية خالصة كالعدم كأنه ما عمل شيئًا بل إن كان عمله للرياء فَوِزْرُهُ عظيمٌ، الرياء من الكبائر، اليسيرُ من الرياء شرك أى يشبه الشركَ، الذِى ينوِى محمدة الناس له بصلاته أو بصيامه أو بقراءته القرءان أو تعليمه العلمَ أو حَجِّهِ أو زكاته أو بر الوالدين أو غير ذلك من الحسنات فعمله هباء منثور، ثم لو كان أمره يكون فِقدانَ الثواب فقط لكان أهون لكن يُحرم الثواب ويُكتب عليه ذنبٌ كبيرٌ، الذِى يعمل الحسنة من الحسنات ليحمده الناس أو لأجل الأجر ولمحمدة الناس أشرك بين النيتين هذا ليس له من الأجر شىء وإنما استفاد معصية كبيرة أما من يعمل العمل الحسن لله مهما قلَّ فإنه عند الله كبير، وهذا أيضًا فيه شرطٌ

إن كان العمل يتعلق بالمال كالصدقة يشترط أن يكون ذلك المال حلالًا أما إن كان اكتُسب من طريق حرام فإنه كالعدم مهما كان كثيرًا، رجل من أغنياء بيروت مرة قال الآن أنا محتاج لِأَسُدَّ دُيونى ءاخذ من البنك بطريق الربا وأسد ديونى ثم بعد ذلك أَبْنِى مسجدًا قلت له لا يقبل الله منك، المعاملة مع البنوك بوضع المال فيها وأخذ الزيادة المتفق عليها بين الطرفين حرامٌ، المالُ الذِى يُتصدق به من هذا الطريق ليس فيه ثواب بالمرة، لكن اليوم كثر الابتلاء بهذا فالـمُخلّص من المعصية فِى مذهب أبِى حنيفة أن يضع مالًا فِى بلاد الكفار ويأخذ الفائض يَحِل عندهم لأنه ما أخذه من مسلم عندهم لا يكون الربا بين مسلم وكافر حربى فِى بلاد الكفر إذا عامل المسلمُ كافرًا فِى بلاد الحرب بلاد الكفر لا يكون فيه معصية أما عند الإمام الشافعىّ لا فرق بين أن يكون مع مسلم وبين أن يكون مع كافر هو ربًا عنده، لكن مذهب أبِى حنيفة فِى هذا الزمن فسحة كبيرة، فِى مذهبه فسحة كبيرة.

هنيئًا لمن عملوا أعمالًا يرضاها الله تعالى. يوجد فِى حلب مسجد يقال له المسجد العثمانى مسجد كأنه قلعة بناء محكم وكبير وحوله حُجَرٌ نحوُ أربعين حجرة بُنِيَتْ لطلبة العلم ووُقِفَ على هذا المسجد أوقافٌ هِيَ تحمل اليومَ مساجدَ حلب، غَلَّةُ أوقافه تحمل مساجدَ حلب، بناه رجلٌ يقال له عثمان باشا من الأتراك الأتقياء كان فِى ءاخر أيام العثمانيين من مائة سنة، الله رزقه مالًا واسعًا بطريق الحلال بَنَى هذا المسجد وبَنَى

حوله هذه الحُجَر ثم بعد أن أكمل عملَ هذا المسجد ذهب إلى المدينة فجاور ستة أشهر وكان يسمع أذان هذا المسجد وهو بالمدينة يَعْنِى صار من الأولياء ثم انقطع عنه سماع الصوت ثم جاءه واحد من حلب فقال له ما حال فلان أى المؤذن بجامعه قال له تُوُفِّى. كان يوجد فِى الأغنياء فِى ما مضى مثل هذا الرجل، اللهُ رزقه من مال حلال وصار من الأولياء، الأوقاف التِى وقفها لهذا المسجد ولهذه الحُجَر تغل ملايين وفِى أيام الانتداب الفرنسى أُخذ منها قطعة كبيرة أُعْطِيَتْ للنصارى ومع هذا فإنَّ القدر الذِى بَقِىَ غَلَّتُهُ من كَثْرَتِها هِىَ تَحمل مساجد حلب. اللهُ تعالى يرزق بعض المؤمنين من المال الحلال الكثير الكثير ويوسع عليهم حتى يعملوا منه مبرات وحسنات وأما اليوم كثيرٌ من أموال الناس حرام لا يُجْرُونَها على القواعد الشرعية. انتَهَى.

وسبحان الله والحمد لله رب العالمين.

والله أعلم وأحكم.



**الدرس الخامس والعشرون**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# بيان أن الكفر أشد الذنوب على الإطلاق وبيان بعض الكبائر

درس ألقاه المحدث الفقيه اللغوى الشيخ عبد الله ابن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى الثانِى من رجب سنة سبع وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق للثالث من شهر ءاذار سنة سبع وثمانين وتسعمائة وألف رومية فِى بيته فِى بيروت وهو فِى بيان أن الكفر هو أشد الذنوب مع كلام على حرمة عقوق الوالدين وحرمة الطاعة فِى المعصية. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلاة الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى ءاله وسائر الأنبياء والمرسلين وسلام الله عليهم أجمعين.

أما بعد فقد قال الله تبارك وتعالى ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[1] معناه الشرك أشدُّ من القتل، الذِى يكفر بالله، يعبُد غيرَ الله، هذا أشدُّ من مجرد القتل عُدوانًا، المسلم إذا قتلَ واحدًا اثنين ثلاثة وأربعةً

(١) سورة البقرة/الآية (١٩١).

عدوانًا ظلمًا هذا أخَفُّ من الشرك بالله، الشركُ بالله أشدّ، ليس معنى ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ الفتنةَ بين الناس للنميمة، لغةُ العرب واسعة كلمة واحدة تأتى لنحو عَشر معان ولأكثرَ من ذلك، هذه كلمة الفتنة تأتى لِعّدة معان، لأكثرَ من عشر معان من جملتها الشّرك، فِى القرءان وردَت بمعنى الشّرك فِى هذه الآية والآية التِى تشْبِهُها ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[1] فِى موضع اللهُ تعالى قال ﴿أَكْبَرُ﴾ وفِى موضع قال ﴿أَشَدُّ﴾ الفتنة بالموضعين بمعنى الشرك، لا تَعْنِى هنا فِى هاتين الآيتين ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ و﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ النميمة، ما أراد بذلك النميمةَ بين اثنين لا، أينَ عظمُ الشّرك من عظم النّميمة بين الناس.

من عظم ذنب الكفر بسائر أنواعه إنْ بالإشراك وإن كان بتكذيب الرسول ﷺ أو الطعن فيه أو فِى شريعته أو بنبىّ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنه بأىّ شكلٍ كان أعظمُ من قتل ألف نَفْسٍ ظلمًا، الذِى قتلَ مائة ألف نفسٍ ظلمًا وأكَلَ أموالَ الناس على أحوالٍ شتّى هذا أخفّ من ذنبِ الذِى كَفَرَ كفريّة واحدة، لأنّ الكفر هو رأسُ الذّنب الله تعالى قال ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾[2].

معنى الآية أنّ الكُفرَ هو أشَدُّ الظلم، ليس أشد الظلم أكل أموال النّاس أو قتل الناس ظلمًا عُدوانًا

(١) سورة البقرة/الآية (٢١٧).
(٢) سورة البقرة/الآية (٢٥٤).

والتّعدّى على الناس وهَتْكَ أعراض الناس، لا ليس هذا الظلم الأكبر بل الظلمُ الأكبر هو الكفر إن كان بعبادة غير الله أو كان بسبّ الرسول ﷺ أو بسبّ الله أو بسبّ الملائكة أو بسبّ الأنبياء ولو نبيًّا واحدًا أو إنكار ما أثبت القرءان مع العلم أو إثبات ما نفَى القرءان أو العكس كلّ هذا كفر، إذا كان يعلم الشخص أن الله فِى القرءان أثبت شيئًا فنفاه كفر، هذا كُفرٌ خروج من الإسلام كذلك العكس، فالكفر بجميع أنواعه هو رأس الظلم ليس كما يظنّ بعضُ الناس، بعض الناس يقولون الكافر الإنسان الذِى هو غيرُ مسلم ولا يؤذى أحدًا لا بالنظر ولا باليد ولا بالتّعدّى على أموال النّاس أمرُه أهوَن أخفُّ من المسلم الفَتّاك المتعدّى على الناس فِى أموالهم وأبدانهم، من جهلهم يظنون أن هذا المسلم أشَدُّ إثمًا عند الله، أشدُّ ظُلمًا، هذا جهل، هذا جهلٌ، رأسُ الظلم هو الكفر، الله تعالى قال ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾[1] معناه هم أشدُّ الخَلْق ظُلمًا الكفار هم أشدّ الخَلْق ظلمًا، ظلمهم أكبَرُ مِن ظلم غيرِهم، هذا المعنى يعنى الكفر ظلمٌ أعظمُ من كل ظلم. ثم الكافر يكون عذابُه فِى الآخرة على حسب معاصيه يكون عذابه فِى الآخرة على حسب ما عندَه من المعاصِى غير الكفر، إذا كان مجتهدًا فِى الكفر يكون عذابُه أعظم وإذا كان مع اجتهاده فِى الكفر يضرب الناس ويأكل أموالهم ويعتدِى على المسلمين

(١) سورة البقرة/ الآية (٢٥٤).

يكون عذابُه أعظم، العذابُ مراتب، عذاب الكفّار مراتب، ليسَ كلُّ الكفار على حدّ سواء فِى جهنّم لذلك الله تبارك وتعالى قال ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾[1] لأن ءال فرعون كفروا عبدوا فرعون صدقوه فِى قوله أنا ربكم الأعلى ثم ظلموا بَنِى إسرائيل الذين كانوا مسلمين قومَ يوسف، أبناء إخوة يوسف لما جاءوا إلى مصر سكنوا هناك لأن يوسف صار هو حاكم البلاد، سكنوا هناك توالدوا كثُرَ عدَدُهم حتى جاء زمان فرعون، هذا فرعون استذلَّهم وصل إلى أنّه إن ولدتِ المرأةُ ذكرًا يقتله وإن ولدت أنثَى يقول اتركوها للخدمة، هؤلاء ءال فرعون الله تعالى قال عنهم ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ يأمُرُ الملائكة ملائكةَ العذاب بأن يُدخِلوا ءال فرعون أى أتباعَهُ الذين كانوا على هذا الفساد مَعهُ أشَدَّ العذاب.

ثمّ من الظّلم عقوقُ الوالِدين، بعضُ الناس من أجل خاطر الأمّ يَعُقُّونَ ءاباءَهُم ويؤذُونَهم ويحرقُونَ قَلبَهم، هذا من أكبر الذنوب عند الله، وأناس يكون أمرُهُم العكسَ مِن ذلك يعُقّونَ الأمَّ من أجل خَاطِر الأب. الواجبُ على الإنسان أن لا يطيعَ أحدًا فِى معصية الله إنِ الأمُّ أرادت أن تَظلِمَ الأب فالولد الذكر أو الولد الأنثى لا يجوز لهما أن يُطيعا الأمَّ وكذلك العكسُ لا يجوز، ما الأمُّ وما الأبُ بالنسبة إلى عِظَم حَقّ الرُّبُوبِيَّة، الأمّ والأب مخلوقان من مخلوقات اللَه، لا

(١) سورة غافر/الآية (٤٦).

يضرّان بذواتهما ولا ينفعان بذواتهما، الضارُّ على الحقيقة الله والنافع على الحقيقة اللهُ، لماذا يقعان فِى معصية الخالق الذِى خلقهما وخلق سائر العالم أهل الجنّة والنار، كيف يُطَاعَان، هذا يجب الحذَرُ منه، هذه خَصلة كثيرة. انتَهَى.

وسبحانَ الله والحمدُ لله ربّ العالمين.

والله تعالى أعلم.



**الدرس السادس والعشرون**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# بيان بعض أحوال ما بعد الموت من النعيم والعذاب

درس ألقاه المحدث الأصولى الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى بيروت فِى الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق للثالث من شهر ءاذار سنة ثمان وسبعين وتسعمائة وألف رومية وهو فِى بيان بعض أحوال ما بعد الموت من النعيم والعذاب. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلاةُ اللّه البَرّ الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد وعلى جميع إخوانه من النبِيّينَ والمرسلين وسلامُ اللّه عليهم أجمعين.

أما بعد فإن اللّه تبارك وتعالى أرسَلَ الرّسُلَ رحمةً بعباده، وفرض عليهم طاعَتَهُم، فكلُّ رسول فِى زمانِه يجبُ التقيُّدُ بشرعِه، وأوّلُ الرسُل ءادمُ عليه السلام، ءادمُ أوّلُ الأنبياء، ءادم كان اللّه تبارك وتعالى عَلَّمَهُ اللغات من دون دراسة وعلّمَه أصُولَ المعيشة، أنزلَ لَهُ من الجنّة القَمحَ وأنزَل له أشياءَ أُخرى وعَلَّمَهُ الله تعالى كيف يُستخرَجُ الذّهَب من مَعْدِنِه وكيفَ تُستَخرج

الفِضَّةُ مِن مَعدِنِها وكيف يتَّخَذُ منهما عُملَةً، اللّهُ علَّمَهُ ثم هو عَمِلَ للنّاس عُملَةً من الذهب وعملة من الفضة وعَلَّمَهُ كيف يزرَعُ القمح وغيره مما أنزل له من الجنة لكن هذه الأشياء التِى خرَجَت من الجنّة تغيرت إنّما الاسمُ بَقِىَ لكن الصفة تغيّرت لو بَقِىَ القمحُ وغيره ممّا أنزلَه اللّه من الجنّة لآدم كان اللونُ غيرَ هذا والطعمُ غيرَ هذا، أفضلَ من هذا، أفضلَ من هذا طَعمًا ولَونًا ومنفَعَةً لكن يتغيّر لأنَّ الدّنيا دارُ متاعب، اللّه تعالى خلقها ليقاسِى العِبادُ فيها المتاعب، وجعلَ لَذَّات الدّنيا مُنَغَّصَةً بالمصائب والبَلَايا، إنّما أخّرَ جزاءَ أوليائه بالنّعيم المُقيم الذِى لا يخالِطه أدنَى غُصَّة إلى الآخرة، جزاء المؤمنين بالثواب الجَزيل أى الثواب الكبير النعيم المحض الذِى ما فيه نكد ولا ضيق ولا مَرَض أخّرَهُ للآخرة، الأنبياءُ والأولياءُ ومن ءامن بالأنبياء لو كان من أهل المعاصِى لا بدّ أن يُدخِلَهُم الجنّة وينعّمَهُم هناك نعيمًا ما فيه نكَدٌ، لا يخالِطه نكد، فِى الجنّة لا يوجد نكد، لذلك لا يتحوَّلُ طعامُهُم وشرابُهُم إلى الغائِط والبول إنّما يَفِيضُ من الجسم عَرَقٌ كالمِسك ليس كعَرَق الدُّنيا، عَرَقُ الدنيا يتولَّدُ منه القمل وغيرُ ذلك.

اللّهُ جَعَلَ نعيم الجنّة نعيمًا خالصًا، ليس فيها نكد، لا يخالِطُها نكد بوَجهٍ من الوجوه، وجعلَ جزاءَ الكافرين الذينَ كذّبوا الأنبياء ولم يتّبعوهم العذابَ الأليم أى الذِى لا يَنقَطِع، ثم اللّه تباركَ وتعالى جعلَ فِى القبر أيضًا نعيمًا للمؤمنين وعذابًا على الكافرين، بعض عصاة المسلمين الذين ماتوا بلا توبة، ليس

كلهم، اللّه تعالى يسامِحُهم، لا يعذّبُهم فِى قبورهم ولا فِى ءاخرتهم وبعضهم يعذّبُهم فِى قبورهم ثم يقطعُ عنهم عذابَ القبر ثم يؤخّر إلى الآخرة بقيّةَ عذابِهم، ثم فِى الآخرة أيضًا ينقطِعُ عذَابُهم بعد برهة والنهايةُ النعيمُ المحضُ، نهايةُ الجميع النعيم المحض.

هذا القبر وصفَهُ سيّدُنا عيسى عليه السّلام. مرّةً عيسى هو وجماعَتُه المؤمنون أتَوا إلى قبرٍ فالذين معه جماعَتُه، قالوا ما أضيَقَ القَبر فقال لهم **قد كنتم فيما هو أضيقُ منه فى أرحام أمهاتكم فإذا أحب الله أن يوسع وسّع**[1] اهـ معناه أن للقبر حالاتٍ خفيّةٍ على الناس الذين على وجه الأرض، هذا القبرُ الذِى ترونَه مسافةً قصيرةً ضيّقةً اللّهُ تبارك وتعالى يجعَلُه واسعًا على من شَاء من عباده المؤمنين يتنعمون فيه، أرواحُهم مع أجسادهم تظلُّ فيه حتّى يبلَى الجسَدُ كُلُّه، بعد بِلَى الجسد كلّه تنتقل الأرواحُ أرواحُ المؤمنين الأتقياء الذين يؤدُّونَ الفرائضَ كلَّها ويجتنبون المعاصِى كلَّها إلى الجنة أرواحُهم تنتقل إلى الجنّة أما الجسدُ أكَلَهُ التّرابُ لم يَبْقَ منه إلّا عظمٌ صَغيرٌ قَدْرُ الخَردَلَة أى قدر رُبُع حبَّة سِمسِم، هذا العَظمُ هو أوَّلُ ما يُخلَقُ من الإنسان فِى رَحِم الأُمَّهَات، هو هذا العَظمُ صغيرٌ جدًّا، عليه تُرَكَّبُ سائرُ العظام ثم تُكسَى العِظَامُ لحمًا،

(١) أخرجه أحمد بن حنبل فى الزهد وابن أبي الدنيا فى القبور وأبو نعيم فى الحلية.

هذا العَظمُ لا يأكُلُه التّراب أمّا ما سِواه فيأكُلُه التّرابُ لكنّ الشّأنَ للرُّوح. كلام سيدنا عيسى عليه السلام معناه لا تظنُّوا أن الأمر ينتهِى إلى هذا المَنظَر من القبر البُقعَة الضَّيّقَة الصغيرة لا، بعدَ ذلك أشياء، من الناس من يوسّع اللّهُ له القبر ويملؤهُ نورٌ ويأتيه رائحةُ الجنّة إلى القبر، يتنعّمون أكثرَ ممّا كانوا يتنعّمون على وجه الأرض أكثرَ من ذلك، وأمّا عُصَاة المسلمين كتارك الصّلاة وءاكِل الرّبا وعاق الوالدين هؤلاء إن ماتوا قبلَ التوبة قِسمٌ منهم يعذبهم اللّه فِى القبر يصير عليهم نكَد أى ضِيقٌ وشِدَّةٌ كما أنّ أولئك المؤمنين الأتقياء تحصل لهم فِى القبر حالاتٌ من النّعيم لا تُوصَف، يحصل فِى القبر عجائب كثيرة للمؤمنين الأتقياء. من سبع سنوات فِى الحبشة رجل دَيّنٌ تقى مؤمنٌ خالصٌ خَفِىّ من الأخفياء لا يُعرَف بأنه شيخ تقىٌّ دَيّن إنّما هو فيما بينه وبين ربّه تقىٌّ يؤدّى الواجبات الشرعية، تعلّم الحلالَ والحرام من أهل المعرفة ويعمَلُ مولِدًا مِن حُبّه الشّديد للرسول ﷺ فِى شهر ربيع الأوّل فيُطعِمُ الناسَ الطعام الفاخِرَ يشبِعُهُم، نِيّتُهُ تكون خالصةً لله تعالى، هذا الإنسان توفِّى لمَّا شيَّعُوهُ وتم الدفن وقبل أن ينصرف الناس سَمِعُوا دَوِيًّا شديدًا كصوت الطّيران الحربىّ، الناس ظنُّوا أن هذه غارَةٌ جويّة لأنه كان فِى تلك الناحية فِى تلك الأيام ثورة إسلاميّة ضِدَّ دولة الحبشة الكافرة الشّيوعيّة، كانوا نصارى ثم انقلبُوا شيوعيّين قام شباب من المسلمين بثورة ضِدَّ هذه الدولة، ظنّ الناسُ أولَ ما سمعوا الصوتَ الشّديد أنه

الهواء من الغارات، ثم تبين لهم أنه ليس هناك غارات جوّية وإذا بالأرض التِى تلِى القبر بعد القبر بمترين انشقّت فخرج الميّتُ فطار، طار كما كانَ بكَفَنه والناسُ ينظُرونَ إليه، تغيَّبَ عن أبصار الناس لا يدرُون إلى أين ذهب، هذا الرّجُل نفسُه كان له جَدٌّ حصَلَ له مثلُ هذا. هذا شىءٌ قليل مما يحصُل من الغرائب التِى تصير للمؤمنين بعدَ دفنهم.

ومن الناس من كان سأل الله تعالى من المؤمنين الأتقياء سأل الله تعالى أن يُمَكّنَهُ الله تعالى الصلاة فِى القبر قال فِى دعائه اللّهمَّ إن مَكَّنتَ أحَدًا مِنَ الصَّلَاة فِى القبر فَمكّنّى من الصَّلاة فيه اهـ بعدما تُوُفِّى شاهَدَهُ الناسُ وهو يصلّى فِى قبرِه يقَظَةً ليس منامًا، هذا يقال له ثَابِتٌ البُنَانِىّ هذا ما رأى الرسول ﷺ لكن رأى أصحابَ رسول اللّه ﷺ، كان لازَمَ أنسَ بنَ مالك رَضِىَ الله عنه خادمَ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الذِى خدمَ الرسول عشرَ سنوات بالمدينة وأخذ منه العلم وكان يحبُّه ويتعلّقُ به، لازَمَهُ ملازمَةً شَدِيدةً، كان عابدًا تقيًّا عالِمًا من علماء الحديث كان يقال له ثابت البُنَانىّ قال اللّهم إن كنتَ مكَّنتَ أحدًا من الصلاة فِى القبر فمكِنّى من الصلاة فِى قبرِى اهـ اللّه تعالى حقّقَ له دعوتَهُ فشاهدهُ الناسُ عِيَانًا وهو يصلّى فِى قبره.

وبعضُ الصالحين أيضًا يحصلُ لهم فِى القبر شىءٌ عجيب وهو أن بعضَ الناس الذين هم أتقياء أمثالُهم يتخاطبون معهم، يتكلّمون معهُم فِى ما يُهِمُّهم من

الأمور، ذاكَ الولىّ فِى قبره وهذا واقفٌ على رأس القبر يتخاطبُ معه، هذا حصَلَ كثيرًا، هذا دليلٌ على أنّ صاحبَ القبر فِى نعيم عظيم لا يشكُو ضيقًا ولا شيئًا ولا همًّا ولا غمًّا ممتلئٌ روحُهُ سرورًا وفرحًا، وكلُّ هذا شرطُه المحافظَةُ على الإيمان، الثباتُ على الإيمان، إذا الإنسان عرف اللّه ورسولَه وتجنب بعد ذلك الكفريّات القولية والفِعليّة والاعتقادية فثبتَ على الإيمان لا بدَّ أن يَرَى النعيم الـمُقيم فِى الآخرة ولو حصل له قبل ذلك ما حصل من التعب والنكد وكان من أهل الكبائر الذين لم يسامحهم الله.

أما بعض المسلمين مهما كانوا مذنبين متلوثين بالمعاصِى مقصرين يسامحهُم اللّه منهم من يموتُ شهيدًا فيقاتل الكفارَ لوجه اللّه ليس للرياء ليس ليقال عنه فلان بطَل، ليس ليُرْضَى عنه بل لأنّ اللّه يحبُّ الجهاد فِى سبيله. ومن الناس المسلمين العصاة من يسامحهم اللّه لأنهم نالُوا نوعًا من الشهادة بغير القتل فِى سبيل اللّه وهم ثمانية أقسام، فمن يموت بمرض البَطن لا يعذّبُه اللّه فِى قبره مهما كان عاصيًا مهما كان له من الذنوب لا يعذبه، الذِى يموت بمرضِ البطن وكذا الذِى يموت بمرض يُسَمَّى ذاتَ الجَنب وهو مرضٌ يَحدُثُ هنا فِى جَنب الإنسان ورَمٌ داخِلىّ ثم يَظهَرُ إلى خارج الجلد، صَعبٌ هذا المرض، هذا إذا ما ابتُلِى به فمات مهما كان عليه من ذنوب بشرط أن يكون متجنّبًا للكفر لا يعذِّبُه اللّه لا فِى القبر ولا فِى الآخرة، كذلك المرأة تموتُ فِى الطَّلق هذه أيضًا إن

ماتت على الإيمان والإسلام وتجنّبت الكفر إن كانت تقيّة وإن كانت غيرَ تقيّة لا يعذّبُها اللّه لا فِى القبر ولا فِى الآخرة، ثمّ هناك أصنافٌ وأشكال وألوان من الناس المؤمنين الذين كانوا من أهل الكبائر ماتوا وهم غافلون لكنّ اللّه تعالى غفَر لهم بنوع من أنواع الشهادة التِى ذكرنَاها والتِى لم نذكُرهَا.

ثم اللّه تعالى فضّلَ الذين يخافون الوقوف يومَ القيامة للحساب فيَنهَون أنفسهم عما تميل إليه من ذنوب، هؤلاء فضَّلَهُم على غيرهم ممن يتبعُون أهواءَهُم، هؤلاء أفضل عند اللّه من الآخَرين هؤلاء من شأنِهم أنّهُم يَكفُّون ألسنتهم عند الغضب وعند الشّجَار، كثيرٌ من النّاس يكفرون عند الغضب، لأنّ النفسَ الأمّارَة بالسّوء تريدُ التغلّبَ على الشخص الذِى يشاجِرُه إن كان بصدق وإن كان بكذب، يقول لازم أن أتغلب على هذا الإنسان فيكذِبُ وقد يكفر من أجل أن يكسِرَ هذا الإنسان الذِى يغاضِبُه، فالذِى يَكُفُّ نفسَه عندَ الغضب، يخالِفُ هواه يخالف نفسَه، لا يبالِى إن قال عنه الناس هذا جبان هذا لا يعرف أن يردَّ الجواب لا يبالِى لما يُقال فيه يسكت فيكفُّ لسانَهُ، هذا له عند اللّه فَضلٌ عظيم، كثير من الناس يكونون متوادّين متحابّين ثم يصير فيما بينهم خلاف ويصير شِجَارٌ فكلا الطرفين يؤذى الآخر يَفجُرُ معناه يكذب يَفتَرِى أنت كذا هذا يقول أنت كذا وليس هو كذلك إنما يريدُ أن يَشْفِى غَيظَهُ فيُهلِكُ نَفسَهُ، بعضُ النّاس يقولون إذا لم أَرُدّ له يقولون عنى هذا لا يعرف الكلام، لذلك يتكلّف أن

يَكيلَ للشّخص كَيلًا زائدًا فيكذب ويفترِى، يكذب على الشخص يفترِى عليه ينسُب له ما لم يَفعَلهُ. انتَهَى.

واللّه سبحانه وتعالى أعلم.



**الدرس السابع والعشرون**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# بيان أن العناية بما افترض الله على عباده خير من العناية بالنوافل ومن ذلك تعلم علم الدين الضروريّ

درس ألقاه المحدث الشيخ الفقيه الأصولِيّ عبد الله ابن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى فِي السابع والعشرين من شهر ربيع الثانِى سنة ثلاث وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق للحادِى عشر من شهر شباط سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف رومية فِي بيان أن العناية بما افترض الله على عباده خير من العناية بالنوافل ومن ذلك تعلّم علم الدين الضروريّ. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى ءاله وأصحابه الميامين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد فقد روينا فِي صحيح البخارىّ ومعجم الطبرانىّ الكبير بالإسناد المتصل من حديث أبِى هريرة عند البخارىّ[1] ومن حديث حذيفة بن اليمان عند

(١) رواه البخارىّ فى صحيحه باب التواضع.

الطبرانىّ[١] أن نبىَّ الله ﷺ قال قال الله تعالى **مَن عادَى لِى وَلِيًّا فقد ءاذَنْتُهُ بالحرب وما تَقَرَّب إلَىَّ عبدِى بشىءٍ أَحَبَّ إلَىَّ مما افْتَرَضْتُ عليه** اهـ هذا الحديث دليل على أن العناية بما افترض الله على عباده خير من العناية بالنوافل التِى لم يفترضها عليهم فإهمال جانب الفرائض والانشغال بالنوافل من علامات الغرور لذلك قال الحافظ ابن حجر رحمه الله فِى شرحه على البخارىّ قال بعض الأكابر من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور اهـ من علامة المخلص أن يكون اهتمامه بما فرض الله عليه واعتناؤه بذلك فوق اعتنائه بالنوافل، ومما فرض الله على عباده تعلم العلم الدينى الضرورى، هذا الذِى فرضه الله على كل بالغ عاقل، كلُّ من بلغ وكان بصفة العقل فهو مسؤول يوم القيامة عن تعلم علم الدين الضرورى لأن علم الدين قسمان قسم يجب على كل مكلف أى بالغ عاقل تعلمُهُ فمن لم يتعلمه فهو عاصٍ فاسقٌ والقسم الآخر من علم الدين فهو فرض كفايةٍ وهو القدر الزائد على ما يجب على كل مكلف الذِى لا يسع مكلفًا جهله أى لا يجوز لأىِّ مكلف جهله وما زاد على ذلك من علم الدين فهو فرض كفاية أىْ أنه يجب على بعض المسلمين. وهذا القدرُ الذِى هو فرضٌ على بعض المسلمين لا على جميع المكلفين هو العلم الذِى يزيد على حاجات الشخص وهو القدرُ

(١) ذكر ابن حجر فى الفتح أن الطبرانىّ رواه مختصرًا عن حذيفة.

الذِى يحتاج إليه للحادثات التِى تحدث للناس هذا القدر إذا عَلِمَهُ بعضُ المسلمين سقط الحرج عن الآخرين، فيلزم بيان القسم الأول حتى يُعرف وهو ما يتعلق بمعرفة الله ورسوله وما يتعلق بالصلاة والصيام وما يتعلق بالقلوب من سائر أصول الدين أما أصول الدين على مرتبتين المرتبة الأولى ما لا يصح الإسلام والإيمان بدونه وهو معرفة الله ورسوله وهو المدخل إلى الإسلام والإيمان، بدونهما لا دخول فِى الإيمان والإسلام بدون معرفة الله ورسوله لا يكون المرء مسلمًا ولا مؤمنًا عند الله فلا يَكفِى لذلك مجرد الاعتراف بوجود الله وبوجود رسوله ﷺ لا يَكفِى ذلك بل لا بد من المعرفة الكافية وهِىَ بالنسبة للإيمان بالله اعتقادُ أن الله موجود وأنه لا يستحق أحدٌ أن يُعْبَدَ أىْ أن يُتذلل له نهاية التذلل إلا هو ويستلزم ترك تشبيهه أى لا تصح معرفة الله إلا بترك تشبيهه بشىءٍ من خلقه فمن يعتقد أنه تبارك وتعالى كشىء من خلقه فلم يعرفه ولم يؤمن به إنما عرف الله وءامن به مَن لم يشبّهه بشىْءٍ من خلقه لم يشبّهه بالنور الذِى هو الضوء ولم يشبّهه بالظلام الذِى هو خلق من خلقِه فإن النور والظلام قَرَنَهُما ربنا تبارك وتعالى فِى ءاية واحدة ليُفهِمنا أن النور مخلوق والظلمة مخلوقة فليس النور مشابهًا لله تعالى كما أن الظلمة ليست مشابهة له، الله تعالى قرن النور والظلمات فقال ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[1] أى

(١) سورة الأنعام/الآية (١).

خلق الظلمات وخلق النور هذا لنبتعد من اعتقاد أن الله نور أى ضوء فمن اعتقد اللهَ ضوءًا لو قال هذا الضوء أعظم من نور الشمس بمرات من الملايين فهو جاهل بالله غير عارف بربه فهو غير مؤمن. وكذلك لا تصح معرفةُ الله والإيمانُ به مع تشبيهه للإنسان فمن يعتقد أن الله كالإنسان له أجزاء نصف أعلى ونصف أسفل فهو جاهل بربه لا يصح له إسلام وأما ذِكر الوجه مضافًا إلى الله فِى بعض ءايات القرءان وذِكر العين وذكر اليد فليس على معنى الجوراح بل فِى بعض المواضع فِى القرءان أضيف الوجه إلى الله بمعنى ذات الله ليس بمعنَى هذا الجزء الذِى نعرفه من أنفسنا وكذلك العينُ أضيفت إلى الله فِى القرءان الكريم لا بمعنى هذه الجارحة التِى نعرفها من أنفسنا بل بمعنًى غيرِ ذلك وكذلك اليد أطلقت فِى القرءان على الله لا بمعنى هذا الجزء الذِى نعرفه من أنفسنا فقول الله تبارك وتعالى ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1] الله تبارك وتعالى ما أراد باليد التِى أضافها إلى نفسه هذا الجزء الذِى هو جسم إنما أراد على ما قال بعض العلماء عَهْدُ الله فوق أيديهم فالمعنى المأخوذ من الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ المعنى أن هؤلاء المؤمنين الذين يبايعونك يا أشرف الخلق يا محمد إنما يبايعون اللهَ ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾ أى عهدُ الله فوق أيديهم هؤلاء بايعوا النبىّ ﷺ تحت شجرة الرضوان فِى الحديبية على

(١) سورة الفتح/الآية (١٠).

أن لا يَفِرّوا هؤلاء مبايعتهم أىْ وضع أيديهم فِى يد النبىّ ﷺ للمعاهدة لِنَبِيّهِ على ما يُرْضِى الله تبارك وتعالى وهو الثباتُ مع النبىّ ﷺ هذه المعاهدة التِى يعاهدونها النبىّ ﷺ هِىَ معاهدة لله تعالى لأن الله تعالى هو الذِى أمر نبيّه بهذه المبايعة فالمؤمنون حين يبايعون نبيّهم إنما يُعْطُون العهد لله تعالى إنما يعطون العهد لربهم لأن طاعة نبيّه طاعة له طاعة رسول الله ﷺ طاعة له، فالله تبارك وتعالى لا تصح معرفته مع تشبيهِهِ بشىء من خلقه لا تصح معرفته مع اعتقاد أنه نور بمعنى الضوء ولا مع اعتقاد أن له نصفًا أعلى ونصفًا أسفل فما أشنع كفرَ مَن يَدَّعِى الإسلام ويقول إن الله يُدَنْدِلُ رأسه من السماء يومَ الجمعة يقول عبادِى تعالَوا إلى الجامع اهـ فلعنة الله على من يدجّل بمثل هذا الكلام ويجلس ببيت من بيوت الله ويقول هذا للناس ليعتقدوا كما هو يعتقد أن الله جسم له نصف أعلى ونصف أسفل، ما أكفره، وكذلك لا تصح معرفة الله مع تشبيه علمه بعلم غيره أو مشيئته بمشيئة غيره أو قدرته بقدرة غيره وذلك لأن عِلم الله وقدرتَهُ ومشيئتَهُ وجميعَ صفاته التِى هِىَ ثابتة له ليست كصفات غيره صفاتُ الله تبارك وتعالى قدرته وعلمه ومشيئته وغيرُ ذلك أزلية أبدية أى لا بداية ولا نهاية لها موجودة فِى الأزل كما أن ذات الله موجود فِى الأزل بلا ابتداء فلا تنقطع صفة من صفاته فعِلْمُهُ كما هو أزلىٌّ أبدىٌّ باقٍ كذلك قدرته أزلية أبدية باقية وكذلك مشيئته أزلية أبدية باقية لا يطرأ على علمه تغيّر كذلك لا يطرأ على مشيئته تغير كذلك لا يطرأ

على قدرته تغير لأن الذِى تتغير صفاته لا بد أن يتغير ذاته والمتغير يحتاج إلى مُغَيّر له والمحتاج إلى غيره لا يجوز عقلًا أن يكون إلٰهَ الخلقِ صانعَ الخلق مدبرَهُ خالقَهُ، لا يجوز فِى العقل أن يكون خالق العالم متغيرًا لأن المتغير يحتاج إلى مغيّرٍ له لذلك استدل إبراهيم عليه السلام على أنّ الله تبارك وتعالى ليس هذه الكواكبَ التِى يعبدها قومه ولا القمر ولا الشمس لتغير الشمس والقمر والكوكب قال ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾[1] معناه الشىءُ الذِى يتغير لا يصلح أن يكون إلهًا مدبرًا للعالم كما كان قومه يعتقدون لأن قومه كانوا على هذا الدين على هذا الاعتقاد أن الكواكب والشمس والقمر هِىَ تدبر العالمَ السُّفْلِى أى الأرض وما فيها كانوا ينسبون تدبير الأرض وما فيها إلى الشمس والقمر والكواكب فإبراهيم عليه السلام كان عالمًا بالله تبارك وتعالى وأنه لا يشبه شيئًا لكن قومه كانوا فِى جهل عميق كانوا يعتقدون أن الشمس والقمر والكواكب هِىَ ءَالهتهم التِى تدبّر الأرض وما فيها وما عليها فدلهم على غباوتهم حيث أعلمهم أنهم يعبدون هذه الأشياء التِى تتغير والشىْءُ الذِى يتغير لا يصح أن يُعْبَدَ لا يصلح لأن يعبد لا يجوز فِى العقل أن يعبد. قوله ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ معناه كيف يجوز عبادة الشىء الذِى يتغير معناه اتركوا هذا الرأىَ الذِى أنتم عليه واعبدوا الموجود الأزلىّ الأبدىّ الذِى لا يتغير لكنهم

(١) سورة الأنعام/الآية (٧٦).

من فساد قلوبهم لم يفهموا لأنّه طُبِعَ الكفر على قلوبهم كانت قلوبهم بعيدة عن الفهم عن فهم الحق كانت بعيدة وأما إبراهيم عليه الصلاة والسلام فكان يعلم قبل ذلك قبل هذا الوقت أن الله تعالى موجود وأنه لا يشبه شيئًا وأنه هو خالق الكوكب والقمر والشمس لأن الله تبارك وتعالى قال ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾[1] معناه إبراهيم كان قبل ذلك أى قبل هذه المخاطبة لقومه كان إبراهيم عارفًا بربه مؤمنًا به، فمعنى معرفة الله التِى لا يصح الإسلام بدونها اعتقادُ وجوده من غير تشبيه له بشىء من خلقه.

أما معرفة الرسول ﷺ فمعناها اعتقاد أن محمدًا ﷺ صادق فِى ما جاء به فِى كل ما يبلغه عن الله لا يخطئ فِى ذلك لا فِى حال غضب ولا فِى حال فرح لا يخطئ فِى ذلك فِى حال غضب ولا فِى حال رضا لأن الله تبارك وتعالى عصمه من الخطإ فِى ذلك كيف لا يحفظه وهو الذِى أرسله ليدعو عباده إلى الحق.

وأما أصول الدين التِى ليست شرطًا استحضارُها فِى القلب لصحة الإسلام والإيمان فهِىَ ما بعد ذلك كالإيمان بالملائكة والكتب السماوية والقدر خيره وشره، معرفةُ هذه الأشياء من أصول الدين لكنها ليست شرطًا لصحة الإسلام والإيمان فلو لم يستحضر الشخص فِى قلبه معرفة الكتب السماوية والملائكة والقَدَر لو لم يستحضر فِى قلبه ذلك كان خالِىَ الذهن

(١) سورة الأنبياء/الآية (٥١).

عن ذلك ما خطر له بالبال هذه الأشياء ما خطرت له بالبال إنما استحضر أن الله موجود وأنه لا يستحق أحدٌ أن يُعبد إلا هو وأن محمدًا نبيه صادقٌ فِى كل ما جاء به هذا استحضاره شرط لصحة الإسلام والإيمان.

الحاصلُ أن علم الدين قسمان قسم يجب معرفته على كل بالغ عاقل وهو ما يتعلق بمعرفة الله ورسوله وسائر أصول الدين وما يتعلق بالصلاة أى الصلوات الخمس وصيام رمضان هذا فرض عين لا يستغنِى أحد من المكلفين عنه، كذلك معرفة أعمال القلوب لأنّ القلب له أعمال منها ما هِىَ عبادات تقرب إلى الله ومنها ما هِىَ معاصٍ تبعد من الله. والإخلاص فِى العمل من واجبات القلب أى مما افترضه الله على الخلق أن يخلص العبد فِى قلبه فِى ما يعمله لله أى لا ينوِى فِى العمل الذِى يعمله بقلبه من أعمال البر والخير من صلاة وقراءة قرءان وحج وغير ذلك أن يمدحه الناسُ فالإخلاص من واجبات القلب أى من الأعمال المفروضة التِى فرضها الله على القلب وأما ما حرَّمه الله على القلب فمنه الرياء أى أن يقصد الإنسان بعمله الذِى يعمله من أعمال الخير أن يمدحه الناس فمن قصد بعمل من أعمال الخير أن يمدحه الناس فقد عصى الله تبارك وتعالى ولا ثواب له فِى ذلك العمل الذِى نوى به أن يمدحَه الناس.

ومن معاصى القلب الحسد وهو أن يتمنَّى زوال نعمة الغير أى أن تتحول نعمة الغير إليه هذا هو الحسد وهو

من جملة معاصِى القلب.

ثم مِنَ الذِى هو فرض معرفته على كل مكلف المعاصِى التِى تتعلق بالعين واللسان والأذن واليد والرجل والبطن ونحو ذلك، ومن هنا فرضٌ على كل مكلف أن يعرف المال الحلال من المال الحرام لأن الإنسان قد يصل إليه مال حلال ومال حرام فإذا لم يعرف ما هو المال الحلال فِى الشرع وما هو المال الحرام فِى شرع الله يقع فِى الحرام باستعمال المال الحرام هذا هو العلم الضرورىّ الذِى لا يجوز لأحد من البالغين العاقلين الجهلُ به وهذا الذِى لم يتعلمه يكون مؤاخذًا فِى الآخرة معاقبًا لأن السؤال فِى الآخرة يوم القيامة كما فِى جامع الترمذى وغيره من كتب الحديث بالإسناد الصحيح عن نبىّ الله ﷺ أنه **لا تزول قَدَمَا عبد حتى يسأل عن أربعٍ عن عمره فِيمَ أفناه وعن جسمه فيم أبلاه وعن ماله منْ أين اكتسبه وفيمَ أنفقه**[1] اهـ المال فيه مسئولية كبيرة فِى الآخرة من أين أخذتَ هذا المال من حلال أم من حرام وكيف صرفتَ هذا المال فِى حلال أم فِى حرام فحسبنا الله ونعم الوكيل فحسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا. انتَهَى.

وسبحان الله والحمد لله رب العالمين.

والله تعالى أعلم.

---

(١) رواه الترمذىّ فى سننه باب فى القيامة.

**الدرس الثامن والعشرون**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# بيان نعم الله الظاهرة والباطنة وأن العمل الصالح لا يقبل إلا من المؤمن إن وافق عمله الشرع وخلصت نيته لله

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى أواخر القرن الرابع عشر من الهجرة أى فِى السبعينات من سِنِي القرن العشرين الرومية. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى ءاله الطيبين.

أما بعد، فإن الله تبارك وتعالى قال ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[1] اللهُ تبارك وتعالى أنعم على عباده نعمتين ظاهرة وباطنة فمن النعم الظاهرة صحة الجسد من الحواس الخمس وغيرِها فسلامة الجسد نعمة كبيرة يجب على العباد أن يشكروا الله تعالى عليها. والثانية هِيَ نعمة باطنة وهِيَ الإيمانُ بالله وما يتبع ذلك من التسليم لله تعالى ومحبته والشوق إليه ومحبة أوليائه، والعلمُ الذِى محله القلب مع صحة

(١) سورة لقمان/ الآية (٢٠).

الدماغ فالعلم يتوقف على أمرين صحة القلب والدماغ فهما كنور الشمس مع العين لأن العين من حيث الرؤية والنظر تحتاج إلى النور والانتفاع به يتوقف على صحة العين فكذلك القلب والدماغ. وأعظم هاتين النعمتين هِيَ النعمة الباطنة التِى هِيَ الإيمان. والإخلاصُ يتبع الإيمان وإنما ذكر الله تعالى النعمة الظاهرة قبل الباطنة لأن النعمة الظاهرة هِيَ التِى يعرفها أكثر الناس. ومن الأدلة على أفضلية النعمة الباطنة على النعمة الظاهرة ما أخرجه الإمام أحمد بالسند الصحيح وغيرُهُ أن رسول الله ﷺ قال **إن الله يُعْطِى الدنيا لمن يُحِبُّ ولمن لا يُحِبُّ ولا يُعْطِى الإيمانَ إلا لمن يُحِبُّ**[١]» اهـ وما رواه البخارىّ[٢] والترمذىّ[٣] وغيرهما عن النبىّ ﷺ أنه قال **أَشَدُّ الناس بلاءً الأنبياءُ ثم الأمْثَلُ فالأمْثَلُ يُبْتَلَى الرجلُ على حَسَب دِينِه فإن كان دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بلاؤه وإن كان فِى دِينِهِ رِقَّةٌ كان بلاؤه على حَسَبِ ذلك فلا يَزَالُ البلاءُ بالعبدِ حتى يَمْشِىَ على الأرض وقد حُطَّتْ عنه خطاياه**» اهـ

ثم النعم الدنيوية كنعمة المال قسمان إحداهما محمودة العاقبة والأخرى عاقبتها وبال على العبد

---

(١) رواه أحمد فى مسنده حديث العباس بن عبد المطلب.

(٢) رواه البخارىّ فِى صحيحه باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

(٣) رواه الترمذىّ فِى سننه باب ما جاء فى الصبر على البلاء.

كالنعم التِى أنعم الله بها على الكفار فإنهم وإن تَنَعَّمُوا بها فِى الدنيا لكنها فِى الآخرة وبال عليهم فإنهم يسألون عنها يُسألون عن الشكر عليها وهم لم يَشكروا عليها فيُعاقبون عليها حتى إنهم يُسألون لِمَ لَمْ يسلموا فَيُزَكُّوا فإنهم لو أسلموا فِى الدنيا وزَكَّوا وعملوا فيها الصالحات لوجه الله تعالى كان لهم ذلك ذُخرًا كبيرًا فيعاقبون على أنهم تركوا ذلك أىْ لم يؤدوا حق الله الذِى هو الزكاة بشرطه الذِى أمر الله به وهو الإسلامُ والنيةُ لأن النية بلا إسلام لاغية وصور الأعمال لا تُعتبر عند الله إنما يُعتبر عند الله ما عمله العبد على وِفاق تعاليم الأنبياء وهكذا يُسألون عن سائر الفروض التِى فرضها الله على العباد مما لو عملوه على الطريقة التِى يَعْمَلُها المسلم مع الإسلام والإيمان كان لهم أجر كما يؤجر المسلم فِى الآخرة على حسناته من فريضة الزكاة وغيرها فلما كان الكفارُ فاتهم هذا العملُ فيما رزقهم الله من الأموال كانت نهايةُ تلك الأموال عليهم فِى الآخرة حسرةً وندامةً فيتمنَّونَ أن لو كانوا مسلمين فعملوا كما يعمل المسلمون فنالوا ثواب ذلك العمل، ثم هم يُعاقبون فيعذبون حيث إنهم لم يشكروا الله لأن شكر الله الذِى افترضه على عباده هو صرف المال حيث أمر الله أن يُنفَق فيه بإيمان وإخلاص فِى النية لله تعالى كما أمر المرسَلون. ومن الدليل على ذلك ما جاء فِى مسلم أن عائشة رَضِىَ الله عنها قالت يا رسول الله إن ابن عَمِّى عبدَ الله بنَ جُدْعَانَ كان يَقْرِى الضيفَ ويَصِلُ الرحم فهل ينفعه ذلك قال **لا إنه لم**

**يقل رَبّى اغفر لِى خطيئتى يومَ الدين**[١] اهـ أىْ إنه لم يكن على الإيمان فكل أعمال ذلك الرجل التِى كان عُرف بها من الإحسان إلى الأقارب والأرحام وإكرام الغريب الذِى كان يَشتهر به كل ذلك ضائعٌ هذا مع احتمال أنَّ هذا الرجل عبد الله بن جُدعان مع احتمال أنه كان من أهل الفترة الذين لم يسمعوا بدعوة الرسل فيُعْفَوْنَ من العذاب ليس له ثواب على أعماله تلك فكيف هؤلاء الكفار الذين سمعوا بدعوة محمد ﷺ فعاندوا وقابلوها بالتكذيب والإنكار. جاء فِى تفسير قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾[٢] قال هؤلاء أصحاب الصوامع اهـ يعنى الرهبان النصارى الذين ترهبوا وانقطعوا عن الزواج وعكفوا فِى صوامعهم منعزلين عن الناس بنية التعبد لله لأن أولئك وإن كانوا أتعبوا أنفسهم فِى الدنيا بنية التقرب وإعداد الذخر للآخرة فإن ذلك لا ينفعهم بل هم من أهل العذاب الأليم الذين لا يرحمهم الله فِى ذلك اليوم فإن أولئك تكون وجوههم ذلك اليومَ بائسةً مسودةً من شدة الخوف والفزع من أهوال ذلك اليوم وشدائده، وكذلك هؤلاء الهنود الذين يستعملون الرياضات والخلوات فيُجيعون أنفسهم ويعذبونها بالسهر وغير ذلك لا ينفعهم ذلك فِى الآخرة فإنهم تعبوا تلك الأتعاب من غير أن

---

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب الدَّلِيل عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْر لَا يَنْفَعُهُ عَمَلٌ.

(٢) سورة الغاشية/ الآية (٢-٣).

يدخلوا فِى ملة الإسلام التِى أمر الله بها عبادَهُ من إنس وجن وملائكة فلا عذر لهم ينجيهم ذلك اليومَ من عذاب الله فضلًا عن أن يدخلوا الجنة ثوابًا على أعمالهم، وإن الله تعالى بعث الرسل ليقتدِىَ بهم العباد فمن لم يَقْتَدِ بهم وشقَّ طريقًا لنفسه برأيه فهو غير مقبول عند الله فلا يلومَنَّ إلَّا نفسه أما مَن تدارك نفسه منهم بالإسلام فإنه إن مات على الإسلام فإنه لا بد أن تناله رحمةُ الله فيدخل الجنة وكلُّ ما عمله قبل إسلامه من الكفر والمعاصِى هدمه الإسلامُ فمن جدَّ منهم بعد دخوله فِى الإسلام بالعمل الصالح فأدَّى الواجبات واجتنب المحرمات كان من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، هذا الأمر يشمل مَنْ كان مِنَ المؤمنين أتباع الأنبياء الذين أسلموا بتوحيد الله تعالى من النصارى الذين كانوا على دين المسيح الذِى هو الإسلام وممن كان على دين موسى وغيرهم من كل المسلمين الذين اتبعوا الأنبياء واستقاموا بطاعة الله فكل أولئك يدخلهم الله تعالى فِى رحمته بلا عذاب لأن أتباع الأنبياء عيسى وموسى وغيرِهما من صَدَقَ منهم فِى طاعة الله تعالى فلزمها فهم ءامنون من الفزع الأكبر وأما من كذَّب النبىَّ الذِى أرسل لزمن من الأزمان الماضية فلا ينفعه أىُّ عمل يعمله فِى الآخرة بل هو من الخاسرين، فممن أدرك بعثة محمد ﷺ ممن كان على اليهودية ثم أسلم وءَامَنَ واتَّبع محمدًا ﷺ عبدُ الله بن سلام عالم اليهود وأصحمةُ النجاشِى ملكُ الحبشة الذِى كان نصرانيًّا ثم أسلم واتبع سيدنا محمدًا

ﷺ وبعث وفدًا مِن عنده فاتبعوا الرسول ﷺ، هؤلاء مثل المسلمين الذين ولدوا فِى الإسلام.

وقد كان فِى زمن رسول الله ﷺ أربعةَ عشر رئيسًا فِى الدنيا فكتب رسول الله ﷺ إليهم جميعًا فمنهم من صدقه فأسلم وءامن ومنهم من كذّب. فالنجاشِى رَضِىَ الله عنه ملك الحبشة كان من الذين أسلموا وءامنوا واتبعوا الرسول، سماه رسول الله ﷺ أخًا للمؤمنين فإنه لما مات وهو بأرض الحبشة عَلِمَ رسول الله ﷺ بموته بالوَحْيِ وقال لأصحابه **صَلُّوا على أخيكم النجاشِى فإنه قد مات**[1] اهـ وأما هرقل فكان معترفًا فِى قلبه بأن محمدًا رسول الله ﷺ لكنه لم يسلم بل ظل على نصرانيته من أجل الدنيا فسماه رسول الله ﷺ عدوَّ الله. ويكفِى النجاشِى شرفًا أن النبىّ صلى عليه صلاة الغائب. كان رجل سودانىٌّ اجتمعتُ به فِى بيروت فإذا هو يعتقد أنَّ النجاشى نصرانىٌّ وأنَّ النبىّ ﷺ صلَّى عليه صلاة الغائب مع نصرانيته وكالمقوقِس وكهرقل لما وجدته معاندًا قلت له كيف يجوز عندك أن يصلِّىَ رسول الله على النصرانِى صلاة الجنازة هذه مسألة لا يجهلها من يعيش فِى مجاهل أفريقية قال أنا من تلك المجاهل، هذا الرجل اجتمعت به منذ سنة وشىء[2]، هذا من الذين لا يعرفون من الإسلام إلا

(١) رواه البخارىّ فى صحيحه وغيره واللفظ للضياء المقدسِى رواه فِى الأحاديث المختارة.

(٢) أىْ من زمن إلقاء الدرس.

اسمَهُ يطالع فِى الكتب والمؤلفات لكن الذِى يكتفِى بالمطالعة يشترى كتبًا ولا يتلقَّى العلم من أهله من أفواه أهل المعرفة فإن هذا مصيره تلتبس عليه الأمور يرى الحقَّ باطلًا والباطلَ حقًّا والمسلمَ كافرًا والكافرَ مؤمنًا فإنا لله وإنا إليه راجعون. انتَهَى.

وسبحان الله والحمد لله رب العالمين.

والله تعالى أعلم.



**الدرس التاسع والعشرون**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# بيان معنى حديث إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فِى النار

درس ألقاه المحدث الفقيه الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى الرابع من شوال سنة ثلاث وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق للخامس عشر من شهر تموز سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف رومية وهو فِى بيان أن معنى حديث إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فِى النار هو فيما كان بغير حق. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتَم النبيّين سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الطّيبين الطاهرين.

أما بعد فقد رُوّينا بالإسناد المتّصل فِى صحيح الإمام أبِى عبد الله البخارىّ وغيرِهِ أنّ رسول الله ﷺ قال **إذا تَواجَه المسلمان بسيفَيهما فالقاتِلُ والمقتُولُ فِى النّار**[1] اهـ هذا الحديث رواهُ البخارىّ وله لفظٌ ءَاخَرُ فِى مسنَد البزَّار وغيرِه وهو صريحٌ فِى المراد وهو **إذا**

(١) رواه البخارىّ فِى صحيحه باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما.

**اقتتل المسلمان على الدّنيا فالقاتِلُ والمقتُول فِى النّار**[١] اهـ

هذه الروايةُ الثّانية فسّرت الرواية الأولى لأنّ الأولى قد يفهَمُها بعضُ النّاس القاصِرِى الفَهم على غير المعنى المراد لرسول الله ﷺ، بينت مراد رسول الله ﷺ بهذا الحديث، فالمعنى المقصودُ لرسول الله ﷺ بهذا الحديث أنه إذا اقتَتل المسلمان أى إذا قصد هذا أن يقتل هذا وقصد هذا أن يقتُلَ هذا، قصد كلٌّ وعَزَم وحمَلَ السّلَاحَ كلٌّ منهما بقصد أن يقتُلَ الآخر للدّنيا، أى كلٌّ منهُما كان طالبًا حظًّا دنيويًّا فكِلا الفريقين يستَحِقّان النّار، وليس المعنى أنّ كلَّ واحدٍ حصل منه هذه المعصية مُحَتَّمٌ له دخولُ النار إنّما المعنى أن هذا جزاءُ الفريقين جزاءُ الطائفَتين، وقد يغفر الله تعالى لمن شاء لكن لا يُضِيْعُ حقَّ المظلوم، إن كان أحدُ الفريقين طالِبَ دنيا والفريقُ الآخر ليس مقاتِلًا للدّنيا إنّما مظلوم قُصِدَ بالقتل ظُلمًا فقاتَلَ فقُتِل أو قاتلَ فسَلِم سَلِمَ هو وقتَلَ المعتَدِين، لا يعنى الرسولُ ﷺ تعميمَ هؤلاء كلّهم بأنهم مستحقُّو النار إنما قصْدُ رسول الله ﷺ أن يكونَ كِلا الفريقين قتالُه على الظلم لأجل طلب الدّنيا مثال هذا القتال الذِى يحصل كلّ مدة بينَ دولتينِ من دول المسلمين، تكرر منهما القتال فذلك القتال

(١) قال الحافظ فِى فتح البارِى وأخرج البزار فِى حديث القاتل والمقتول فِى النار زيادة تبين المراد وهِىَ إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول فى النار اهـ

كِلا الفريقين فيه ءاثمون ظالمون يستحقونَ العذابَ لأنّه كلتا الطائفتين قصدُها الدُّنيا. وأما إذا كانَ قتالُ إحدى الطائفتين للدّين وقتالُ الطائفة الأخرى للدنيا أىْ حبّ الرئاسة والاستبداد ونحو ذلك من الأغراض الفاسدة، الطائفةُ التِى قصدُها الدّين ليسَ عليها حرجٌ، مثالُ ذلكَ قتالُ سيّدِنا علىّ وجيشِه للذين بغَوا واستعْصَوا عليه، وكان علىٌّ رَضِىَ الله عنه فِى تلك المعارك الثلاث وقعة الجمل ووقعَة صِفّين ووقعة النّهرَوَان كان هو وجيشُه مأجورينَ عندَ الله تعالى وأما الطائفةُ الأخرى التِى قاتلته فِى أيَّةِ واحدةٍ من هذه المعارك فإنهم ءاثمون.

رُوّينا فِى سُنَن البيهقى الكبرى[1] بإسنادِه إلى عبد الله بن رباح أنّ عمار بن ياسر رَضِىَ الله عنه قال لا تقولوا كفرَ أهل الشّام ولكن قولوا بَغَوا وظَلَموا اهـ وذلك لأن أهلَ الشام ليس أهلَ سورية فقط بل المرادُ مَن يشمَلُهم ومَن سواهم من أهل بلاد الشّام كانوا متمرّدينَ على الخليفة الرّاشد علىّ بن أبِى طالب رَضِىَ الله عنه وصفَهُم عمّارٌ رَضِىَ الله عنه الذِى شهدَ له الرسول ﷺ بالجنة بقوله **إن الجنّة تشتاق إلى ثلاثةٍ عمّارٍ وبلالٍ وعلىّ**[2] اهـ رَضِىَ الله عنهم، هذا عمارٌ

(١) السنن الكبرى للبيهقى باب الدليل على أن الفئة الباغية منهما لا تخرج بالبغى عن تسمية الإسلام.

(٢) ذكره فى ذخيرة الحفاظ محمد بن طاهر المقدسِى من رواية الحسن ابن صالح.

رَضِىَ الله عنه كان مع جيش علىّ رَضِىَ الله عنه فقال لا تقولوا كفَرَ أهلُ الشّام اهـ أىْ معاوية ومن معه لا تقولوا كفروا لكنّهم ظَلَموا وبَغَوا أى أنهم ظالمون معتدون فِى تمردهم على الخليفة علىّ بن أبِى طالب ولم يخرجوا من الإسلام بقتالهم لعلىّ فلا يُسَمَّون كافرين إنّما يقالُ عنهم ظلموا وفسقوا وبَغَوْا وذلك لأن الله تبارك وتعالى أوجب طاعةَ الخليفة علىّ بن أبِى طالب وغيرِه من الخلفاء الراشدين المهتدين المهدِيّين، الله تعالى فرض طاعتَهم بقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[1] علىٌّ بن أبِى طالب رَضِىَ الله عنه بلا شك ولا ريب مِن أُولى الأمر الذين فرض الله على المؤمنين طاعتَهُم فالذين قاتلوه إن كانوا أهل وَقعة الجمل وإن كانوا أهلَ وقعة صِفّين أىْ معاويةَ وجماعته، وإن كانوا أهل النّهروان أى وقعةَ الخوارج كلُّهُم ظالمون باغُون، المأجور هناك من كان مع الخليفة أىْ علىّ بن أبِى طالب وجيشِهِ هؤلاء لهم أجر لقتالهم فِى المعارك الثلاث، لأنّ الله أمرَ الخليفةَ إذا تمرّد عليه أناسٌ أن يَسْعى للصلح فإن أبَوْا أن يُقاتَلُوا، علىّ بن أبِى طالب نصحَهم قدّم لهم النصيحة قبل أن يقاتلهم فلم يأخذوا بنصيحته فقاتلهم فهو له أجر لأنه دخل فِى قول الله تعالى ﴿فَقَٰتِلُواْ﴾[2]، علىّ ابن أبِى طالب وجيشه دخلوا تحت ﴿فَقَٰتِلُواْ﴾

(١) سورة النساء/الآية (٥٩).
(٢) سورة الحجرات/الآية (٩).

والآخرون دخلوا تحت قوله ﴿ٱلَّتِى تَبْغِى﴾[1] أولئك الذين تمردوا عليه أما هو نَفَّذَ قولَ الله تعالى ﴿فَقَٰتِلُوا۟﴾ لأنه مأمورٌ شرعًا مأمور أن يقاتل هؤلاء الذين تمرَّدوا عليه.

واعلموا أنّه لا يجوز أن يقال عن جيش عليّ والجيش المقاتل له أن كُلًّا من الفريقين له أجر عند الله كما هو مذكور فِى بعض كتب المؤلفين هذا قولٌ غلطٌ، لا يجوز أن نقول كلتا الطائفتين مجتهدون ولكُلّ أجرٌ، لا يجوز كيف يكون أجرٌ للطائفتين طائفةٌ امتثلت كتابَ الله وطائفةٌ عاكست هذه الطائفة وعاندت وحاربت كيف يكون للطائفة المعانِدَة أجرٌ عند الله هذا القولُ غلط من قائلِه كائنًا من كان، وهذا مذكور فِى كثير من المؤلفات وذلك أكثرُ ما يكون فِى بعض مؤلفات أهل القرن السادس والسابع ومَن بعدهم، أما من كانوا قبل ذلك فهذا القول لم يكن عندهم مُلتَفَتًا إليه، ما كانوا يلتفتون إلى هذا القول، بل كان القول الراجحُ المعتبرُ عندهم ذلك القولَ الموافِقَ لقول عمّار ابن ياسر، وفِى من كان من أهل هذه القرون أى القرن السّابع وما بعدَه مَن هم مصرّحون بأن تلك الطائفةَ المقاتلةَ لعلِيّ باغيةٌ أى ليسوا مأجورين لأنّ الباغِى لا يؤجَر، كيف يؤجَرُ الإنسان على البَغْى كيف يجتمع الأجْرُ والبَغْىُ هذا أمر عجيب كيف استجاز هؤلاء الذين قالوا بهذا القول المردود كيف تجرّأوا على ذلك

(١) سورة الحجرات/ الآية (٩).

كيف استجازوا أن يتفَوهوا بقولهم هذا إنَّ كِلتا الطائفتين مأجورون.

فاللفظ المشهور لهذا الحديث **إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتِلُ والمقتولُ فِى النّار**[١] اهـ هذا اللفظُ المشهورُ ينبغى التنبيه إلى معناه المرادِ لرسول الله ﷺ، الرسول لا يعنِى إلا القتال الذِى يكون للدنيا فِى الفريقين أما القتال الذِى يكون بالنّسبة لإحدى الطائفتين للدّين للعمل بشَرْع الله تعالى كطائفة علىّ ومَن شابههم فِى هذا المعنى فإنَّ هذا الحديث لا يَعْنِيه إنما يعنى هذا الحديثُ القتالَ الذِى يكون بالنسبة للطائفتين للدنيا كما بَيَّنَتْ هذا المعنى المرادَ روايةُ البَزّار فِى مُسنده **إذا اقتتل المسلمان للدنيا فالقاتل والمقتول فِى النار** اهـ

بعد حمل الحديث على هذا المعنى يُذكر التفصيل الذِى ورد وهو أنّه قال بعض الحاضرين يا رسول الله هذا القاتِل فما بَالُ المقتول قال **إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**[٢] اهـ المعنى أن هذين المسلمين اللّذين تواجها للقتال بسيفيهما وكان كل منهما يقاتل علَى الدنيا ليس على أمر دينىّ فالقاتل فِى ذلك أمره ظاهر أنه قَتَلَ نفسًا مسلمة، وأما المقتولُ فسبب استحقاقه النارَ أى عذابَ الله بالنار فِى الآخرة هو أنه كان حريصًا على أن يقتل صاحبه، فَلِنِيَّتِه وَعَمَلِه وهو أنه حمل السّيفَ وجاء ليقاتل الطائفةَ الأخرى أو الشخصَ

(١) رواه البخارىّ فِى صحيحه باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما.
(٢) المصدر السابق.

الآخر استحقَ عذاب الله فكونُه مقتولًا لا يرفع عنه استحقاقَ العذاب ولا يلتبسُ هذا بحديث **مَن قُتِلَ دون دَمِه فهو شهيد** اهـ وهو حديث رواه مسلم فِى الصحيح[1] هذا ظاهرٌ لا لَبْسَ فِى معناه وذلك لأنّ الإنسان الذِى يُقتل لدِينه فشهادتُه ظاهرةٌ لا خفاء فِى هذا الحكم، وكذلك ذُكِر مع هذا فِى ذلك الحديث الذِى رواه مسلم ثلاثةٌ ءاخرون أحدهم **مَن قاتَل دون أهله فقُتِل** والثالث **مَن قُتل دون دمه** والرابع **من قُتل دون ماله**، فأما من قتل دون أهله فمعناه أنه أراد إنسان التعدى على زوجته لفعل الفاحشة بها فدافع عنها فقُتل أىْ قتله ذلك المعتدى الذِى يريد الفاحشةَ بزوجته فإن هذا الزوجَ المقتولَ شهيدٌ يقال له شهيد الآخرة لأنه ليس فِى حكم شهيد المعركة هذا يُغَسَّل ويكَفّن ويصلّى عليه كغيره مِن أموات المسلمين، فأما المقتول دون دمه فإنه هو الذِى أراد شخصٌ أن يقتله لأنه يَحْقِدُ عليه ويُضمر له عداوة فأراد أن يَشفِى غيظه بقتله ظلمًا فقاتل دون دمه فقُتل فهو شهيد، وأما الذِى يُقتلُ دونَ مالِه فهو الذِى قَصَدَ شخصٌ أخذَ ماله ظلمًا فدافع عن ماله الشخص الذِى قُصِد لأخذ ماله ظلمًا فقاتل دفاعًا عن ماله فقُتل فهو شهيد.

أما الذِى يقتل مسلمًا بحجة أن فلانًا قَتَلَ ابن عمه

(١) رواه مسلم فى صحيحه باب الدليل على أن من قصد أخذ ماله بغير حق.

قتل أخاه ثم هو يَقْتُلُ قريبًا لذاك القاتل ليشفِيَ غيظه فهذا فِى النار أى يستحق عذابَ الله فِى نار جهنم لأنه ليس له حق إنما الحقُّ لأولياء الدم بعد أن يُثبتوا أهلُ القتيل أنه قتل مُوَرّثَهُم إما بالبينة وإما باعتراف القاتل إذا قامت بينة أى شهادة صحيحة شرعًا بأن ذلك الشخصَ ارتكب هذه الجريمة يكون لهم حق فِى أخذ حقَّهم منه بعد أن يُثبتوا عند الحاكم وكذلك إذا اعترف القاتل بأنه قتل فلانًا الذِى هو قريبُهم فلهم أن يأخذوا ويستوفُوا حقَّهم منه بطريق الحاكم لأن القتلَ الذِى يكون بغير طريق الحاكم قد يُؤَدِّى إلى انتشار القتل وكثرته وتعدُّدِه لذلك جعلَ الشرعُ الطريقَ فِى استيفاء الحقّ الإثباتَ عندَ الحاكم إما بالبيّنة وإما بالاعتراف، وأما ما يَجرى بين كثير من الناس من الانتقام وأخذ الثّأر بقتل قريب القاتل أخيه أو ابنه أو أبيه أو غير ذلك فإن ذلك من العصبية التِى نَهَىَ الله تبارك وتعالى عنها. قال رسول الله ﷺ **ليس منَّا مَن دعَا إلى عَصَبِيَّةٍ** اهـ رواه أبو داود[1] أىْ أنّ الذِى يدعُو إلى العصبية فهوَ بعيد من الكمال الدّينِىّ أى لا يكون كاملًا فِى دين الله تعالى بل بعيدٌ من ذلك لأن العصبيةَ تُبعِدُ مِن الله. وكذلك العصبيةُ فِى ما دونَ القتل وهو أن يساعد الشخصُ قريبَه على دعوى قامَت على الظلم، ما قامت على الاستحقاق، فإذا ناصرَ شخصٌ قريبه على دعوى

(١) رواه أبو داود فى سننه بَابٌ فِى العَصَبِيّة.

ادّعاها على شخصٍ بغير حقّ ظلمًا كان من الذين ذَمَّهم رسول الله ﷺ. العصبيةُ هِيَ من الكبائر ومعنَاها أن يُعِينَ الشخصُ قريبَه أو صديقَه أو عشيرتَه على الظّلم. وكذلك مِن العصبية أن يعينَ الشّخصُ مَن ينتسب إلى حزبه على الشخص الآخر الذِى ليس من حزبه على الظلم، يَعْلَمُ أن هذا الشخص يظلِم هذا الإنسان ومع ذلك يساعدُه لأنه من أفراد حِزبه هذا من العصبية التِى حرّم الله تعالى على عباده وشدَّد الأمرَ فِى ذلك، إنما الذِى ينبغى للمؤمن أن يُعِينَ المظلومَ وأن يمنع الظّالم، لو كان قريبَهُ يقول له اتَّقِ الله، لو كان صديقَهُ واجبٌ عليه أن ينهاه عن الظلم فلو عمِلَ الناسُ بهذا الحكم الشّرعِىّ لارتحنا من كثيرٍ من المشاكِل والمفاسد.

ورد فِى سنن أبِى داود[1] عن رسول الله ﷺ أنه قال **من أعان إنسانًا فِى خصومةٍ بباطلٍ لم يزل فِى سَخَط الله حتى يرجِعَ** اهـ

المعنى أن الإنسان الذِى يعين غيرَه لقرابة أو لصداقة على الظلم والباطل فإنه لا يزال فِى سخط الله حتى يترك هذا الأمر، حتى فيما بينَ الأبوين من وجد أباه ظالـمًا لأمّه فلا يناصِرْ أباه فِى ظلمه أُمَّهُ وكذلك العكس بأن وجد أمَّه معتدية ظالمةً لأبيه فلا يناصرْها على أبيه، لا يتعصّب لها فِى ظلمها أباه بل على الابن أن ينهى من هو الظالم منهما إن كان الأب هو الظالمَ

(١) رواه أبو داود فى سننه باب فى من يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها.

ينَهَى أباه وإن كانت الأمُّ هِيَ الظّالمة ينهاها ومن لم يفعل ذلك وتحزَّب للأب الذِى هو ظالم أو للأم التِى هِيَ ظالمة فقد استحقَّ عذاب الله وليس هذا من بِرّ الأبوين إنما برُّ الأبوين الإحسانُ إليهما وطاعتُهما فِى ما ليس فيه معصيةٌ لله تبارك وتعالى. انتَهَى.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



**الدرس الثلاثون**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# بيان ثواب عيادة المريض والكلام على تنزيه الله مع ذكر بعض معجزات الأنبياء

درس ألقاه المحدث الأصوليّ الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى فِي بيان عظم ثواب عيادة المريض المسلم بنية حسنة والكلام على تنزيه الله وذكر بعض معجزات الأنبياء. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين اللهم صل على سيدنا محمد وسلم.

أما بعد فقد قال رسول الله ﷺ **ما مِن رجلٍ مسلم يَعُودُ مريضًا مُمْسِيًا إلا خرج معه سبعون ألفَ ملكٍ يستغفرون له حتى يصبح وكانت له مَخْرَفَةٌ فِي الجنة، وما من رجلٍ يعود مريضًا مُصْبِحًا إلا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يُمْسِي وكانت له مخرفة فِي الجنة** اهـ

هذا الحديث صحيح الإسناد رواه الإمام أحمد[1]

(١) رواه أحمد فى مسنده، باب مسند على بن أبى طالب رَضِىَ اللهُ عنه.

فِى مسنده والحاكم فِى مستدركه[١] وغيرُهما.

هذا الثواب العظيم الذِى يحصل بعيادة المريض هو يحصل للَّذِى يعود مريضًا مسلمًا بنية خالصة لله تعالى بأن ينوِىَ أنَّ الله رغَّب المؤمنين بعيادة المريض فأنا أفعل ذلك لوجه الله ولم ينوِ مع هذه النية محمدةَ الناس أو طلبَ الجزاء من هذا المريض أو أن يعظّمه ليس له نية إلا طلبُ الثواب من الله ليس نيتُهُ أن هذا المريض إذا تعافَى فيما بعد يقابله بالمثل أى يعوده إذا مرض أو أنه يحترمه ويعظمه ويقضِى له حاجاته ليس نيته هذه إنما نيته طلب الأجر من الله، هذا الذِى يعود المريضَ المسلمَ على هذه النية إن كان خرج مساءً لعيادة المريض أىْ بعد المغرب بعد غروب الشمس خرج معه سبعون ألفًا من الملائكة يستغفرون له إلى الصباح وتكون له مخرفة أى بستان فِى الجنة والبستانُ فِى الجنة لا تعادله الدنيا وما فيها لحسن هوائه ولحسن منظره وكون ثمره غيرَ مقطوع أى دائمًا كلَّما قُطِفَ ثمرةٌ يعود مكانها كما كان وهكذا إلى الأبد إلى غير نهاية. ثم كل شجرة من أشجار الجنة ساقها من ذهب. وكذلك من خرج صباحًا لعيادة المريض المسلم على النية الخالصة لله تعالى يخرج معه سبعون ألفًا من ملائكة الرحمة يستغفرون له حتى ينتهِى النهار بغروب الشمس أىْ يستغفرون له إلى أن تغيب الشمس وتكون له مخرفة فِى الجنة أىْ بستان، هناك أىْ فِى الجنة

(١) رواه الحاكم فى المستدرك كتاب الجنائز.

مقدار قدم إنسان من أرض الجنة خير من الدنيا وما فيها فماذا يكون قيمة البستان يحتوِى على أشجار كثيرة ومساحته واسعة فواكه الدنيا بالنسبة لفواكه الآخرة ما لها نسبةٌ كلا شىء.

أما عيادة المريض الكافر إن كانت للتودد فلا ثواب فيها بل فيها معصية، إن كان لتبادل المحبة بينه وبين الكافر ليس فيه ثواب بالمرة بل فيه معصية، أما إن كان قصده أن يُقَرّبَهُ إلى محبة الإسلام إلى محبة الدين فله ثوابٌ إذا زاره على هذه النية لا بنية تعظيمه وتبادل المحبة فتصيرَ المحبة والمودة بينهما وطيدةً لا، بل ينوِى تألُّفَهُ إلى الإسلام، مَن نَوَى هذه النية وعاد مريضًا كافرًا ما عليه شىء لكن هذا الثواب الذِى ورد فِى الحديث لا يكون له.

اللهُ تبارك وتعالى قال فِى القرءان الكريم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾[1] ثم قال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾[2] أى إن الذين كفروا إن كانوا من أهل الكتاب اليهود والنصارى وإن كانوا من غيرهم يكونون فِى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية أى الكفار إن كانوا من أهل الكتاب وإن كانوا مشركين أهل الأوثان فإنهم شر خلق الله، الكفار إن كانوا من أهل الكتاب وإن كانوا من

(١) سورة البينة/الآية (٦).
(٢) سورة البينة/الآية (٧).

غير أهل الكتاب فإنهم شر خلق الله شر البرية، معنى شر البرية شر الخلق شر ما خلق الله تعالى هم الكفار، ولا يجوز أن يقال هو خلقهم كيف لا يحبهم، هذا الذِى يقول هذا القول فهو كافر لأنه كذب القرءان الله تعالى قال ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[1] الله تعالى لا يحب الكافرين هو خلقهم لكنه لا يحبهم فالذِى يقول هو خلقهم فكيف لا يحبهم فهو كافر مثلهم، الذِى يقول عن الكفار هو خلقهم هو رب الجميع ليس رب المسلمين فقط هو رب الخلق جميعًا كيف لا يحبهم هذا كذَّب القرءان فهو كافر لا يجوز أن يقول الله يحب جميع خلقه الله تعالى خلق الخلق جميعًا خلق كل شىء لكنه لا يحب إلا المؤمنين كالملائكة، الملائكةُ كلهم مؤمنون ليس فيهم كافر ولا فيهم عاص كلهم يطيعون الله تعالى ولا يَفْتُرُونَ مِن ذكره، لا يلتهون ليس لهم شىء يلهيهم عن طاعة الله لا شهوة أكل ولا شهوة شرب لا يجدون شهوة من الشهوات إلا لذةَ الطاعة لذةَ ذكر الله تعالى وطاعته ولا يجدون تعبًا ولا يجدون جوعًا ولا عطشًا ولا حاجة إلى النوم بل ما خلق الله تعالى فيهم النوم، لا يتعبون من يومَ خُلِقُوا إلى الآن يعبدون الله بلا تعب لا يَشْكُونَ تعبًا لا يشكون حاجة إلى النوم، الله تعالى رفع عنهم الأمراض والجوع

(١) سورة ءال عمران/الآية (٣٢).

والعطش والشهوة شهوة النساء لأنهم ما خُلِقَ لهم نساءٌ ولا يتوالدون إنما يُخلقون خلقًا ليس لهم إناث وذكور ليسوا كالجن، الجنُّ وإن كانوا أجسامًا لطيفة لكنهم لهم ذكور وإناث يتوالدون أما الملائكة ليسوا ذكورًا ولا إناثًا لكن إن تشكلوا يظهرون بشكل رجال بَنِى ءادم تشكلوا بشكل بنِى ءادم ويكونون بشكل رجال.

هذه مريم ابنة عمران والدة المسيح جاءها جبريل عليه السلام بشكل إنسان سَوِيّ أى تام الخلقة فظنته بشرًا وخافت أن يتعرض لها، اللهُ ما ألهمها أن هذا مَلَكٌ ظنته بشرًا فخافت منه على نفسها فاستعاذت بالرحمن منه ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾[1] معناه إن كنت ممن يخاف الله لا تتعرض لِى فقال لها ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾[2] فاستغربت كيف يأتيها ولد ولم يمسسها بشر فأفهمها أن الله تبارك وتعالى يفعل ما يريد يقدر أن يخلق الولد بدون نطفةٍ، اللهُ تعالى يفعل ما يريد لو شاء أن يخلق البشر كلهم من دون تناسل لخلق البشر كلهم من دون تناسل مِن غير أن يكون بينهم والد ومولود، اللهُ تعالى خلق المسيح من غير نطفة خلقه بقدرته نفخ جبريل فيها الروح فدخل من فمها، الروح دخل من فمها ونزل إلى جوفها ثم التبس الروح بالجسد ثم خرج كما يخرج الناس.

---

(١) سورة مريم/الآية (١٨).
(٢) سورة مريم/الآية (١٩).

أما الملائكة فإنهم خُلِقُوا خلقًا من غير توالد لكنهم لا يتشكلون بشكل البنات الذين يصورون صورًا نسائية صور بنات ويقولون عنهم إنهم ملائكة فهؤلاء كفروا هذه الصور التِى يصورونها أمام أبواب الكنائس يضعونها أمام أبواب الكنائس صور بنات لهن أجنحة هذا كفرٌ وكذبٌ، الملائكة لهم أجنحة لكن لا يظهرون بصور النساء صور البنات من قال إنهم بنات فهو كافر الله تبارك وتعالى يُصَوّرُ خلقه كما يشاء، وكذلك هذه البهائم لو شاء أن يخلقها من غير توالد لخلقها لكن شاء أن تُخلق بطريق التوالد خَلَقَ منها ذكورًا وإناثًا أما الملائكةُ لم يجعل فيهم ذكورًا وإناثًا كلهم خلقوا خلقًا ليسوا فِى الحقيقة ذكورًا ولا إناثًا لكن الله أعطاهم مقدرة على أن يتشكلوا بأشكالٍ متعددة يستطيعون أن يتشكلوا بأشكال رجال من بنى ءادم ويستطيعون أن يتشكلوا بأشكال طيور بأجنحة فالله تبارك وتعالى جعل الخلق أصنافًا خلق العالم اللطيف كالروح والجن والملائكة والهواء والنور والظلمة هذا عالَم لطيف وخلق العالم الكثيف كالإنسان والأرض والنبات والشجر فهو سبحانه لا يشبه هذا ولا يشبه هذا لا يشبه العالم الكثيف ولا يشبه العالم اللطيف لا يشبه شيئًا لا يجوز أن يُتَصَوَّرَ اللهُ تعالى شيئًا كالروح أو كالهواء أو كنور الشمس أو القمر أو كما يقول بعض الناس الكافرين الكذابين الذين يَدَّعون الإسلام قال بعضهم الله تعالى نورٌ سيَّار هذا كفر جديد هذا نوع من الكفر جديد، النور إن كان سيارًا وإن كان يلزم مكانًا واحدًا

فهو مخلوقٌ الله تعالى لا يجوز أن يكون نورًا كما لا يجوز أن يكون ظلمة هو خلق النور وخلق الظلمة فلو كان يُشبه النور ما استطاع أن يخلق النور ولو كان يشبه الهواء ما استطاع أن يخلق الهواء ولو كان يشبه الروح ما استطاع أن يخلق الروح، النصارى بعضُهم يقول اللهُ روحٌ مُجَرَّدٌ وهذا كفرٌ، الله تعالى خالق الروح كيف يكون روحًا، وخالق النور كيف يكون نورًا ضوءًا لكن من قال الله نور وقصد أنه هادٍ يهدِى من يشاء للإيمان فهذا لا بأس به هذا الكلام صحيح من قال إنه نور وقصدُهُ أنه هادٍ يهدِى من يشاء للإيمان، الملائكة هو هداهم للإيمان وجعلهم مؤمنين، والبشر والجن جَعل قسمًا منهم مؤمنين ألهمهم الإيمان فآمنوا، هذا الإيمان نور الله بهذا المعنى إذا قال القائل الله نور فإنه كلام صحيح أما الذين يقولون الله نور ويقصدون أنه ضوء كما قال هذا الخبيث النور السيَّار هذا كفر. هذا الضوء الذِى ننتفع به ضوء النهار أليس سيَّارًا بلى سَيَّار بعد شىء من الوقت ينزاح عن هذه الأرض وتأتِى الظلمة فتتسلط مكانه ثم يتسلط هذا الضوء فِى أرض أخرى على أرض أخرى ثم ينزاح وتأتِى الظلمة مكانه وهكذا يظل سَيَّارًا الله تبارك وتعالى هو الذِى خلق هذا النور السَيَّار وجعله بمقدار يسير سيرًا بمقدار هو رتَّبه على هذا الترتيب لا الأرضُ خلقَتْ هذا النور ولا السماء خلقت هذا النور إنما الله تعالى الذِى خلق العالم جميعًا خلق هذا النور وخلق هذه الظلمة، خلق الخلق أزواجًا أىْ متقابلات خلق الخلقَ أصنافًا متقابلةً

حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة وماء ونار بياض وسواد وطعم الحلو وطعم المر وكذلك الحموضة وكذلك العُفُوصَةُ وسائر الطعوم فمن يفكر بعقله يعرف أن هذه الأشياء كلها مخلوقة لله تعالى مخلوقة لخالق لا يتطور ولا يتغير وهو الذِى يُسَمَّى الله.

البشر من كانت عقولهم صحيحة يدركون إذا فكروا فِى أحوال العالم يدركون أن لهذا العالم إلهًا خلقه لا يشبهه لكن العقل بمفرده لا يدرك أن هذا الخالق اسمه الله ولا يدركُ العقلُ استقلالًا أن الإيمان فرضٌ مَن تَرَكَهُ يعذب فِى الآخرة بعذاب دائم وأن الإيمان والطاعة فرض من أدّاه يكون له ثواب عظيم نعيم مقيم فِى الآخرة بلا انقطاع بلا موت يعقب تلك الحياة هذا لا يدركه العقل إنما الأنبياءُ هم أعلمهم الله تعالى بالوحى ثم هم علّموا الناسَ لولا الأنبياء ما كنا نعرف أن هناك جنة، أن هناك جهنم وأن هناك حياة ثانية بغير هذه الحالة لا نهاية لها ولا انقطاع لها لولا الأنبياء لم نعلم ذلك، الأنبياء الله تعالى جعل لهم خصوصية لم يجعلها لغيرهم من البشر فوجب علينا أن نصدقهم، الله تعالى أَوْحَى إليهم بأمور الدين علَّمهم أمور الدين وأَيَّدَهُمْ بالمعجزات كُلُّ نبىّ له معجزة أما المسيح عليه السلام فمعجزاته ظاهرة ذكرها القرءان ظاهرة أحيا الموتى وأبرأ الأكمه الذِى وُلِدَ أعمى فتح له من غير إجراء عملية له فتح له عينه، كذلك قبل المسيح موسى ومَن قبل موسى كلٌّ الله تعالى أعطاه

معجزة، هذا موسى عليه السلام كانت له معجزاتٌ معجزاتٌ عديدة من جملتها أنه ضرب حجرًا بعصاه الله تعالى أوحى إليه أن يضرب حجرًا صخرة بعصاة فَانْبَجَسَتْ منه اثنتا عشرة عينًا فوزع هذه العيون الاثنتى عشرة بين بنى إسرائيل كُل قبيلة خَصَّها بعينٍ من هذه العيون كانوا يشربون منها وهذا بعد أن خرجوا من أرض مصر متوجهين إلى جهة القدس، كانوا يحملون هذه الصخرة على ظهر البهيمة ثم عند الحاجة يُنزلونها فتتفجر منها العيون بقدرة الله فيأخذون حاجتهم ثم عندما يرحلون إلى مكان ءاخر يضعونها على ظهر الدابة وهِيَ صخرة صغيرة ليست صخرة ضخمة بحيث لا تحملها الدواب البهائم وغير ذلك. كذلك سيدنا محمد ﷺ أظهر له معجزات كثيرة منها أنه كان ذات يوم بين مكة وجُدَّةَ كان مُقْبِلًا من المدينة إلى مكة ليعمل عمرة كان معه ألف وخمسمائة نَفْسٍ من الصحابة فقدوا الماء الذِى يشربونه ويتوضؤون به فاشتكَوْا إليه لما أحَسُّوا بالضيق فوضع يده فِى وعاء فتفجّر الماءُ من بين أصابعه، الماءُ الصافِى الزلال العذب تفجّر فصاروا يأتون يملؤون أوعيتهم من هذا الماء وتوضؤوا وشربوا فكفاهم، ألف وخمسمائة نَفْسٍ، وأعطاه الله تعالى معجزات غير ذلك. هؤلاء الأنبياء هم الذين جاؤوا بالإسلام هم الذين علموا البشر الإسلام أنه يوجد لهذا العالم إله خلق هذا العالم لا يشبه شيئًا يستحق أن يعبدوه ولا يستحق أحدٌ أن يعبد إلا هو

وأنه لا خالق إلا الله وأنه عالم بكل شيء وأنه قادر على كل شيء وأنه لا يكون شيء إلا بمشيئته. انتَهَى.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



**الدرس الحادِى والثلاثون**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# حكم زوجة الغائب والمفقود ومعنى الإحداد

درس ألقاه المحدث الفقيه الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى على النساء فِى بيان حكم زوجة الغائب والمفقود وفِى معنى الإحداد على الزوج المتوفّى. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى ءاله وصحبه.

أما بعد فقد قال العلماء إنّ الغائب عن زوجته إن لم ينقطع خبره فنكاحه مستمر فينفق عليها الحاكم مِن ماله إن كان له فِى بلد الزوجة مالٌ فإن لم يكن كتب إلى حاكم بلده ليطالبه بحقها فإن انقطع خبره فلم يُعلم حالُه حتى يُتوهم موته فقال بعض الأئمة لا يجوز لها أن تنكح غيره حتى يتحقق موته أو طلاقه ثم تعتد وقال ءاخرون من الأئمة تنتظر أربعَ سنين ثم تعتد عدة الوفاة أى أربعة أشهر وعشرًا ثم تنكح. القول الأول قول سيدنا علىّ والقول الثانِى قول عمر بن الخطاب رَضِىَ الله عنهما.

المرأة التِى زوجها غائب ولم يترك لها نفقة إن كان

يُعلم مكانُهُ ترفع الدعوى إلى القاضِى عليه فالقاضِى يأخذ من ماله إن كان ترك مالًا فِى هذا البلد ويُعطِى لزوجته من مال زوجها الغائب المصاريفَ وإن لم يكن له مال فِى هذا البلد يكتب هذا القاضِى إلى قاضِى البلد الذِى هو فيه حتى يطالبَهُ ذلك القاضِى بحق زوجته ويبعثَ به إلى زوجته فإن لم يكن له مالٌ قاضِى البلد الذِى هِىَ فيه يقول لها اقترضِى مِنَ الناس خذِى القرض وأنفقِى على نفسك ثم نحن نُغَرِّمُهُ.

أما إن كان انقطع خبره وكان يحتمل أنه مات لا سيما كأن فُقد فِى خلال أيام الحرب كهذه الأيام التِى مضت فالعلماء فِى هذا الأمر على مذهبين قسم منهم قالوا هذه امرأة ابْتُلِيَتْ فتصبر فتنتظر حتى يأتيها خبر موته أو حياتِه فإذا تأكدت أنه مات تعتدُّ ثم بعد ذلك لها أن تتزوج أو أتاها خبر طلاقه لها تتزوج بعد العدة، هذه الفتوى من قال بها سيدُنا علىّ وقال ءاخرون تمكث أربعَ سنوات ثم بعد مُضِىِّ أربع سنواتٍ تعتد عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرة أيام ثم بعد ذلك لها أن تتزوج هذا مذهب عمر بن الخطاب رَضِىَ الله عنه ثم على هذا القول قول عمر بن الخطاب إن تزوجت بعدما انتظرت أربع سنوات ثم اعتدت عدة الوفاة وجاء زوجها زوجُها الثانِى يكون أمره موقوفًا على رَأْىِ الزوج الأول فإن كان الزوج الأول لا يتركها له ترجع إليه هذا الثانِى يتركها ليس له حق أن يقول أنا كيف أتركها أنا قد تزوجتها بزواج شرعىّ كيف أتركها، يتركها ويروح، وإن كان

الزوج الأول يتركها له ويقول فلتعطنِى المهر الذِى أمهرتُها إياه ووافق الزوج الثانِى على هذا صحَّ وعندئذٍ تبقَى معه ويعطِى المهر للزوج الأول وتبقى مع الثانِى.

أما الإحداد الذِى فرضه الله فهو تَرْكُ الزينة وهو فرضٌ على الزوجة التِى تُوُفِّى زوجها وهِىَ فِى عصمته، تُحِدُّ بترك الزينة بالثياب والحلِىّ والطيب، لا تلبس ثيابًا فيها زينة ولو أسودَ لَمَّاعًا بَرَّاقًا، كذلك الأبيض كذلك الأزرق كذلك الأخضر أىُّ ثوب فيه زينة لا تلبسه، حرام عليها، كذلك الحُلِىّ حرامٌ عليها.

الحاصل يجوز فِى الإحداد أن تلبس ما لا زينة فيه من الأسود والأبيض والأزرق والأخضر وغير ذلك من الألوان إنما الحرام عليها أن تلبس ما فيه زينة ولو «ساعة» فيها زينة. ولبس السواد ليس عادةَ النصارى الخاصةَ بل هذا شىء مشترك بين المسلمين والنصارى بين المسلمات والنصرانيات لكن الأسود نوعان يوجد أسود لماع براق فيه زينة ويوجد أسود ما فيه زينة كذلك الأبيض منه ما فيه زينة ومنه ما ليس فيه زينة كذلك الأزرق منه ما فيه زينة ومنه ما ليس فيه زينة، تلبسُ الذِى لا زينة فيه مِن أىّ الألوان إن كانت فِى البيت وإن كانت خارجةً فِى حاجة لا يجوز لها أن تلبس ثياب الزينة. المُحِدَّةُ التِى تُوُفِّىَ عنها زوجها لا تلبس ضمن الأربعة أشهر

وعشرة أيام ما فيه زينة لا تلبس الثياب التِى فيها زينة ولا الحلىَّ، حرام عليها. انتَهَى.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



**الدرس الثانِى والثلاثون**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# بيان فضل العلم وأن أولى العلوم هو العلم بالله ورسوله ودينه

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى باريس فِى بيان فضل العلم وأن أولى العلوم هو العلم بالله ورسوله ودينه. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الله تَبارَكَ وَتعالى عَظَّمَ شَأْنَ العِلم وقَدْ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ بِطَلَب الازْدياد مِنَ العِلم، الله تعالى أَمَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِأَنْ يَطْلُبَ مِنَ الله المزِيدَ مِنَ العِلم وَلَمْ يَأْمُرْهُ فِى القُرءَان الكَريم بِطَلَبِ الازدِيادِ مِنْ شَىءٍ غَيْر العِلم، ما أَمَرَهُ بِطَلَب الازدياد مِنَ الولَد ما أَمَرَهُ بِطَلَب الازدياد مِنَ الرّزق إنَّما أَمَرَهُ بِطَلَب الازدياد مِنَ العِلم، قال تعالى فِى القُرْءَان الكَريم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾[1] وَذَلِكَ لأنّ العِلْمَ أَسَاسُ الدّين، لأنّ الدّين هو العِلْمُ بالله وَبرَسولِه وَبِأمُور دِينِه، هذا الدّينُ هذا الإِسْلامُ. وَقَالَ نَبِىّ الله ﷺ **لا يَشْبَعُ المؤْمِنُ مِنْ خَيْرٍ**

(١) سورة طه/الآية (١١٤).

**يسْمَعُهُ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهاهُ الجنَّة**[١] اهـ هذا الحديثُ رُوِىَ عَلى وجهَين، روِىَ بهذا اللَّفظ **لا يَشْبَعُ المؤْمِنُ مِنْ خَيْرٍ يَسْمَعُهُ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهاهُ الجنَّة** وَرُوِى بِدون لَفْظَةِ يَسْمَعُهُ، عَلى الرّوايَة الثانية يَشْمَل العِلمَ وَغَيْرَ ذَلِكَ أَى أَنَّ المؤمِنَ لا يَنْبَغِى أَنْ يَشْبَعَ مِنَ العِلم، وَغَيْرُ العِلْم مِنَ الحَسَنات كذلِكَ لا يَنْبَغِى أنْ يَشْبَعَ المؤمِنُ مِنْهُ لكن العِلْمُ أَهَمُّ لأَنَّهُ أَسَاسُ الدّين.

وَقَالَ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَيْضًا **لأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَتَعَلَّمَ بابًا مِنَ العِلم خَيْرٌ لَهُ مِنَ أَنْ يُصَلّىَ أَلْفَ رَكْعَة**[٢] اهـ تَطَوُّعًا. هذا الحَديثُ فيه بيانُ عَظيم فَضْل العِلم عِلْم الدّين حَيْثُ إِنَّ تَعَلُّمَ بابٍ مِنَ العِلم كَباب التَّيَمُّم أو باب الاسْتِنْجاء أَوَ باب الأَذان أو باب مَواقيت الصَّلاة أو باب شُروط الصَّلاة أَو باب الحجّ أو باب الصّيام إلى غَيْر ذلك الله تعالى جَعَلَ ثوابَ مَنْ يَذْهَبُ لِيَتَعَلَّمَ بابًا مِنَ العِلم كَأَحَد هذه الأبواب المذْكورَة أَفضَلَ مِنْ أَلَف رَكْعَة مِنَ التَّطَوُّع. فِى رَمَضانَ أَغْلَبُ المسْلِمين فِى الشّرق وَالغَرْب يُصَلُّون كُلَّ لَيْلَة سِوى الفَرض ثلاثَةً وعشريْن رَكْعة ومَجْموعُ ذلِكَ سِتُّمِائةِ ركعة وَشَىءٌ فالذَّهابُ إِلى مكانٍ يَتَعَلَّمُ فِيه المسْلِمُ بابًا مِنَ العِلم أَى صِنْفًا مِنْ أَصْناف عِلْم الدّين أَفْضَلُ مِنْ هذه الرَكَعات رَكَعات التَّرَاوِيح التِى اعْتَادَها أَكْثَرُ المسْلمين فِى البِلاد الإِسْلامِيَّة.

---

(١) رواه الترمذى فى سننه باب ما جاء فى فضل الفقه على العبادة.
(٢) رواه ابن ماجه فى سننه بَابٌ فِى فَضْل مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْءانَ وَعَلَّمَهُ.

وَإذا عُلِمَ أَنَّ الأَمْرَ كَذلِكَ فَلْيعْلَم أَنَّ العِلم مراتِب بَعْضُهُ أَفْضَلُ مِنْ بَعْض وأَفْضَلُ عِلْم الدّين هُوَ العِلْمُ بالله وَالعِلْمُ بِرَسُولِه وَالعِلْمُ بِأُمُور الدّين كعلم الصَّلَوات الخَمْس. العِلْمُ بالله هُوَ أَهَمُّ مِنْ كُلّ عِلْم، أَنَّ الله تَبارَكَ وَتَعالى هُوَ الذِى أَخْرَجَنا مِنَ العَدَم إِلَى الوجود وهُوَ تَبَارَكَ وَتعالى الذِى يَسْتَحِقُّ غايةَ التَّعْظيم وَلا يَسْتَحِقُّ أحدٌ غَايَةَ التَّعْظِيم والخُضُوع إِلاَّ هُوَ. الأَنْبياء والملائِكة والأَوْلياء يُعَظَّمُونَ لكن لا كَتَعْظيم الله بَلْ أَقَلَّ مِنْ تَعْظيم الله تَبَارَكَ وَتَعالى ثم إِنَّ الأَنْبياء والمَلائِكَة والأَوْلياء لَوْلا أَنَّ الله أَمَرَنا بِتَعْظيمِهِم مَا كَانَ عَلَيْنا أَن نُعَظِّمَهُم إِنَّما وَجَبَ عَلَيْنَا تَعْظيمُهُم لأَنَّ الله أَمَرَنا بِتَعْظيمِهِم.

ومَعْرِفَةُ الله تعالى لَيْسَ بالتَّصْوير والتَّشْخيص فِى النَّفْس، كُلُّ ما يُشَخّصُهُ الإِنْسانُ فِى نَفْسِه إِنْ كان كمّيَةً صَغيرة وإِنْ كانَ كَمِيّةً كَبيرة إِنْ كان ذا حَدّ صَغيرٍ أو ذا حدّ كبيرٍ اللهُ ليس كذلك لأَنَّ الشَّىءَ الذِى لَهُ كَمِّيّةٌ ما أَوْجَدَ نَفْسَهُ عَلى هذه الكَمِّيّة إِنَّما مُوجِدٌ لا يُشْبِهُ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ كَمِّيّةٌ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ هو الذِى أَوجَدَهُ. هذه الأَرْضُ التِى نَحْنُ عَلَيْها ومَا عَلَيْها مِنْ جِبَالٍ وَأَشْجارٍ وابنُ ءادم وهذِه السَّمَاء التِى تُظِلُّنا وَمَا بَيْنَهُما كالشَّمْس والقَمَر وَالنُّجوم كُلُّ هذِه الأَشْياء لها مَقاديرُ لها حُدود، الإِنْسانُ لَهُ حَدٌّ أَرْبَعَةُ أَذْرُع، طُولُهُ أَرْبَعَةُ أَذْرُع، والشَّمْسُ لها كَمّيَة لها حَدٌّ وَالقَمَرُ لَهُ حَدٌّ وَهذِه الأَرضُ لها حَدٌّ يَعلَمُهُ الله وهذه السَّماءُ كَذلِك لها حَدٌّ يَعْلَمُه الله وَكَذلِكَ ما فَوْقَ السَّمٰوات وَكذلِكَ ما تَحْتَ الأَرْض

كُلُّ الأَجْرام ما هِيَ أَوجَدَت نَفْسَهَا على هذه الأحجام التِى هِيَ مِقْدارُها الخاصُّ بها إِنَّما مُوجِدٌ لا يُشبهها لا يُشْبِهُ هذِه الأشْياء هُوَ الذِى أَوْجَدَ هذه الأَشْياءَ كُلَّها عَلى مَقاديرِها.

لا يَجوزُ فِى العَقْل أَنْ يَكُونَ الإِنْسانُ أَوْجَدَ نَفْسَهُ على هذِه الكَمّيَة على هذا المقْدار وَكذلِكَ الشَّمْسُ لا يَجوزُ فِى العَقْل أَنْ تكون هِيَ أَوْجَدَتْ نَفْسَها على هذا المقْدار، الإِنْسان كان يَجوزُ فِى العَقْل أَنْ يكونَ أَطْوَلَ مِنْ هذا أَنْ يكون كالجَبَل وَأَنْ يَكون رأسه مثل حَبَّة الخَرْدَل لكن مَنِ الَّذِى خَصَّصَهُ بهذا المقْدار وهذا الحجم، مَوْجودٌ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ وَمِقْدار، كذلك العَرْشُ والسَّمٰوات مَهْما كانَ الجِرْمُ كبيرًا لا يَجوزُ فِى العَقْل أَنْ يَكونُ هُوَ أَوْجَدَ نَفْسَهُ على ذلِكَ الحَدّ وَمَهْمَا كانَ الجِرْمُ صغيرًا كذلِك لا يَجوزُ فِى العَقْل أن يَكونَ أَوْجَدَ نَفْسَهُ على ذلِكَ المقْدار دونَ ما سِواهُ، فَتَخَصُّصُ كُلّ جِرْم بالمقْدار الذِى هُوَ عَلَيْه يَجِبُ عَقْلًا أَنْ يكون بِتَخْصيص موجودٍ لا يُشبهُ هذِه الموْجودات أَى لَيْسَ لَهُ كَمّيَةٌ وَحَجْمٌ وَمِقْدارٌ أى حَدٌّ ليس له حَدٌّ، فَيَجِبُ بالنظر العقلىّ أَنْ يَكونَ كُلُّ شىءٍ لَهُ حدٌّ لَهُ خَالِقٌ أَوْجَدَهُ على ذلِكَ الحدّ فَخَالِقُهُ لا يَكُونُ كَذلِكَ، لَوْ كانَ خَالِقُهُ كذلك لاحتاجَ أَيْضًا هو إلى موجِدٍ أوجدَهُ على ذلِكَ الحَجم فالله لا يَجُوزُ أنْ يكون بحجم الإنسان ولا أصغر ولا بحجم السماء ولا بحجم العرش الذِى هو أكبرُ مخلوقٍ خلَقَهُ الله تعالى لا يجوزُ، العقلُ لا يَقْبَلُهُ لأَنَّ الشَّىءَ لا يَخْلُقُ شَبيهَهُ. هذا دليلُنا العقلىّ على أَنَّ

الله مَوْجودٌ بلا مكان بلا حد بلا كمية بلا شكل.

أما الدليلُ السَّمْعِيّ القُرْءَانِيّ فقد قال الله تبارك وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] مَعْناهُ أنَّ اللهَ لا يُشْبِهُهُ شَيءٌ بِوَجْهٍ مِنَ الوجوه، لا يشبهه شيء بوجه من الوجوه أَى لَيْسَ ذا حَدّ كما أَنَّ كُلَّ جِرْمٍ كبيرٍ وصغيرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِقْدار، ولا هُوَ ذو شَكْل أىْ كَيْفِيَّة مِن لَوْن وحَرَكَة وسُكون إلى غَيْر ذلِكَ من صِفات الخَلْق.

هذه الآيةُ الكَريمَةُ بَيَّنَتْ أَنَّ الله تعالى لا يُشْبِهُ العالم بشَكْلٍ من الأَشْكال ولا بوَجْهٍ من الوجوه إنَّما هو سبحانه موجودٌ وُجُودُهُ لا يُشْبِهُ وجودَ غيرِه، موجودٌ بلا مكان، ليس مُتَخَصّصًا بمكانٍ وَاحِد ولا بجهةٍ واحدة كما أَنَّ العرشَ متخصصٌ بجهةٍ واحدة وليس مُنْتَشِرًا فِى كُلّ مكان ولا هو منتشرٌ فِى الجهاتِ السّتّ أىْ لا يجوزُ أَنْ يكونَ الله فِى جهةٍ واحدةٍ منها ولا فِى جَميعِها، وكذلكَ الأمكنة لا يجوز أَنْ يكونَ الله فِى كُلّ مكان ولا يجوز أن يكون فِى مكانٍ واحد، فالله تباركَ وتعالى موجودٌ لا يُمْكن تَصَوُّرُهُ إنما يُعلمُ بأنه موجودٌ ولا يُشْبِهُ شيئًا هذا غايةُ المعرِفَة بالله أمَّا أن يُحاوِلَ الإنسان أنْ يَتَصَوَّرَ الله شيئًا ضَخْمًا أو شَيْئًا وَسَطًا أو حجمًا صغيرًا كُلُّ هذا وَهْمٌ، فَمِنَ الجهل العظيم تَصَوُّرُ بعض الناس أنَّ الله شىءٌ موجودٌ فَوْقَ العَرْش الذِى هُوَ أعظَمُ الأجرام، لا يوجدُ شىءٌ فوقَ العرش إلَّا كتابٌ أَخْبَرَ الرسول ﷺ أنَّ الله كَتَبَهُ ووَضَعَهُ

(١) سورة الشورى/الآية (١١).

على العَرْش قَبْلَ خلق السموات والأَرض بأَلفِى عام هذا الكتابُ مكتوب فيه **إنَّ رَحْمَتِى سَبَقَتْ غَضبى**[١] اهـ معناه المخلوقاتُ التِى هِىَ مرحومةٌ عندى أكثر من المخلوقات التِى أَكْرَهُهَا وَذلك أنَّ الملائكة هم أكثرُ خَلْق الله أكثرُ من الإنسان والجنّ والبهائم والطيور والحشرات ومن كُلّ ذى روح ومن عَدَد الرّمال وغير ذلك من مخلوقات، الملائكةُ أكثرُ خَلْق الله تعالى هؤلاء كُلُّهُم مظاهِرُ الرَّحمة يُحبُّهُم الله لأنهم مؤمنون به مُطيعونَ له لا يَعْصونَ الله لا يَفْتُرون عن تسبيح الله تعالى لأنَّهم ليس فيهم ما يُثَبّطُهُم عن طاعة الله لا يحتاجون للأكل والشرب والنوم ولا للنساء الله تعالى ما خَلَقَ فيهم حاجةَ الأكل والشرب والنساء ولا خَلَقَ فيهم التعب بل جَعَلَهم مُطيقين للتنقل بينَ السمٰوات والأرض بلحظاتٍ يسيرَةٍ خفيفة، الله تعالى قادِرٌ على كل شىء.

شخصٌ من البشر كان هو وزيرَ سليمان نبىّ الله سليمان، هذا كانَ من الأولياء، سليمان عليه السلام كان كتبَ إلى مَلِكَة اليمن فِى ذلك الوقت اسمُها بِلْقيس أنْ تأتِىَ إليه خاضِعةً، كانت تَعْبُدُ الشمسَ هِىَ وقومُها دَعاها إلى الإسلام وكان سليمان مُسَخَّرًا لَهُ الشياطين مع أنهم كافرون، الله تعالى جعلَهُم مُطيعين لَهُ فيما يأمرُهُم به من أُمور الدنيا مع كُفْرِهِم وكان من خالفَ أمرَهُ منهُم الله تعالى ينتقمُ منه فِى الحال، كان فِى

(١) رواه البخارىّ باب وكان عرشه على الماء.

ديوانِه الذِى يَجْلِسُ فيه للحكم سِتُمائة ألف كُرسىّ، جهةُ اليمين للإنس وجهةُ اليسار للجن، قال للذين معه من إنسٍ وجنّ مَن يأتِينى بعرشِها، هذه الملِكَة بلقيس كان لها عرشٌ من ذهب ثمانونَ ذراعًا طولُهُ وعرضُهُ سِتُونَ ذراعًا من ذهب مُكَلَّل بالجواهر قال سليمان أيُّكُم يأتينى بعرشِها فقال عِفريتٌ من الشياطين قوىُّ البُنْية أنا ءاتيك به قبل أن تُغادرَ مجلِسَك هذا ثم قال وزيرُه الذِى هو ولىٌّ من أولياء الله أنا ءَاتيكَ به قبلَ أنْ يَرتَدَّ إليكَ طَرْفُكَ تَمُدُّ نظرَك هكذا قبلَ أَنْ تُطْبِقَ جَفْنَيكَ أنا أحْضِرُهُ فأحْضَرَهُ من اليمن إلى بر الشَّام بهذه اللحظة، هذا واحدٌ من البشر من أوليائه اللهُ تعالى أَقْدَرَهُ على أن يُحْضِرَ يَنْقُلَ ذلك العرشَ العظيم من اليمن إلى الشَّام فالملائكةُ أقوَى من هذا، جبريلُ عليه السَّلام الله تعالى وَصَفَهُ بأَنَّهُ ذو قُوَّةٍ أى أَنَّهُ أعطاهُ قوةً عظيمة، مِن أمثِلة قوتِه أنه نقلَ جَبَلَ الطائف من الشام إلى الحجاز إلى مسافة تَبْعُدُ من مكة نحوَ تسعين كيلومترًا، هذا الجبل يختلف حالُهُ عن كلّ ما حَوْلَهُ فِى الحجاز، عالٍ جدًا ثم فيه رُمَّان وفيه عنب وفيه نبات أخضر وفيه بُرودة حتى فِى الصيف سُكَّانُهُ يَلْبَسون ثيابَ التدفئة، جبريل بأمر الله تعالى نَقَلَهُ من برّ الشام إلى تلك البقعة فصارَ مُصْطَافًا لأهل مَكَّة ومن حوله. هذا الجبل يقال له الطائف وذلك استجابةً لدعوة إبراهيم لأن إبراهيمَ عليه السلام لما ترَك سُرّيَّتَهُ وابنَهُ الطِّفل إسماعيل كان أخذَهُما من الشَّام إلى مكة تركَهُما هناك، هناك لا يوجد زرعٌ، فِى مكة وما حولها لا

يوجد زرع ولا أشجار إنما جبال جرداء حِجَارَةٌ سُوْد، استجابةً لدعوة إبراهيم الله نَقَلَ هذا الجبلَ العظيم إلى هناك لأن هذا الجبل فيه الزرع وينبت فيه الفواكه، ينبت فيه العنب والرُّمان.

فهؤلاء الملائكة الذين هم أَكْثَر خَلْق الله من مظاهر الرحمة أى ممن يحبُّهُم الله تعالى، والمؤمنون مِنْ أهل الأَرْض من إنسٍ وجنٍّ يُحبُّهُم الله تعالى والجَنَّة من مظاهر الرحمة والجنة أوسَعُ من أَرْضِنا هذه ومن جهنم بمراتٍ كثيرة جدًا بحيث إن فِى الجنة خَلَقَ اللهُ شجرةً ظِلُّها يمتدُّ لو سارَ فيه الراكِب مائةَ سنة لا يقطعُها، كلُّها من مظاهر الرحمة، هذا معنى إن الله كتبَ فِى ذلك الكتاب إنَّ رحمتى سَبَقَتْ غَضَبِى. لا يوجدُ فوق العرش إلّا هذا الكتاب لَيْسَ كما تظنّ الوهابية أنَّ الله جِرمٌ قاعدٌ فوق العرش هذا تَخَيُّلٌ فاسِدٌ ما لَهُ أَسَاسٌ والله تعالى ما قال إنَّه جَلَسَ على العرش إنما قال ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[1] معناهُ قهرَ العرشَ الذِى هو أَعْظَمُ المخلوقات الله تعالى قاهِرُهُ فماذا يكونُ غيرُهُ، يكون بالأَوْلى مقهورًا لله، هذه الأَرْضُ وهذه السَّماء التِى من غير عَمَدٍ واقفةٌ بقُدْرَة الله تعالى. اعتقادُ الوهابية ومن أَشْبَهَهُم أن الله خالقَ العالم على اختلاف أنواعِه قاعِدٌ على العَرْش توَهُّمٌ وتخيلٌ فاسدٌ، على زَعمِهِم الله مَحْمُولٌ حامِلُهُ العرش كيف تَصِحُّ الربوبية والألوهية لشىءٍ محمول لشىءٍ يحملُهُ شىءٌ غيرُهُ،

(١) سورة طه/الآية (٥).

هؤلاء سُخَفَاءُ العقول، الوهابية سخفاء العقول.

جمهور الأمة المحمدية وهم مئات الملايين اليوم أندنوسية وحدها مائة وستون مليونًا[١] هؤلاء المئات الملايين علماؤهم يدرّسون أن الله موجود بلا مكان بلا جهة ليس له حد أى كمية مقدار لا صغيرة ولا كبيرة لا يمكن تصوره فِى العقل إنما يُعرف بالعقل أنه موجود من غير أن يشبه شيئًا من غير أن يكون له حدٌّ من غير أن يكون له شكل من غير أن يكون بمكان واحد أو فِى جميع الأمكنة من غير أن يكون فِى جهة واحدة كجهة الفوق أو فِى غيرها أو فِى جميع الجهات، موجود من غير أن يكون كذلك، وأنه خالق كل شىء من حركات العباد وسكناتهم، العباد لا يخلقون شيئًا يفعلون فقط أما خلق أفعالهم فهو لله ليس لهم، وأن الله تعالى موجود بلا ابتداء لا شىء غيره كذلك، النور والظلام لوجودهما بداية، فِى الأزل ما كان نور ولا ظلام وهذا شىء لا يستطيع العقل أن يتصوره. هل أحدٌ فيكم يستطيع أن يتصور وقتًا لا نور فيه ولا ظلام، معلوم أن الإنسان يستطيع أن يتصور النور وحده ويتصور الظلام وحده مع هذا يجب علينا أن نؤمن أن النور والظلام ما كانا فِى الأزل ثم وُجِدَا بإيجاد الله لهما وذلك لأن الله قال فِى القرءان الكريم

(١) كان هذا عدد سكان أندنوسية عند إلقاء هذا الدرس وإلَّا فعدد سكانها اليوم أكثر بكثير.

﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾[١] أى خلَقَهُما بعد أن كانا معدومين[٢] هذا لا يمكن تصوره فِى العقل فكيف الخالق الذِى لا شبيه له بالمرة بالمرة كيف يمكن تصوره فِى القلب تشكيله فِى القلب. انتهى.

والله أعلم وأحكم.



(١) سورة الأنعام/الآية (١).

(٢) فقبل وجودهما لم يكن فِى العالم نور ولا ظلام.

**الدرس الثالث والثلاثون**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# بيان التقوى وأنواع الصبر

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى النساء فِى بيروت فِى الثلاثين من رجب سنة سبع وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق الحادى والثلاثين من شهر ءاذار لسنة سبع وثمانين وتسعمائة وألف رومية فِى بيان التقوى وأنواع الصبر. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله ربّ العالمين وصلاة الله البَّرِ الرحيم والملائكةِ المقرّبين على سيّدِنا محمّدٍ أشرف المرسلين وعلَى ءاله وجميع إخوانِه من النّبِيّينَ والمرسلين.

أما بعد فقد روينا فِى صحيح البخارى أنّ رسول الله ﷺ قال **إنَّ ءالَ أبِى طالِبٍ لَيسُوا بأوليائِى إنَّمَا وليّى الله وصَالِحُ المُؤمِنين**[1] اهـ وقال ﷺ **إنّ أَوْلَى النَّاسِ بِى المتّقُونَ مَن كانوا وحَيثُ كانوا**[2] اهـ معنى الحديث أنّ أولى الناس برسول الله ﷺ هم المتّقون هم الذين يؤدّون الواجبات ويجتنبون المحرمات، هؤلاء

(١) رَواهُ البُخَارىُّ فِى صَحِيحِهِ بَابٌ تُبَلُّ الرَّحِمُ بِبَلَالِهَا.

(٢) رواه أحمد فِى مسنده من حديث معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه.

المتقون، من كان بهذه الحالة ءَامَنَ بالله ورسولِه عرفَ الله ورسولَهُ بقلبِه واعتقدَ اعتقادًا لا يُخَالِجُه شكٌّ وأدّى الواجبات، ومن جملة الواجبات أن يتعلم علمَ الدين الضرورِيّ ما يَحِلُّ وما يحرم من المأكَلِ والملبَسِ والمشرَب والمالِ، المالُ منه حلالٌ ومنه حرامٌ، هذا كيف يُعرَف؟ بالتّعلُّم من أهلِ المعرفة، يتعلّم من أهل المعرفة الذين تعلّمُوا ممّن قبلَهُم من أهلِ المعرفة إلى أن يتسَلسَل الاتصالُ إلى الصّحابة، الذِى تعلَّمَ علم الدين بهذه الطريقة، تعلّم القدرَ الضروريَّ، ليس شرطًا أن يتوسّع يصير مفتيًا يُعْطِي لهذا جوابَ سؤاله ولهذا ولهذا ولهذا إنّما يكون تعلَّم الضروريّات، من تعلّمَ هذه الضروريّات وعَمِلَ بها أىْ أدَّى الواجبات، أىْ أدّى كلَّ ما تعلَّم أنَّهُ فرضٌ فرضَهُ الله على عبادِه أن يفعَلُوه، وكلَّ ما حرَّم الله تبارك وتعالى عَرَفَ فتجنّبَهُ، هذا المُتَّقِى ويقال لهم إن كانوا جمعًا المتّقُون، الرسول ﷺ يقول **إنّ أولَى الناسِ بِى المتّقون** اهـ من كان تقيًّا هذا أولى الناسِ بى، **مَن كانوا** مِن أىّ جِنسٍ كانوا، مِن أىّ أجناسِ الناسِ كانوا، إن كان تقيًّا هذا هو أقرَبُ الناسِ إلىَّ مِن حيثُ المعنى، **وأينَ كانوا** أىْ فِى أىّ رُكْنٍ كانوا، الذِى يكون بأقصى الشرق أو أقصى الغرب يؤدِّى الواجبات ويجتنب المحرّمات فهو أقربُ إلى الرسول ﷺ مِن حيث المعنى من الذِى وُلِدَ فِى المدينة المنوّرة وعاشَ فيها إذا لم يكن تقيًّا، الذِى وُلِدَ بالمدينة وعاش فيها إذا لم يكن تقيًّا ذاكَ الذِى بأقصى الشرق أو بأقصى الغرب ويكونُ تقيًّا أىْ يُؤدِّى

ما افترضَ الله ويجتنب ما حرّم الله أفضلُ عند الرسولِ وعند الله، فالقُربُ الحقيقيُّ مِن رسولِ الله ﷺ القربُ النافعُ الذِى تعلُو به الدَّرَجَاتُ هو تقوى الله، ليس النَّسَبَ، لا يكفِى الشخصَ أنه من ذرّيةِ الحسن أو من ذرّية الحسين رَضِىَ الله عنهما، الإنسان مِن أىّ جنسٍ مِن أجناس الناس كان إذا تعلّم دينَ الله وعرفَ الحلالَ والحرام وعمِلَ كما تعلَّم طبّقَ ما تعلّمَ بالعمل هذا أقربُ إلى الرسول ﷺ وأفضَلُ عند الله تعالى مِن ذاك الآخر الذِى نَسَبُه حَسَنىّ أو حُسَيْنىّ ولم يفعل ذلك.

ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ قال حديثًا ينفَعُ مَن عَمِلَ به نفعًا كبيرًا وهو **ليسَ الشّدِيدُ مَن غَلَبَ الناسَ ولكنَّ الشَّدِيدَ مَن غَلَبَ نَفسَه**[1] اهـ هذا الحديث هو خفيف على اللسان لكن العمل به متروكٌ عند أكثر الناس، قليلٌ من يعملُ بهذا الحديث.

**ليسَ الشّدِيدُ مَن غَلَبَ الناسَ ولكنَّ الشَّدِيدَ مَن غَلَبَ نَفسَه.**

**ليسَ الشّدِيدُ مَن غَلَبَ الناسَ ولكنَّ الشَّدِيدَ مَن غَلَبَ نَفسَه.**

**ليسَ الشّدِيدُ مَن غَلَبَ الناسَ ولكنَّ الشَّدِيدَ مَن غَلَبَ نَفسَه.**

الإنسانُ تعلو درجَتُه عِندَ الله بحسب صَبْرِه والصبرُ ثلاثةُ أنواع الصّبرُ عن المحرّمات هذا أشَدُّ أنواع

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه ذكر الإخبار بأن الشديد الذى غلب نفسه عند الشهوات والوساوس لا من غلب الناس بلسانه.

الصّبر، والصَّبرُ على الطّاعات أى على المواظبة على الصلوات مثلًا بحيثُ لا يشغلُه عن الصلاةِ ولدٌ ولا مالٌ ولا صَدِيق، بعضُ النّاس ينشغلون عن الصلاةِ لأجل الولد، من أجل الأطفال وبعضُهم حتّى لغير الأطفال قد تترك المرأةُ الصّلاةَ حتَى تُرضِىَ أولادَها الذين هم بالغون بتهيئةِ الطعام لهم، تُعَطِّل صلاةً أو صلاتين مِن أجلِهم، هذه ناقِصَةٌ عند الله، بعيدةٌ من الله. وكذلك بعضُ النساء من أجل أزواجِهِنَّ يُعَطِّلنَ صلاةً أو صلاتَين أو أكثَر، من أجلِ إرضاء أزواجهِنَّ يُعَطِّلنَ صلاةً أو صلاتين، هؤلاء ما صَبَروا على الطاعة، نَقَصَهُم الصّبر على الطّاعة. كذلك بعض النساء وقتَ البرد يتكاسَلنَ عن الصّلاة فتفوتُهُنَّ صلاةٌ أو صلاتان مِن أجل البرد هؤلاء أيضًا ليسُوا من أهل الصَّبر على الطّاعة. الصَّبرُ على الطاعة هو الذِى لا تفوتُه صلاةٌ أى لا يَترُكُها من أجلِ ولد ولا من أجلِ خاطِر الزّوج ولا مِن أجلِ الصّديق أو الصَّديقة، هؤلاء الصّابرون الذين لهم أجرٌ عظيم عند الله تبارك وتعالى. كذلك من هذا النوع الثانى الصَّبرُ على الطاعات أن يَصبِرَ الإنسان فِى أيام الحرّ التِى يشتد فيها العطش والجُوع على الصيام، الذِى يَحبِسُ نفسَهُ على الصّيام ولا يأكُلُ ولا يشرب مع مَيلِ نفسِهِ فِى رمضان إلى الأكلِ والشّرب هذا صابرٌ على الطاعة هذا من جُملَةِ الصَّبر على الطاعة، لكن الإنسان إذا شعر من نفسه أنّه ينهار إذا لم يأكل فِى نهار رمضان وجَدَ نفسَهُ مُتْعَبَةً بحيث يخشى الضّرَرَ على نفسه هذا أكلَ أو شرب ليُنقِذ

نفسَهُ من الضّرر هذا ليس فيه معصيةٌ وينوِى أنّه يقضِى يومًا ءاخر، أمّا الذِى مِن أجل شهوةِ الطعام يُفطِر أو لَذّةِ الشراب لذة الماء، نفسُه تقول له أنتَ عطشَان وهذا الماء اللذيذ العَذب المُرْوِى يَفُوتُكَ أثناء الصيام فيُفطِر ويعصِى ربَّهُ هذا تركَ الصَّبرَ على الطّاعة، ويوجد غيرُ هذا. الصّبرُ على الطاعة بابٌ واسِع. هذا النوعُ الثانى من الصّبر. والثالثُ هو الصبرُ على المَكارِهِ والشّدَائِدِ والمصائب، هذا أيضًا شديدٌ لكن ليس كشِدَّةِ الصَّبرِ عن المعاصِى، كَفُّ النّفسِ عن المحرّمات على اختلاف أنواعِها هذا أشدُّ أنواعِ الصَّبر، وهذا أفضل مِن كثير من النوافل، مثلًا إنسانٌ يصلّى فِى اليوم والليلة مائةَ ركعة تطوُّعًا غيرَ الفرض وإنسانٌ ءاخر لا يصلّى إلَّا الفرض، لا يصلّى شيئًا من السُّنّة إلّا الفرض لكنّ هذا كفّ نفسَهُ عن ارتكاب معصيةٍ أو أكثرَ مِن معصيةٍ أما ذاك الذِى يصلّى مائة ركعة كلَّ يوم تطوُّعًا له معاصٍ يقَعُ فيها أيُّهُما أفضلُ عند الله؟ هذا الذِى يَكُفُّ نفسه عن المعاصِى ولا يصلّى النّفلَ إلّا الفرضَ أفضَلُ عند الله، هذا أفضلُ من ذاك الذِى يصلّى مائةَ ركعة تطوُّعًا غيرَ الفرض ويرتكب معصية أو معصيتين أو ثلاثًا مِن المعاصِى وعلى هذا يُقاس. تركُ معصيةٍ واحدةٍ أفضلُ عند الله من عَمَل ألفِ حسنة، الذِى يَكُفُّ نفسَه عن معصية مِن معاصى الله تعالى عندَ الله أعلى درجةً مِن الذِى يُواقِعُ المعاصِى ويُكثِرُ النَّوافِل، الأول أفضلُ، ليس بَينَهُ وبين الولاية إلّا مرتَبَةٌ واحدة وهِىَ أن يُكثِرَ من النوافِل من نوعٍ من أنواع النّوافل،

هذا الذِى يتجنّبُ المعاصِى إن كانت المعصية تَركَ فرض أو ارتكابَ محرّم، الذِى يتجنّب هذا ويَكُفُّ نفسَه، يصبرُ يحبِسُ نفسَه على ترك المعصية هذا إذا أكثَرَ منَ النوافل صارَ من أولياءِ الله، لو مِن نوعٍ واحدٍ، أولياءُ الله يفترقونَ عن غيرِهم من المسلمين حتّى إنّهم أعلَى درجَةً عند الله من الشهيد الذِى قاتَلَ العدُوَّ طلبًا للجهاد فِى سبيل الله، تَقَرُّبًا إلى الله خاطرَ بنفسه، ذهب إلى الكفّار وقاتَلَهُم لوجه الله تعالى أىْ لأن الله يحبُّ الجهاد وهو أمر المؤمنين بالجهاد قاتلهم فقُتِل، هذا الذِى أدّى الواجبات كلَّها واجتنب المعاصِى كلَّها وأكثَرَ من النَّوافل أفضَلُ عندَ الله من ذاك الشّهيد، والشهيدُ مرتبتُهُ عند الله عالية جِدًّا لكن هذا الولِى أفضَلُ عند الله، الأولياء أفضَلُ عند الله، مَن أفضل الأولياء بعد الأنبياء؟ أبو بكرٍ الصّديق رضى الله عنه أفضل الأولياء بعد الأنبياء، الأنبياءُ أفضَلُ من كلّ خلقِ الله حتّى من الملائكةِ، ابتداءً من ءادم إلى سيّدنا محمد الأنبياءُ كلُّ واحدٍ منهم أفضلُ من الملائكة وأفضلُ من الأولياء لا يوجد فِى خلق الله من هو أفضَلُ من الأنبياء، الأنبياءُ أعلى مرتبةً، وءَادَمُ عليه السّلام الذِى كثيرٌ من الناس لا يَعْرِفُ له الفضلَ أفضلُ مِن الأولياء من كل الأولياء، أفضل مِن أبِى بكر أفضل من عمر بن الخطاب أفضل من عثمان بنِ عفان أفضلُ من علِىّ بنِ أبِى طالب، أفضل مِن كلّ الأولياء، وكذلك كلُّ نبىٍّ أفضَلُ من جميع الأولياء، بعد الأنبياء الأفضلُ هو أبو بكر باعتبار البشر، أفضلُ البشر بعدَ

الأنبياء هو أبو بكر ثم عمرُ ثم عثمانُ ثم عليٌّ أمّا بالنسبة لغير البشر خواصُّ الملائكة أى أكابِرُ الملائكة جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ وعَزْرَائيلُ وحَمَلَةُ العرش هؤلاء أفضل مِن خواصّ الأولياء، خواصُّ الملائكة أى أكابِرُهم أفضلُ عند الله من أولياء البشر بعد الأنبياء، أما الأنبياء فلا يزيدُ عليهم أحدٌ مِن خلق الله فِى عُلُوّ الدّرجات، هم أفضَلُ خَلقِ الله. انتهى.

والله سبحانه أعلم وأحكم.



**الدرس الرابع والثلاثون**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# سيدنا محمد أفضل الأنبياء وأمته خير الأمم وشريعته أسهل الشرائع

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى الرابع من شوال سنة ثلاث وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق للخامس عشر من نيسان سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف رومية وهو فِى بيان أن سيدنا محمدًا أفضل الأنبياء وأمته خير الأمم وشريعته أسهل الشرائع. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى ءاله الطيبين الطاهرين وصلّ اللهم وسلم على سائر إخوانه من النبيين كآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وعلى ءاله الطاهرين.

أما بعد فإن الله تبارك وتعالى أرسل نبينَا محمدًا ﷺ ءاخر الأنبياء وقد أراد تبارك وتعالى أن يكون هو صفوةَ خلقه فإنَّ مَن قَبْلَهُ مِن الأنبياء مقدمةٌ لإظهار صفوتِهِ. الدليل على ذلك أن الله أخذ العهد والميثاق على ءادم ومَن بعده من النبيين أنه إن ظهر محمدٌ وهم

أحياء لَيُؤْمِنُنَّ به وَلَيَنْصُرُنَّهُ[١] وجعل شريعته ﷺ أيسرَ الشرائع وذلك لأن مَن قبله من الأنبياء لا تصح صلاتهم إلا فِى موضع معيّن مخصوص للصلاة إنْ بَعُدَ المكانُ أو قَرُبَ مِن منازلهم وفِى ذلك مشقةٌ كبيرةٌ وأما سيدنا محمد ﷺ فقد جُعِلَ له ولأمته المكانُ الذِى أدركتهم فيه الصلاةُ أى وقتُها مسجدًا لهم وفِى ذلك يسرٌ كبيرٌ. ثم إنَّ بعض مَن قَبْلَنَا مِن الأنبياء كانت مقدار الزكاة ربعَ أموالهم وأما فِى هذه الشريعة فقد جعل الله زكاة أموالهم فِى النقود فِى الأثمان ربعَ العشر أى مِن مائتَىْ درهم خمسةُ دراهم وجعل صيامهم أى صيام هذه الأمة فيما بين الفجر وغروب الشمس أما بعض الأمم الذين كانوا قبل هذه الأمة كانوا يواصلون الليل والنهار بلا أكل ولا شرب، وأحل لهم الغنائم ولم يُحِلَّ اللهُ الغنائم لنبىّ مِن الأنبياء، كانوا إذا قاتلوا العدوَّ الكفارَ فغلبوهم فما كان من أموال الكفار النقدِ وغيرِهِ إلا ذَوِى الأرواح أى البهائم يُجمع فِى مكان فتنزل نارٌ من السماء فتأكلها أما هذَه الأمة فالله تعالى عَلِمَ ضعفها فأحلَّ لهم أن يأكلوها وحرَّم عليهم أن يحرقوها بالنار، وقد كان فِى بعض مَن مضى مِن الأمم أى أمم الأنبياء مَن فُرِضَ عليهم خمسون صلاة وأما بنو إسرائيل فُرِضَ عليهم صلاتان لكن

---

(١) قال الله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾. سورة ءال عمران/ الآية (٨١).

هاتان الصلاتان لا بد أن يؤدوهما بالوضوء أما هذه الأمة فقد أحل لهم التيمم مَن فقد الماء يتيمّم فيُصَلّى والمريضُ الذِى يضره الماءُ يتيمم فيُصَلّى هذا بعض ما فضلهم الله به فِى الدنيا أما فِى الآخرة فإنهم يكونون يوم القيامة غُرًّا مُحَجَّلِيَن أى تكونُ وجوههم وأيديهم وأرجلُهم مُنَوَّرَةً قبل دخول الجنة فَيُمَيَّزُونَ بها عن سائر الأمم وذلك مِن أثر الوضوء، الذِى صلاته صحيحة بتمام شروطها مِن الطهارة وغيرِ ذلك هذه علامة المؤمن من أمة محمد المسلمين من أمة محمد ﷺ.

ثم إن الله تبارك وتعالى فضَّل نبينا محمدًا بأن جعله أكثر الأنبياء تَبَعًا وذلك أن أمم الأنبياء أىْ كلَّ مَن تَبع الأنبياءَ يكونون يوم القيامة ثلثَ أهلِ الجنة قبل دخول الجنة يُصَفُّونَ مائةً وعشرين صَفًّا ثمانون صفًّا مِن هذه الأمة والأربعون صفًّا مِن سائر الأمم فينبغِى أن يُعْلَمَ هذا أى هذه الفضائل لنبينا ﷺ التِى خصه الله تعالى بها. وقد يظن كثيرٌ من الناس أن هذه الشريعة هِىَ أشقَّ الشرائع وهذا من الجهل بالحقيقة.

بنو إسرائيل هم ذرية يعقوب عليه السلام ومن ذريته من الأنبياء يوسف عليه السلام وموسى وهارون أخو موسى وداود وسليمان بن داود وعيسى ابن مريم لأن مريم من ذرية داود، يعقوب عليه السلام كان له اسمان يعقوب وإسرائيل وكذلك المسيح عيسى له اسمان أحدهما المسيح والآخر عيسى عليه الصلاة والسلام سيدنا محمد ﷺ له اسمان شهيران أحدهما محمدٌ

والآخر أحمد وله أسماء غيرُهما لكنَّ هذين أشهرُ أسمائه.

وهناك أنبياءُ مِن بنِى إسرائيل مِن ذرية يعقوب ذُكروا فِى القرءان أما عدد الأنبياء جملتُهم فقد ورد فِى عددهم حديثٌ صحيح الإسناد أن الرسول ﷺ قال **أنتم مُتِمُّونَ سبعين أمة أنتم خَيْرُها وأكْرَمُها على الله**[1] اهـ هذا الحديثُ ظاهره أن عدد الأنبياء سبعون لكن يَحْتَمِلُ أن يكون معناه أن الأمم الكبيرة من أمم الأنبياء سبعون وما سوى هؤلاء السبعين أممٌ كانت قلةً[2] لأنه ورد فِى الحديث أن بعض الأنبياء يكون معه يوم القيامة مع بعضهم ثلاثةٌ ومع بعضهم أربعة ومع بعضهم اثنان وبعضٌ ليس معه أحدٌ لأن كثيرًا منهم قُتِلُوا قتلتهم الكفارُ كذبوهم فقتلوهم. وهناك حديثٌ ءاخر فيه أنهم أكثرُ مِن مائة ألفٍ أن الأنبياء أكثرُ مِن مائةِ ألفٍ بعضُهم رسلٌ وبعضُهم أنبياءُ غيرُ رُسُلٍ، الرسلُ أفضل مِن الأنبياء غيرِ الرسلِ لأن الرسل كُلٌّ أُنْزِلَ عليه شرعٌ جديدٌ أى فِى بعض الأحكام أُنْزِلَ عليه مِن الأحكام شىءٌ لم يُنزَل على مَن قبله منَ الأنبياء.

الله تبارك وتعالى بحكمته أحلَّ فِى شرائع بعض الأنبياء شيئًا وحرَّمه على مَن بعدَ ذلك، النبىّ ءادم عليه السلام أُحِلَّ له أن يُزَوّجَ بَنِيهِ مِن بَناتِهِ، كانت حواء تلد

(١) رواه الترمذىّ فِى سننه، باب ومن سورة ءال عمران.

(٢) ممن ذكر هذا الاحتمال عبد الحق الدلهوىّ فِى شرحه على المصابيح. وقال عدد من الشُرَّاح المراد بالسبعين التكثير.

توأمين أحدهما ذكرٌ والأخرى أنثى فكان التوأم الذكرُ مِن هذا البطن يَحِلُّ له أن يتزوج الأنثى من البطن الآخر هذا لحكمة التناسلِ حتى يبقى نسلُ البشر مستمِرًّا ثم حرَّمه على من جاء بعد ءادم وهو ابنه شيث، شيثٌ عليه السلام كان مُفْرَدًا من بين أولاد ءَادَمَ نَبَّأَهُ الله بعد موت ءادم أُنزِلَ عليه خمسون كتابًا وبعد وفاته نُبّئَ إدريسُ، ويسمى أَخَنُوخ اسمٌ أعجمىّ ليس عربيًّا، ونوحٌ كذلك اسمه لم يكن عربيًّا، العرب مِن بين الأنبياء هودٌ وصالحٌ وشعيبٌ ومحمدٌ هؤلاء عَرَبٌ صلوات الله وسلامه عليهم وعلى ءَالِهِمْ. معنى ءال الأنبياء من اتَّبَعَهُم بالإسلام أما لفظُ الأمةِ فلها معنيان مَن اتَّبَعَ النبىّ وءامن به يُسَمَّى أمتَّهُ ومَن لم يتبعه مِن الذين أرسل إليهم ليتبعوه فكذبوه يسمَّوْن أمّةَ الدعوةِ، أمّةُ ذلك النبىّ مَن هم ملزمون باتباعه بهذا المعنى يقال للذين كذبوه أمَّتُهُ، الذِين أُرسِلَ إليهم هذا النبىّ، والذِين اتبعوه من الذين أُرسِل إليهم يقال لهم أمَّة الإجابة أما الذين لم يتبعوه بل كذبوه فيقال لهم إنهم مِن أمَّة الدعوة لأنه دعاهم إلى الإسلام فامتنعوا وأَبَوْا يقال لهم أمة الدعوة.

فمن الأنبياء الذين قتلوا قتلتهم كفار بنى إسرائيل زكريا ويحيى عليهما السلام، أما يحيى عليه السلام فقد رُوِىَ فِى سبب قتله أنه كان فِى زمانه ملكٌ يحب ابنة زوجتهِ تعلَّق قلبُهُ بها فأراد أن يتزوجها فمنعه يحيى قال حرامٌ، هذه البنتُ أمها كانت تعيش عيشة الملوك بسبب هذا الملك عملت مكيدةً فقالت هذا كَيْفَ يُحَرّمُ

عليك اقتُلْهُ وتزوج البنتَ فسمع كلامها مِن أجل هذه البنت قتل يحيى، أُتِيَ برأسه محمولًا إليه كان دمه لم يكن يَجْمُدُ، الدم يجمد بسرعة فسَلَّطَ الله عليه مَلِكًا قاهِرًا جاءهم فقتل ذلك الملكَ، وتلك المرأةُ كانت لبست ثوبًا جميلًا أحمرَ فسلَّط الله عليها الحِدَأَةَ ظنت هذا الثوبَ الأحمرَ لحمًا فنتفتها الحِدَأةُ، هذه الحدأة طيرٌ مثل الباز من عادته إذا رأى اللحم أو الشيء الأحمر ينقضُّ عليه فإن وجده لحمًا أخذه وإن لم يكن لحمًا يتركه، الله سلَّطَ على هذه المرأةِ أمِّ البنت الحدأة، مزقتها هذه الحدأة.

وهكذا أنبياءُ كثيرون قتلهم الكفارُ وهم على الله كرماء لأن الدنيا ليست دارَ جزاءِ أحبابِ الله، دارُ جزاءِ أحبابِ الله الآخرةُ، الدنيا مشقتها وعذابها لا شيء بالنسبة لعذاب الآخرة، هم هؤلاء الأنبياء مكرمون عند الله والذين قتلوهم المهانون، الأنبياء هم المنصورون مَن قُتِلَ منهم ومَن لم يُقتل فصار له أتباعٌ وظهورٌ وملكٌ كسليمان عليه السلام، سليمان حكم الدنيا كلها وسخر الله له الشياطينَ العفاريتَ الكِبارَ يعملون له فِى البناء والغوص فِى البحور لإخراج الجواهر وهم كفارٌ يطيعونه، الله تعالى ذللهم له يخافون إن خالفوه أىْ عصوا أمره أن يهلكهم فِى الحال، الأنبياء مَن كان منهم فِى الدنيا أتباعه ظاهرين أقوياءَ على الكفار أشداء عليهم ومَن كان غير ذلك بل قُتلوا على أيدِى الكفار كلٌّ منصورون لأنهم فِى الحياة الدنيا معهم الحجة معهم الحق وأعداؤهم ليس معهم

حق عصاةٌ لخالقهم مسخوطٌ عليهم من قبل الله ثم بعد الموت كلُّ الأنبياء فِى نعيم عظيم فِى البرزخ وفِى الآخرة إلى ما لا نهاية له أما الكفار مع ما يقاسونه فِى الدنيا من الأمراض والمصائب يكون القبرُ عليهم نارًا، لا يجدون راحة عند موتهم إلى ما لا نهاية له فمن نظر إلى الحقيقة يعلم أن الأنبياء هم المنصورون وأن أعداء الله هم المغلوبون مَن كان معه الحق مرضِيًّا عند الله فهو الغالب.

ثم هؤلاء بنو إسرائيل اليهودُ هم من ذرية يعقوب كانوا من أتباع موسى مؤمنين مسلمين ثم لما ظهر عيسى وأظهر المعجزات وقال لهم اتبعونى أنا رسول الله إليكم أَتَّبِعُ التوراة وأُبَشّرُ بِنَبِىّ يأتِى بعدِى اسمه أحمد وأُحِلُّ لكم بعض ما حُرّمَ عليكم حسدوه لما رأوا بعض ما يطلع من يديه من العجائب من شفاء المرضى قالوا إن ظَهَرَ إن اتبعناه نحن نكون مِن ءَاحاد الناس بعد أن كنا رؤساء فكذبوه فأرادوا أن يقتلوه لكن ما مَكَّنَهُمُ الله من قتله بل رفعه إلى السماء وهو يقظان فمن قال قُتِلَ يكفر إن كان سمع بما جاء فِى القرءان أن عيسى ما قتلوه ولا صلبوه الكفار ولكن شُبّهَ لهم أما الذِى لم يسمع فإن سمع بأنه قُتل فصدَّق فلا يكفر.

والنصارى كذلك بَعْضُهُم مِنْ بَنِى إسرائيل وبعضهم من غير بنى إسرائيل، بعضُ قبائل العرب تنصَّروا كانوا فِى اليمن تنصروا، كذلك بعضُ العربِ تهوَّدوا فمن كان من ذرية إسرائيل يقال له إسرائيلىّ لا يقال له إسرائيل

بل يقال إسرائيلىّ أىْ من ذرية يعقوب، الإسرائيلىُّ معناه ينتسب إلى إسرائيل فِى كونه من ذريته أما إسرائيلُ بلا ياء فهو يعقوب عليه السلام، وهذه البلاد كانوا عربًا أيضًا تنصروا لأن الروم كانوا يحكمون هذه البلاد إلى أوروبة كانوا هم الحاكمين سورية ولبنان والأردن وفلسطين كانوا تحت حكم الروم الأوربيين، أدخلوا فيهم النصرانية وهم عربٌ هؤلاء كان يقال لهم الغساسِنة وبنو تَغْلِب لكن بما أن الأوربيين كانوا يحكمون هذه البلاد كلَّها دخلوا فِى دينهم تنصروا ثم الصحابةُ دخلوا بالقوة هذه البلاد فنشروا الإسلام. انتهى.

والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم.



**الدرس الخامس والثلاثون**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# بيان أن الغلو فِى الدين مهلكٌ

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد الهررِىّ رحمه الله تعالى فِى بيان أن الغلوّ فِى الدين مَنهِىّ عنه وأنه مُهلك. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين صلاة الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وسلم وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد فإن الله تبارك وتعالى قال ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴿١٧١﴾﴾[1] الغُلُوُّ هو مجاوزة الحد الذِى أمر الله به عباده. أهلُ الكتاب كانوا غَلَوْا أى تجاوزوا الحد الذِى أُمِروا به أُمروا أن لا يعبدوا إلا الله ويؤمنوا بالأنبياء الذين بُعثوا إليهم فهم تجاوزوا الحد الذِى أُمروا به فأما اليهود فإنهم غَلَوْا فِى محبة عُزَيْرٍ فعبدوه وقالوا عزيرٌ ابنُ الله، عزيرٌ هذا رجل من أولياء الله الصالحين جاء بعد موسى عليه السلام فعلَّمَهُ الله التوراة فحفظها عن ظهر قلب، هنا دخلهم الغلو

(١) سورة النساء/الآية (١٧١).

قالوا عزير هذا ما كان ليحفظ التوراة فِى هذا الوقت القصير إلا لأنه له خصوصية ليست لغيره فقالوا عنه ابنُ الله لأنه حفظ التوراة فِى وقت قصير فِى وقت لم تجر العادة أن تُحفظ فيه التوراة. ثم هؤلاء الذين يقولون عن عزير ابن الله كانوا فِى زمن الرسول ﷺ وقبل الرسول ﷺ كانوا لكنهم فِيما بعد ذلك انقرضوا ولم يبقَ منهم أحد. هذا عزير مهما رَأَوْا له من العجائب والكرامات ليس لهم أن يقولوا عنه ابنُ الله فذلك غُلوٌّ منهم أىْ تجاوُزٌ للحدّ الذِى أمرهم الله به. وأما أنه نبىٌّ أم لا فقد اختلف العلماء فيه، فمنهم من يقول عنه نبىٌّ ومنهم من يقول عنه ولىٌّ فقط لأنه لم يَرِدْ ذِكْرُهُ فِى القرءان بوصف النبوة كما وَصف خمسة وعشرين من أنبياء الله، لم يصف عزيرًا بوصف النبوة لذلك اختلفوا فِى أمره منهم من قال إنه نبىٌّ ومنهم من قال إنه رجل صالح ولم يأت عن سيدنا محمد ﷺ وصفُهُ بالنبوة إنما ورد هناك حديثٌ ضعيف الإسناد أنه عليه الصلاة والسلام قال «**لا أدرِى عزيرٌ نبىٌّ أم لا**[1] اهـ هذا الحديث ضعيف لم يثبت ولو ثبت ليس فيه إثبات النبوة له ولا نفِىٌ صريح للنبوة عنه فلذلك نحن نقول يجوز أن يكون نبيًّا ويجوز أن يكون عبدًا صالحًا وليًّا من أولياء الله.

وأما غُلوّ النصارى فهو أشدُّ حيث إنهم كُلَّهم عبدوا

(١) رواه أبو داود فِى سننه بَابٌ فِى التَّخْيِيرِ بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

المسيح واتخذوه إلهًا فهم متفقون فِى ذلك ليس بين فِرَقِ النصارى اختلاف إنما طائفة من النصارى تسمى الأرمنسوية تقول نحن نقول عن عيسى ابن الله لا بمعنى أنه ابنه بل بمعنى أنه تولاه بالعناية هؤلاء يسمون الأرمنسوية، هم النصارى افترقوا إلى اثنتين وسبعين فرقة، هذه الأرمنسوية طائفة من النصارى تقول إن المسيح ابن الله لكن يقولون نحن لا نعنِى أن المسيح ابن الله حقيقة أى أنه وَلَدَهُ إنما نعنِى بقولنا إن المسيح ابن الله أنه تولاه الله بالعناية أى خصه بمزايا لم يعطها غيره، بهذا المعنى نقول نحن المسيح ابن الله. وهذا التأويل لا ينفعهم فهم كافرون الإنسان بمجرد أن يقول عن أىّ خلقٍ من خلق الله ابنُ الله فهو قد كَفَرَ بمجرد إطلاق هذا اللفظ كفر ولا يوجد فِى الإنجيل الأصلىّ وصفٌ للمسيح بأنه ابن الله ولا يوجد فِى الإنجيل وصف الله تعالى وتسميته بالأبوة فِى هذه الأناجيل المحرفة الموجودة بأيدِى النصارى فِى بعض المواضع مذكور أن المسيح قال عن الله أبِى وفِى بعض المواضع فِى هذه الأناجيل المحرفة أبِى وأبيكم وكلا الأمرين مكذوب على الإنجيل المسيح بَرِىءٌ مما نسبوه إليه ليس هذا من الإنجيل الذِى أنزله الله تعالى على المسيح إنما هذه الأشياء بعد أن تركوا الإسلامَ الذِى جاء به المسيح وحرفوا الإنجيل الذِى أنزله الله عليه كتبوا مِن عند أنفسهم هذه الأشياء، هذا كله بعدما غَيَّروا دين المسيح، تركوا الإسلام الذِى هو عبادة الله وحده، تركوا هذا الإسلام الذِى أمرهم المسيح به

فعبدوا المسيح، بعد ذلك كتبوا فِى هذه الأناجيل كلمة أبِى عن الله تعالى أما فِى الإنجيل الذِى أنزله الله فلا يوجد ذلك، فالنصارى كلهم بعد أن تركوا دين المسيح الذِى هو الإسلام عبادة الله وحده وأن لا يُشْرَكَ به شَيْءٌ كلهم عبدوا المسيح وإن اختلفوا فِى بعض المسائل.

الله سبحانه وتعالى نهانا عما نَهَى عنه أهلَ الكتاب مِن الغلو كلُّ ما يذكره عن الأمم الماضية من مساوئهم وكفرياتهم فهو لتحذيرنا عن أن نشابههم، الله تعالى لهذه الحكمة وغيرِها ذكر عن اليهود ماذا فعلوا من الكفريات والضلالات وعن النصارى ماذا حصل منهم من الكفر والضلال وعن غيرهم من الأمم كقوم هود الذين يسمون عادًا وقوم صالح الذين يسمون ثمودًا حتى نتعظ مما وقعوا فِيه من الكفر والضلال، الله تعالى يذكر فِى القرءان فِى مواضعَ كثيرة ذكر ما حصل من اليهود من الانحراف والضلال وكذلك فِى مواضعَ كثيرة ذكر لنا عن النصارى أنهم ضَلُّوا وانحرفوا وفِى طَيِّ ذلك تحذيرٌ لأمة محمد عن أن يقعوا فِى مثل ما وقع به أولئك. أما هذه الأمة فالرسول ﷺ أخبر أنه لا بد أن تكون أمته على الإسلام ومع ذلك أخبر بأن بعضًا من أمته يكفرون يعودون مشركين وسَمَّى قبيلة من قبائل العرب تسمى دَوْسًا ذكر أنه لا تقوم الساعة حتى تعبد نساء الدوس[1] الوثن وقال فِى هذا الموضوع **لا**

(١) روى البخارىّ فِى صحيحه، باب تغيير الزمان حتى تُعبد الأوثان=

**تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين**[١] اهـ لكننا بما أننا نحن ءَاخِرُ الأمم، نبينا ءَاخِرُ الأنبياء وأمته ءَاخِرُ الأمم المسِيءُ منهم الذِى انحرف وضَلَّ والتحق بالمشركين فكفر بالله ورسوله فضيحتُهُ تكون يوم القيامة لأنه ليس بعد هذه الأمةِ أمةٌ أخرى يُبعث إليها نبىٌّ وينزل الوَحْىُ عليه ويُذْكَرُ له مساوئُ هذه الأمة. قال رسول الله ﷺ **نحن الآخِرون السابقون**[٢] اهـ ومعناه نحن الآخِرون أى فِى الوجود الظاهرِ فِى الدنيا والسابقون أى بدخول الجنة. نبينا محمد ﷺ هو أول من يُفتح له باب الجنة، ويدخل الجنة قبل أىِّ نبىٍّ من أنبياء الله هو يدخل قبل أىِّ أحد من الأنبياء ثم يدخل الأنبياء ثم بعد ذلك أمتُهُ يدخلون الجنة قبل غيرهم من الأمم هذا معنى قوله ﷺ **نحن الآخِرون السابقون** اهـ وقال عليه الصلاة والسلام **أنا حَظُّكُمْ مِنَ الأنبياء وأنتم حَظّى مِن الأمم**[٣] اهـ ﷺ وشرَّف وكرَّم.

وجاء فِى الأحاديث الصحيحة فِى التحذير مِن الغُلُوّ قولُه ﷺ لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما غَدَاةَ مزدلفة **الْقُطْ لِى حصًى** قال عبد الله بن عباس فلقطتُ

---

= عن أبِى هريرة رَضِىَ اللهُ عنه أن رسول الله ﷺ قال لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذِى الخلصة.

(١) رواه الترمذىّ فِى سننه بَابُ مَا جَاءَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ كَذَّابُونَ.

(٢) رواهُ البخارىُّ فِى صحيحِه بَابُ فرضِ الجُمعةِ ورواهُ مسلمٌ أيضًا فِى صَحيحِهِ بابُ هِدَايَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ لِيَوم الْجُمُعَة.

(٣) رواهُ ابنُ حِبَّان فِى صَحيحِهِ بابُ فَضْلِ الأُمَّة.

له مثل حصى الخَذْفِ فقال رسول الله ﷺ **أَلَا بمثل هذا فارموا أَلَا بمثل هذا فارموا أَلَا بمثل هذا فارموا وإياكم والغُلُوَّ فإنَّ الغلوَّ أهلك مَن كان قبلكم**[1] اهـ غداة مزدلفة لقط عبد الله بن عباس الحصى التِى يُرمى بها الجمرات وذلك أفضل ما يكون وإن كانت عادة الناس جرت فِى هذه العصور بأن يلقطوا الحصى ليلًا فإنَّ الأفضل تأخيره إلى الفجر اتباعًا لرسول الله ﷺ ثم الأفضل اتباعُهُ ﷺ فِى أن يكون مقدار الحصى الذِى يُرمى به قدرَ حصى الخَذْفِ، والخذفُ هو وضع الحصاة على الإبهام ثم رميُها بالمسبّحة، هذا الحصى يكون بقدر حبة الفول، فالأفضل أن يكون رَمْىُ الجمار بمقدار حَصَى الخذف لا أكبرَ ولا أصغرَ، إن كان أكبرَ صحَّ وإن كان أصغرَ صحَّ لكنه إذا كان بقدر حَصَى الخذف يكون أفضلَ اتباعًا له ﷺ. الشاهدُ فِى هذا الحديث أنه عليه الصلاة والسلام نَهَى عن الغلوّ وبيَّن لنا أنَّ الغلوَّ هو الذِى أهلك مَن كان قبلنا من الأمم هو الذِى أهلك اليهود وهو الذِى أهلك النصارى وأهلك كثيرًا مِن غيرهم مِن غير اليهود والنصارى فالغلوُّ لا خير فيه.

ثم الغلوّ أنواع وأقسام منه الغلوّ الذِى يفعله بعضٌ وهو أنهم لـمَّا يكونون صائمين يصومون عن الكلام بالمرة عن كلام الخير وعن كلام الشر هذا غلوٌّ، الله

(١) رواهُ ابنُ حِبَّان فِى صَحيحِهِ بابُ ذِكْرِ وَصْفِ الحَصَى التِى تُرْمَى بها الجِمَار.

تعالى لا يحب ذلك، الصائم إذا صام عن كلام الشر فذلك خير، أما أن يصوم عن كلام الخير وعن كلام الشر ولا يكلم إنسانًا فذلك غلوٌّ ممقوت لا يحبه الله تعالى، يوجد فِى بعض البلاد إلى عصرنا هذا أناسٌ لـمّا يكونون صائمين يصومون عن الكلام بالمرة من الفجر إلى غروب الشمس لا يتكلمون مع الناس لا بخير ولا بشرّ هذا من الغلوّ الذِى نَهَى عنه رسول الله ﷺ لأن المحافظة على الصيام الذِى فيه زيادة الأجر والثواب يكون بترك عملِ الزُّور أيِ العملِ الذِى حرمه الله تعالى والقولِ الذِى حرمه الله تعالى هذا يكون محافظة على الصيام حتى يكون الأجر كاملًا أىْ بعد المحافظة على تجنب المفطّرات مِن كل ما يدخل إلى الجوف من طعام أو شراب فإذا حَفِظَ جوارحه حَفِظَ نظرَهُ عن النظر المحرّم ويده عن تناول شىء حَرَّمَهُ وسَمْعَهُ عن استماع المحرّم ورجْلَهُ عن الذهاب إلى ما فيه معصيةٌ لله تعالى وغير ذَلك مما حرَّم الله تعالى فإذا تجنب الصائم كلَّ ما حرمه الله تعالى وتجنب مع ذلك القولَ أى اللفظَ الذِى لا خير فيه فذلك مما يزكو به عملُهُ أىْ صيامه أما الإمساك عن كلامِ الخير فإن ذلك غلوٌّ لا يحبه الله تعالى.

ومن الغلو ما يفعله بعض المداحين والمنشدين من إجهاد النفس برفع الصوت، المدَّاحُ والمنشدُ إذا أجهد نفسه برفع صوته حتى تنتفخ عنقه فهذا لا يحبه الله تعالى أما إذا رفع صوته بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم مع الإخلاص لله تعالى بلا إجهاد النفس مِن غير

أن يجهد نفسه كان ذلك حسنًا لأن رفع الصوت بالأذان مطلوب.

ومن الغلوِّ الشديد ما يقوله كثير من التجانية من أن صيغة صلاة الفاتح وهِيَ صيغة صلاة على النبيّ تعدِل ستة ءالاف ختمة من القرءان إلى غير ذلك من الأكاذيب التِى افتروها على الرسول وعلى شيخهم هذا، شيخهم لا تصح عنه هذه الخرافات إنما هم بعدما مات شيخُهم افترَوْا عليه ثم طبعوا هذه الكتب المحرفة طبعوها ونشروها بين الناس قبل خمسة وعشرين سنة بناحية من الحبشة وجدتُ أناسًا مِن أتباع هذه الطريقة التجانية وجدت بعضَهم يقول لا يكون حركة ولا سكون إلا بتصرف الشيخ كان لهم شيخٌ يعطيهم الطريقة مِن فُلَاتَه من بلاد فُلَاتَه من أفريقية نعوذ بالله العظيم هذا الغلوّ يجرف الإنسان حتى يوقعه فِى مَهواة الضلال فيهلكه هذا نَزَّلَ شيخهم منزلة الله، أنا كنتُ أعرف شيخهم الذِى هم غَلَوْا فِى محبته نزَّلهُ بعض مريديه منزلة الله فقال لا يكون حركة ولا سكون إلا بتصرف الشيخ، والعياذ بالله تعالى من الغلو.

الله تبارك وتعالى جعل لعباده مراتب، أفضل خلق الله الأنبياءُ، الأنبياءُ أفضلُ خلقِ الله فينبغى تعظيمهم أكثرَ من غيرهم لكنه لا يجوز تعظيم نبيّ من أنبياء الله إلى حدّ أن يُشَبَّهَ بالله تعالى كما جعلت النصارى المسيح ابن مريم إلهًا وكما جعلت لعلمائهم لرهبانهم أهليةَ مغفرة الذنوبِ جعلوا لهم أنهم يستطيعون أن

يغفروا ذنوب المذنبين بعد الاعتراف أمامهم هذا غلوٌّ، هؤلاء النصارى غَلَوْا فِى المسيح وغَلَوْا فِى رهبانهم فلا يجوز الغلوّ فِى تعظيم الأنبياء إلى وصفهم بوصف الربوبية، مغفرة الذنوب خاصةٌ بالله تعالى، اللهُ تعالى هو الذِى يغفر الذنوب ولم يدَّعِ أحدٌ من أنبياء الله أنه يغفر ذنوب الناس، سيدنا محمد ﷺ كان يأتيه الواحد من أصحابه فيطلب منه الاستغفار فيقول يا رسول الله استغفر لِى فيقول الرسول ﷺ اللهم اغفر لعبدك فلان أما أن يقول غفرتُ لك ذَنْبَكَ فلا يجوز على نبىّ من أنبياء الله. هكذا كان أنبياء الله ما كانوا يُنزلون أنفسهم منزلة الله ما قال أحد منهم تعالَوا اعترفوا بذنوبكم عندنا نغفر لكم، لم يدّع ذلك أحدٌ منهم. ثم بعد الأنبياءِ والملائكة فأولياء البشر يستحقون التعظيمَ، التعظيمَ الذِى ليس فيه غلوٌّ، أما التعظيم الذِى فيه غُلُوٌّ فلا يجوز. لو كان يجوز الغلوّ لجاز فِى حق الأنبياء لكنه لا يجوز، الله تعالى نَهَى عن الغلو فِى القرءان الكريم، ونَهَى رسولُه ﷺ بهذا الحديث عن الغلوّ قال **فإياكم والغلوَّ فإن الغلو أهلك مَن كان قبلكم**[1] اهـ

ثم هؤلاء التيجانيون وصفوا الرسول ﷺ بما هو كفر صريح وضلال. عندهم صيغة يَدَّعُونَ أن هذه علمها الرسولُ ﷺ لشيخهم أبِى العباس التيجانِىّ يقولون الرسول ﷺ علمها لأبِى العباس التيجانىّ، ما هِىَ هذه

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه، باب ذكر وصف الحصى التِى تُرمَى بها الجِمار.

الصيغة؟ هذه الصيغة الكفرية اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عَيْنِ ذاتك الغَيْبِيَّةِ، منذ عشرين سنة تقريبًا كان هنا فِى بيروت رجل من التيجانيين صادفتُه بجامع من الجوامع قال الرسول عَيْنُ ذات الله، هؤلاء موجودون هنا فِى بيروت موجودون قال سَمْعَ أُذُنِى الرسولُ عين ذات الله، من أين أخذ هذا من هذه الكلمة التِى هم يقرأونها ويَعُدُّونَها مِن أحسن الصيغ فِى الصلاة على النبىّ اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عين ذاتك الغيبية.

ومن الغلو أن يوصف العملُ الذِى هو من النوافل لا يتجاوزُ حدَّ النفل أن يُجعل بدرجة الفرائض، جَعْلُ النفل بدرجة الفرائض منَ الغُلُوّ، وكذلك جَعْلُ العملِ المكروهِ تنزيهًا الذِى ليس فيه معصيةٌ حرامًا فبعض الناس يقولون عن الكلام فِى حال الوضوء يقولون عنه حرامٌ، هذا كذب وافتراءٌ، الكلام الذِى فيه حسنة التكلم به فِى حال الوضوء ليس فيه كراهةٌ ولا معصيةٌ، أما الكلام الذِى لا خير فيه لكنه ليس من قبيل الكلام المُحَرَّم يكون فِى حال الوضوء مكروهًا تنزيهًا لا يكون حرامًا لا يكون معصيةً إنما يكون مكروهًا تنزيهًا، تركه فيه ثواب، من ترك الكراهة كان فِى ذلك ثواب ومَن ارتكبه فليس عليه معصية، فالكلام فِى حال الوضوء ليس مِن الحرام، لا يجوز أن يقال عنه إنه حرام كما يقول بعضُ الجاهلين وذلك من الغلو الذِى نهانا الله عنه، مَن جعلَ المكروهَ حرامًا فقد غلا. كذلك مَن يُحَرّم مَدَّ الرجلين إلى القبلة مَن يُحرّمُ ذلك فقد غلا

وذلك معصية كبيرةٌ، الذِى يُحَرّم هذا مَدَّ الرجلين إلى القبلة وقع فِى معصية كبيرة، رسول الله ﷺ ما حرَّمه والقرءان ما حرمه والفقهاء أئمة الاجتهاد ما حرموه بطريق الاستنباط فمن أين يكون تحريم هذا؟ هذا إذا لم يكن فِى جهة القبلة مصاحف أو كتب علم شرعى بمسافة قريبة أما إذا كانت مصاحفُ وكتب علم شرعِيٍّ بمسافة قريبة فِى جهة القبلة فمدَّ إنسانٌ رجلَهُ إلى هذه المصاحفِ ولم تكن المصاحف موضوعةً على مكانٍ مرتفع كظهر خزانة كان ذلك حرامًا إلَّا إذا كانت المصاحفُ مرفوعةً ومدَّ رجله إلى أسفل ما مدَّ رِجلَه بإزاء المصاحف حتى تكون رجلُهُ مُسامِتَةً للمصاحف لا بل المصاحف بمكان مرتفع ورجله مدَّها إلى أسفل هذا ليس حرامًا. هذا أىْ تحريمُ مدّ الرجلِ إلى القبلة الذِى يقع من بعض الناس هذا غُلُوٌّ ليس مِن تعظيم القبلة التِى جعلَ الله تبارك وتعالى قِبلةً للصلاة، والدليل على ذلك أن الذِى يعجِز عن القيام إلى الصلاة بالقيام والجلوس، الذِى يعجز عن الصلاة قائمًا وجالِسًا يمدُّ رجليه إلى القبلة ويرفعُ رأسه بشىءٍ حتى يكون استقبل القبلة، وهذا المدُّ مَدُّ الرجلين فِى الصلاة لهذا الرجُل الذِى لا يستطيع أن يصلّىَ قائمًا ولا قاعدًا إلا وهو مستلقٍ على قفاه فهذا مأمورٌ به شرعًا فلو كان فِى ذلك كراهةٌ لم يأمر الله تبارك وتعالى عبادَهُ أن يفعلوا ذلك.

ومن الغلو العجيب الذِى هو من الكفر الصريح ما حصل فِى بعض بلاد الحبشة أن رجلًا كان متفانِيًا فِى حب سيدنا عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه فسوَّلَت

له نفسه أن يقدم عملًا يَحْتَرِمُ به سيدنا عبد القادر بعمل لم يَسبق له مثيل فقال لَأُقَرّبَنَّ نفسِى له فذبح نفسه على زعمه يُعَظّمُ الجيلانىَّ تعظيمًا ما سبقَ له نظيرٌ قتلَ نفسهُ.

كذلك حصل فِى الحبشة أنه كان هناك ولىٌّ مِن أولياء الله حصلت له كراماتٌ عجيبَة حتى إنه أحيا ميتًا وأظهر أعمالًا عجيبةً غيرَ ذلك فَفُتِنَ به كثيرٌ من الجهال فعملوا له قصيدة بلغتهم بلغة الحبشة يصفونه بها بهذه القصيدة أنه مِثْلُ الله، هذه القصيدة هم يردّدونها شِعْرًا بلغتهم عَمِلُوها شِعْرًا بلغتهم يقولون إنه مِثلُ الله لأنه أحيا ميتًا وأظهر أعمالًا عجيبة وهو من أولياء الله الكاملين وهو ليس معهم فِى هذا الذنب ليس على عِلم منه عملوا هذه القصيدة بل بعدما مات هو بعدما مات هذا الشيخ عملوا له هذه القصيدة. كانت قصة إحياء الميت لهذا الولىّ أنه كان له مريد متفانٍ فِى محبته وخدمته فتوفاه الله تعالى والشيخ كان غائبًا إلى ناحيةٍ ثم جهزوه للدفن ثم جاء الشيخ فقيل له تُوُفِّىَ فلان وها هو ذا جهزناه للدفن، فجاء الشيخ فتضرع إلى الله فأحياه الله تعالى. هذا سببُ موته أن بعض الكفار عَمِلُوا غارةً على أهل هذه البلدة التِى فيها هذا المريدُ فقتلوا أشخاصًا ومِن جملة مَن قتلوهم هذا خادم الشيخ ذبحوه ذبحًا فأحياه الله لما توجه الشيخ إلى الله تعالى استجاب الله تعالى دعوته فأحياه الله تعالى فهؤلاء رَأَوْا هذه العجيبةَ الكبيرةَ وغيرَها مِن العجائب من هذا الشيخ فَغَلَوْا فِى محبته، وهؤلاء لا عذر لهم عند الله،

العبدُ عبدٌ مهما ظهرت منه كرامات وعجائب لا يجوز أن يوصف بصفة الربوبية لا يجوز أن يقال عنه إنه مثل الله لكن المشايخ أهل الله الكاملين ما عليهم مِن ذنبِ هؤلاء شيء لأنهم ما رضُوا ولا أمروهم إنما الذنب على هؤلاء الذين يَغْلُونَ فِى محبتهم فيخرجون من شريعة الله، الذنبُ عليهم ليس على أولئك المشايخ أما الشيخ الذِى يشير للناس أن يطيعوه طاعةً عمياء فِى ما أحلَّ اللهُ وفِى ما حرَّم الله وفِى كل شَىْءٍ فهذا يحمِل وِزره وأوزارَهم لأنه تسبَّب فيها أما مَن لم يتسبب لغيره فِى العمل بمعصية أو كفرية فهذا لا يَحْمِلُ ذنوبَ الذين عصَوُا الله تعالى، قال الله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1]. انتَهَى.

والله تعالى أعلم.



(١) سورة الأنعام/الآية (١٦٤).

**الدرس السادس والثلاثون**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# بيان أن موافقة العمل للشرع يكون بتعلم علم الدين

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى بيروت فِى العشر الأول من القرن الخامس عشر من الهجرة الموافق للثمانينات من القرن العشرين بالتأريخ الرومِىّ وهو فِى بيان أن موافقة العمل للشرع يكون بتعلم علم الدين وفِى الكلام على بعض تفاصيل الزكاة. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم.

أما بعد فإن أحسنَ الحديث كتاب الله وأحسنَ الهَدْىِ هَدْىُ محمد ﷺ قال الله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[1] علامة حب الله تعالى هو اتّباع الرسولِ ﷺ فمن أحبه اتبع شريعته اتبع حديثه الفعلِىَّ والقولِىَّ فما جاء عن رسول الله ﷺ يأتى به من غير تحريف ولا تبديل وما جاء عنه ﷺ من الأفعال

(١) سورة ءال عمران/الآية (٣١).

التِى هِىَ بيان لشرعه ﷺ لَزِمَ اتباعُهُ فيها فمن ادعى محبته ﷺ وخالف ما جاء عنه من التعاليم فهو غير مقبول عند الله. روينا فِى الصحيح صحيح البخارِىّ أنه ﷺ قال **صَلُّوا كما رأيتمونِى أُصَلّى**[1] اهـ وهكذا يجب اتباعه ﷺ فِى أمر الزكاة فِى أمر الصيام فِى أمر الحج وغيرِ ذلك. فمن زعم أنه يفعل عبادة من العبادات وخالف رسولَ الله ﷺ أو تَرَكَ تعاليمه فكانت تلك العبادة على خلاف ما جاء عن رسول الله ﷺ فهو مردود لا يقبله الله ولا ينفعه ظَنُّهُ أنه عمل بالدين لأن الدين ليس بأهواء الناس الدينُ هو ما شرعه الله على لسان نبيه محمد ﷺ من وافق ذلك الشرعَ كان عمله مقبولًا زاكيًا عند الله ومن خالف رُدَّ عليه مهما طال تعبُهُ فليستِ العبرة بكثرة التعب والمشقة بل العبرة بموافقة الرسول ﷺ فمَن عرف ما كان فِى شرع رسول الله ﷺ فعمِل على موافقة ذلك الشرع بغير تحريف ولا تبديل فله عند الله تعالى جزاءُ عمله فلا يغرنَّكم صورةُ الأعمال لا تغرنكم صورةُ الصلاة لا تغرنكم صورةُ الزكاة لا تغرنكم صورةُ الصيام لا تغرنكم صورة الحج ليس العبرةُ بصور الأعمال إنما العبرة بموافقة الأعمال شريعة الله فما أكثرَ الأعمالَ المردودةَ عند الله بعدم موافقة شريعة رسول الله ﷺ. هذا الحج كثير من الناس يحجُّون صورةً ولكن ليس لهم عند الله حج

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه، ذكر البيان بأن قوله ﷺ «فأذنا وأقيما» أراد به أحدهما.

وذلك لعدم موافقتهم للحج الذِى جاء به رسول الله ﷺ فهؤلاء مهما تحملوا من المشقات والأتعاب فِى حَجّهم ليس لهم عند الله تعالى حج، وتلك الصلاة كثيرٌ من الناس يصلّون يأتون بصورة الصلاة لكنها غيرُ صحيحة لعدم موافقتها ما جاء عن رسول الله ﷺ، كذلك الصيام يصومون وليس صيامهم عند الله تعالى صحيحًا فليس لهم بصيامهم أجر وكذلك الزكاةُ كثير من الناس يؤدون زكاة أموالهم صورة أى شكلًا وهِىَ فِى الحقيقة فاسدة غير مقبولة لمخالفة شرع رسول الله ﷺ، كثير من الناس يعطون بنية الزكاة مِن أموالهم للجمعيات من غير أن يوكّلوا أفراد هذه الجمعية بتوزيع هذا المال على مستحقِى الزكاة إنما يتركون هذا المال إليهم من غير أن يوكلوهم فِى صرفه لمن يستحق الزكاة فِى شرع الله ثم هذه الجمعيات تأخذ هذه الأموال فتتصرف فيها تصرفًا مخالفًا لشرع الله، كذلك كثير من الناس يدفعون بنية الزكاة قِسْطًا من أموالهم لبناء الجامع فهذا أيضًا غيرُ مقبول حتى إنّى سمعت أن رجلًا دفع من ماله قسطًا لنصرانىّ اسمه جورج أو أبو جورج قال أعطوه مِن الزكاة من زكاتِى، وأمثال هذا من الأعمال الضائعة التِى ليس لها عند الله وزنٌ كثيرٌ، هِىَ عند الله غير مقبولة بل عليهم فيها ذنبٌ، بدلَ أن يكسبوا الثواب يكسبون المعاصِى، وهكذا من صلى صلاة لم يوافق شرع رسول الله ﷺ فيها أو دفع من ماله بنية الزكاة على ما يخالف شرع رسول الله ﷺ فهو فاسد ليس له عند الله ثواب بل لا تبرأُ ذمتُهُ بل

يؤاخذ يوم القيامة لإضاعة ذلك العمل لإضاعة ذلك المال حيث إنه وضع ذلك المال بنية الزكاة على خلاف ما شرع الله.

والدليل الذِى يبيّن لكم أن الزكاة التِى تُعطى إلى الجمعيات من غير توكيل لأصحاب الجمعيات لتوزيع هذا المال على مَن يستحق الزكاة إنما يدفعون إليهم وهم يوهمونهم أنها مساعدة فيتصرف أصحاب الجمعيات على حسب أهوائهم على حسب إرادتهم، الدليلُ على عدم صحة ذلك وأن الزكاة لا يجوز دفعها لكل عمل خيرِىّ كما يظن كثير من الناس أن رسول الله ﷺ جاءه رجلان جَلْدان أى قويان فِى أجسامهما يطلبان منه الزكاة فَصَوَّبَ فيهما النظرَ صَعَّدَ أىْ نظر وتأمل فِى أجسامهما لم ير بهما شيئًا من ءاثار الضعف فِى صحتهما ثم قال لهما **إنه لا حق فيها** أى فِى الزكاة **لغنى ولا لِقَوِىّ مكتسب**[1] اهـ قال لهما حتَّى يُبَيِّنَ لهما الحكمَ الشرعىَّ **إنه لا حق فيها** أى فِى الزكاة **لغنىّ** أى لمن يملك ما يكفيه بحسب حاجاته الأصلية **ولا لقويٍّ مكتسب** أى لمن يستطيع أن يعمل عملًا يكفيه بعد أن أعلمهما الحكم الشرعى وَكَلَ سرائرَهما إلى الله تعالى لكنه خوفَّهما حتى لا يأخُذَا من مال الزكاة التِى يعطيهما رسول الله ﷺ إن لم يكونا بالصفة التِى يُسْتَحَقُّ بها الزكاة كأنه قال لهما إنَّ الزكاة لا حقَّ فيها لمن كان غنيًّا أىْ من كان عنده مال يكفيه من المِلك

(١) رواهُ أو داودَ فِى سننه بابُ مَن يعطَى من الصَّدقة وحد الغنى.

ولا لمن كان قويًّا على الكسبِ والعملِ الذِى يكفيه أى وواجدًا له فإذا كنتما كذلك فإنكما تأخذان هذا المال الذِى أعطيكما حرامًا وإن لم تكونا من أهل هذه أىْ صفة الغِنَى أىِ الكفاية من المال أو الحصولِ على عمل يكفيكما فإنكما تأخذانِها بحقّ، هو نصحهما، بحسب الظاهر ما رأى فيهما علة لكن بما أنهما تعرَّضَا فطلبا قال فِى نفسه لعلهما صادقان فأعطاهما. هذا الحديث صحيح الإسناد رواه أبو داود والبيهقىُّ[١] وغيرهما خلقٌ كثير من أهل الحديث فلو كانتِ الزكاة يجوز دفعها لبناء المساجد التِى يشترك فيها الغنىُّ والفقير للصلاة فيها أى لكل عمل خيرىّ يشترك فيه الغنىُّ والفقيرُ لم يقل رسول الله ﷺ **إنه لا حق فيها لغنىّ ولا لقوىّ مكتسب**[٢] اهـ بل كان أعطاهما من غير أن يقول لهما هذا القولَ، فقد تبيَّن أن الزكاة لا يجوز دفعُها لكل مشروع خيرىّ وإنما تُدفع للثمانية الذين ذكرهم الله فِى القرءان، ذكر الله تعالى فِى سورة التوبة ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[٣] فِى سبيل الله هذه الكلمةُ كثير من الناس زاغوا عن فهمها ففهموها على غير وجهها، الله تعالى ذكر الفقراء والمساكين والعاملين على الزكاة أىِ الذين

(١) رواه البيهقى فى سننه الكبرى كتابُ قسم الصدقات باب الفقير أو المسكين له كسب أو حرفة تغنيه وعياله.

(٢) رواهُ أو داودَ فِى سننه بابُ مَن يعطَى من الصَّدقة وحد الغنى.

(٣) سورة التوبة/ الآية (٦٠).

يبعثهم الإمام أو الخليفة أو سلطان المسلمين لِيَجْبُوا الزكوات من أهل الأموال حتى توزَّع على المستحقين فإنَّ هؤلاء الموظفين فِى الزكاة أيضًا لهم حقٌّ فِى الزكاة مقابل تعبهم لأنهم يدورون على أصحاب الأموال ويجمعونها ثم يأتون بها إلى بيت المال ثم يوزعها وكيلُ بيت المال الذِى عيَّنه الخليفة أو السلطان على حسب شريعة الله، وذكر الله تعالى أن الصدقات أى الزكوات للمؤلفة قلوبهم أىِ الكفار الذين أسلموا وفِى نياتهم ضعف ما تآلفوا مع المسلمين يحتاجون إلى أن يتألَّفوا حتى تزول عنهم الوحشة، كذلك الرقاب، الرقاب اليوم كالمعدومين وهم العبيد المملوكون الذين يُشارِطهم أسيادهم على أنهم إذا دفعوا مالًا يكونون أحرارًا هؤلاء أيضًا صِنْفٌ جعل الله لهم حقًّا فِى مال الزكاة، اليوم هؤلاء كالمعدومين لأن الاسترقاق الشرعىَّ ألغته أوروبة. أوروبة ألغت الاسترقاقَ الشرعىَّ الذِى كان فِى زمانِ إبراهيم عليه السلام وما بعده وأوحَى الله تعالى إلى أنبيائه بصحته. والغارمون كذلك الذين ركبتهم الديون الذين عليهم ديون وليس عندهم ما يوفّون به هذه الديون. كذلك ذكر ابن السبيل، من هو ابن السبيل، المسافر الذِى ليس معه ما يوصله إلى مقصده يُعْطَى ما يوصله إلى مقصده. ذكر قبل ابن السبيل فِى سبيل الله هنا مزلةُ أقدامٍ كثيرٍ من الناس هنا حرفوا شريعة الله لما سمعوا كلمةَ فِى سبيل الله ظنوا أن معناها كلُّ عمل خيرِىّ لذا أدخلوا بناء الجوامع وأدخلوا بناء المدارس وأدخلوا الجمعيات وأدخلوا

المستشفيات وأدخلوا غير ذلك من كل عمل هو فيه خيرٌ نفعٌ للناس كلُّ ذلك أدخلوه تحت قول الله تعالى ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ولم يَدْرُوا أن الذِى أُنزل عليه القرءان وهو أعلم الناس بمعانِى القرءان وهو رسول الله ﷺ بيّن أنه ليس المراد فِى ذلك كلَّ مشروع خيرىّ، بيَّن أن بناء المساجد لا يدخل ونحوُ ذلك من الأعمال الخيرية لا تدخل، بيّن بحديثه هذا وبحديث ءاخر صحيح أيضًا، هؤلاء قلةُ معرفتهم بعلم الحديث يورّطهم بالانفراد عن شريعة الله، يوجد رجل ألَّف رسالة فِى الزكاة يفتِى فيها هنا فِى لبنان يفتِى فيها بأنه يجوز دفع الزكاة لبناء الجوامع ويقول عندِى أىْ يجوز عندِى وهو لا يحفظ حديثًا واحدًا بإسناده، الذين يقولون عندِى هم الذين حفظوا عشرات الألوف من الأحاديث النبوية مع أسانيدها مع معرفة أحوال رواتها مع الاطلاع على ما قاله الأئمة المجتهدون قبله مع الإحاطة بذلك مع القريحة الوَقَّادة التِى تتوقد ذكاء كهؤلاء المشاهير الأئمةِ الأربعة وغيرِهم أولئك يصح لهم أن يقولوا ليس هذا الذِى لا يحفظ حديثًا واحدًا بإسناده يقول عندِى. ثم إن الحكم بالزكاة أنه لازم وفرض ظاهرٌ حكمُهُ بين المسلمين أنه فرضٌ مِن فرائض الدين فمن أنكر فرضيَّةَ الزكاة فقد كفر كالذِى ينكر فرضية الصلوات الخمس والذِى ينكر فرضية صيام رمضان والذِى ينكر الحج وجوبَ الحج على المستطيع والذِى ينكر وجوب الجهاد على المستطيع وغير ذلك من أمور الدين الظاهرة التِى يعرفها العالم والجاهل من

أنكر شيئًا من ذلك كفر كذلك الذِى ينكر حرمة شرب الخمر فهو كافر كذلك الذِى ينكر حرمة الزنا فهو كافر أما الذِى لا ينكر حكم الشرع لا ينكر أن الصلوات الخمس فرض لكنه تكاسل ولا يؤديها والذِى يبخل عن أن يدفع ماله زكاة مع الإيمان بأن الزكاة فرض فِى زمن الرسول ﷺ وفيما بعد زمن الرسول فهذا ليس بكافر إنما هو عاصٍ، هؤلاء لو كانوا يفهمون الدين كانوا عرفوا أن الذِى يؤمن بفرضية الزكاة ويبخل بدفعها خيرٌ من الذِى يدفعها ولا يعتبرها فرضًا كالذِى يشرب الخمرة ويحرمها لا يقول عنها ليست حرامًا إنما هِىَ مكروهة بل يحرمها لكنه يشربها فإنه خيرٌ مِنَ الذِى لا يشربها وهو لا يحرمها، هذا الذِى لا يشربها ولكن لا يحرمها كفر كذَّب شريعة الله كذَّب دين الله وفِى شبه هذه المسألة قال بعض الذين كانوا مُبْتَلَيْنَ بالخمر شعرًا

سأشربها وأزعمها حرامًا
وأرجو عفو ربى ذى امتنان.

ثم قال عن ذاك الذِى لا يحرمها

ويشربها ويزعمها حلالًا
وتلك على الشقىّ خطيئتان.

يقول ذلك ارتكب جريمتين أما أنا ارتكبت جريمة واحدة يقول أنا أُحرمها وأَشربُها جريمتِى واحدة أما ذلك يشربها ولا يحرمها فالجريمة جريمتان. الذِى يشرب ويحرمها أى يعتقد أنها حرام أقل شرًّا من الذِى لا يحرمها ولا يشربها.

وكذلك الذِى يبخل بدفع الزكاة من ماله وهو يؤمن بأن الزكاة فرضٌ حقٌّ من حقوق الله فِى أموال المسلمين أقلُّ شرًّا من الذِى يدفعها ولا يعتبرها فرضًا، فهذه المسئلة شبيهةُ مسألةِ مانع الزكاة الذِى يمنع دفعها بخلًا بالمال لا إنكارًا لفرضيتها.

تلخص أنَّ من أنكر أمرًا من الحكم الشرعىّ ظاهرًا بين المسلمين أنه يكفر كالذِى ينكر فرضية الصلوات الخمس أو فرضية الزكاة أو فرضية صيام رمضان أو ينكر حرمة شرب الخمر وما أشبه ذلك من كلِّ أمرٍ ظاهرٍ حكمُهُ فِى شرع الله أنه فرض أو حرام فمن خالف ذلك فهو كافر مرتد وأما من ارتكب هذه المحرماتِ الظاهرةَ ويعتقد تحريمها فإنما هو مسلم عاصٍ، الذِى يترك فرضًا من هذه الفرائض الظاهرة كالصلوات الخمس والزكاة وصيام رمضان مع العلم والإيمان والتصديق بفرضيتها فهو مسلم عاصٍ لا يقال كافر ولا مشرك إنما المشرك هو الذِى يعبد غير الله كالذِى يعبد الوثن على اختلاف أنواعه أو يعبد الشمس أو القمر يعترف لفظًا بوجود الله تعالى ويعبد غير الله كهؤلاء النصارى، يقولون لفظًا الله موجود لكنهم أشركوا بالله بعبادتهم للمسيح عيسى وكان فِى اليهود أيضًا أناس يعترفون بوجود الله لكنهم يعبدون عُزَيْرًا كانوا يقولون عنه ابن الله مثلما قالت النصارى فِى المسيح، وكذلك الذين عبدوا الحاكم بأمر الله هؤلاء أيضًا يعترفون لفظًا بوجود الله يقولون الله موجود لكنه حَلَّ فِى الحاكم بأمر الله يقولون دخل فِى الحاكم بأمر

الله فصار هو الحاكمَ بأمر الله هذا هو الإشراك ليس الإشراك التَّمَنُّعَ من أداء فرض من الفرائض هذا ليس إشراكًا فمن سماه إشراكًا فهو جاهل باللغة جاهل بالفقه الإسلامى لا يقال أشرك إلا لمن عبد غير الله، هذا الذِى يؤمن بالله ورسوله ويؤمن بأن الزكاة فرض كيف يسمَّى مشركًا، من سمَّاه مشركًا خالف اللغة وخالف الشريعة ولو سمعه أبو جهل لضحك منه لأن أبا جهل خبير بأساليب اللغة فصيحٌ من الفصحاء يعرف معانِيَ المفردات ويعرف معانِيَ التراكيب.

المسلم الذِى يؤمن بالله ورسوله يؤمن بالله وحده ويصدق الرسول ﷺ فِى جميع ما جاء به لكن نفسه تبخل بدفع الزكاة وإخراجها من ماله يبخل بخلًا فقط هذا لا يسمَّى مشركًا لا من جهة اللغة ولا من جهة الشرع.

فالذِى يسعى لأخذ الزكوات من أجل الجمعيات على غير وجه شرعىّ ومن غير أن يكون بنية توزيع هذا المال على المستحقين بل بنية خدمة مركز الجمعية وتهيئة الأدوات ونحو ذلك فإنه عصى الله تعالى وأضاع زكوات الناس فعليه أن يُبَرِّئَ نفسه، يرجع إلى أصحاب الأموال الذين أخذ منهم وهم نيتهم أن يخرجوا ذلك زكاةً فيتخارج معهم قبل الآخرة قبل يوم القيامة يتخارج معهم يرد عليهم تلك الأموال التِى أضاعها عليهم أو يُعْلِمُهم يقول لهم أنا أفسدتُ عليكم زكاتكم صرفتُها فِى غير مصرفها فسامحونِى. لقد ضلَّ سَعْىُ هذه الجمعيات التِى لا تتعلم الفقه ثم تسعَى

باسم أن تخدم المسلمين سعيًا فاسدًا مخالفًا لشرع الله فلتنظر ولتحاسب نفسها قبل الآخرة قبل القبر قبل أن يصيروا من أهل البرزخ فإنهم استحقوا الويل لأنهم تصرفوا فِى زكوات الناس فِى غير مصارفها فالذِى يأخذ مال الزكاة وهو ليس أهلًا لها لنفسه أو يأخذها ويصرفها فِى غير مصارفها كل أولئك يستحقون الويل فِى الآخرة والسبب فِى ذلك جهلهم بحقيقة الحكم الشرعى، لو كانوا يعلمون حقيقة الحكم الشرعى ما تورطوا، هم يَحْسَبُونَ أنهم يُحْسِنونَ صُنْعًا هم يظنون أنهم خدموا الإسلام وأنهم أنقذوا الناس يظنون أنقذوا كثيرًا من الضرورات وما أحسنوا العمل، هؤلاء يُشبهون فِى عملهم الذِى عملوه الذين قال الله فيهم ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[1] أشبهوا أولئك وإن كان أولئك كافرين خارجين عن الإسلام لكن هؤلاء أشبهوا أولئك لأنهم عملوا عملًا يظنون أنهم صاروا به مصلحين من أهل الخيرات وهم إنما جمعوا معاصِىَ وأوزارًا. انتَهَى.

وسبحان الله والحمد لله رب العالمين.

والله تعالى أعلم.

(١) سورة الكهف/الآية (١٠٣-١٠٤).

**الدرس السابع والثلاثون**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# بيان أهمية تعلم أحكام الطهارة ومعنى الطهور شطر الإيمان

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى على جماعةٍ من النساء فِى سُوَيْسِرَة وهو فِى بيان أهمية تعلم أحكام الطهارة ومعنى الطهور شطر الإيمان. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد فقد قال رسول الله ﷺ **الطُّهور شَطْرُ الإيمان**[1] اهـ أى الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر والنجاسةِ شطرُ الإيمان أىْ نصفه لأن الطهارة أمر مهم فِى الدين ليس كما يقول الجهلة الذين يُعَيِّرُونَ مَن يشتغل بأحكام الاستنجاء من البول والغائط والطهارةِ من الحدث الأكبر والأصغر يرون الاعتناء بهذا أمرًا ليس فيه فائدةٌ، هؤلاء ما عرفوا الدين ما عرفوا دين

(١) رَواهُ مُسْلمٌ فِى صَحِيحِه بَابُ فَضْل الْوُضُوء.

الإسلام، الدينُ هو ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ فما حسَّنه الله فهو حسن وما قبَّحه فهو قبيح.

والأولى بالطهارة منه مِن بين النجاسات هو البول، أولى النجاسات بالابتعاد منه والتحرّز منه البول وإن كان بحسب نظر الناس الغائط أشدَّ لكنه فِى شرع الله البول أشد عذابًا لمن لا يحترز منه من سائر النجاسات لذلك قال رسول الله ﷺ **اسْتَنْزِهُوا مِن البول فإن عامَّةَ عذاب القبر منه**[١] اهـ أى أكثر عذاب القبر من البول وقد كان شرعُ بَنِى إسرائيل أيِ الشرعُ الذِى أنزله الله لنبىّ الله إسرائيل[٢] أنه إذا أصاب البول ثوبَ أحدهم لا يُطَهِّرُهُ الماء إلا أن يُقطع يُقرض بالمقراض هذا كان عندهم فرضٌ، أما شريعة محمد ﷺ فهِىَ أسهل الشرائع فالماء يكفِى، إذا صُبَّ على ما أصابه البول الماءُ بحيث يزول رائحةُ البول وطعمُه ولونه كَفَى لتطهير ذلك الموضع من الثوب. الحمد لله الذِى جعل شرع محمد ﷺ أسهلَ الشرائع.

كان بنو إسرائيل لهم أنبياءُ كثيرٌ ءاخرهم عيسى عليه السلام كان أَمْرُ البول عندهم أشدَّ مما هو عندنا، الله تعالى أنزل على أولئك الأنبياء أنَّ البول لا يطهر إلا بالقطع إلا بالقَرْضِ بالمقراض كما أَنَّهُ أَنْزَلَ عليهم أن الصلاة لا تصح إلا بمكان مخصوص، الناس الذين

(١) رَواهُ الدارقطنِىّ فِى سننه باب حكم الماء إذا لاقته النجاسة.
(٢) أى يعقوب عليه الصلاة والسلام.

كانوا يتبعون عيسى المسيح كانوا يصلون فِى البِيَعِ ما كانوا يصلُّون مثلنا فِى متاجرهم وفِى الفضاء وفِى السوق ما كان رخصةً لهم أن يصلوا الصلاة فِى أىّ مكانٍ كان أما شريعة محمد صلى الله عليه وعلى جميع إخوانه النبيين وسلم فالله جعلها سَمْحَةً سهلةً، أمة محمد يجوز لهم أن يصلوا الصلوات الخمس فِى متاجرهم وفِى البَرّيَّةِ والسوق ولو صليت فِى الشارع أيضًا تصح الصلاة لكنها فِى وسطه مكروهة أما إذا إنسانٌ انحاز عن وسط الشارع وصلى فليس فِى هذه الصلاة كراهة.

وقد كان فِى أنبياء بنى إسرائيل الصلاةُ والوضوءُ حتى فِى شريعة إبراهيم كان الوضوء والصلاة، لم يُنزل الله تعالى وحيًا على نبيٍّ من الأنبياء إلا وأدخل فيه الصلاة، ءَادَمُ عليه السلام الذِى هو أول البشر كان يصلِّى ثم أولاده كذلك هو علَّمهم، كانوا يصلون، ثم الأنبياء الذين جاؤوا بعده كانوا يصلون ويأمرون أممهم بالصلاة، إنما اليهود والنصارَى بعد زمان من وفاة موسى والأنبياءِ الذين جاؤوا بعده بزمان أى حين جاء المسيح عليه السلام اليهود غَيَّرَتْ شريعة موسى لأنهم ما ءَامَنُوا بالمسيح أنه نبىٌّ بل كذبوه وقالوا عنه ساحر ما اعترفوا بنبوته ثم أمة المسيح كانوا على الإسلام مِائَتَىْ سنةٍ كانوا يصلون ويصومون صيامًا كصيامنا لا يأكلون ولا يشربون شيئًا فِى وقت الصيام كانوا يتجنبون الشىءَ الذِى فيه الدَّسَم والشَّىْءَ الذِى ليس فيه الدسم والشىءَ المائعَ السائلَ والشىءَ الجامدَ كانوا يتجنبون

كل ذلك إلى أن يَصِلُوا إلى وقت إفطارهم ثم حرّف لهم علماؤهم دين المسيح، بعد مِائَتَيْ سنة حَرَّفوا لهم ثم ازداد التحريف كلما مضى زمن يزيدون التحريف حتى لم يتركوا من دين المسيح شيئًا بل استبدلوا بالتوحيد عبادةَ المسيح عيسى وعبادةَ أمه وعبادةَ الرهبان لأنهم كانوا يعتبرون ما أحلَّ لهم الراهبُ مُحـرِّفًا شرعَ عيسى حقًّا كانوا يعتقدون أنَّ للراهب حقَّ التغيير والتصرفِ والتدبيرِ فِى الدين فهم الذين قالوا لهم كُلُوا كذا وكذا واجتنبوا كذا وكذا وجعلوا لهم هذا بدل الصيامِ الحقيقىّ الذِى كان المسيح علَّمه، والوضوء حذفوهَ تركوا الوضوء بالمرة إنما يدخلون كنائسهم وينحنون انحناءً ليس الصلاةَ التِى كانت أتباعُ المسيح عليه السلام يؤدُّونها إنما يسمونها صلاةً وليس فيها إلا شىءٌ من الانحناء وبعضُ الأعمال التِى يعملونها بأبدانهم. كان فِى أمة المسيح رجل كان يعمل تجارةً تارة يربح وتارة يخسر فقال لأعمَلَنَّ تجارةً لا خسارة فيها فترك البلد، ترك بيته الذِى كان يسكنه وبَنَى صومعة أى حجرة صغيرة مُحَدَّبَةَ الرأس يبيت فيها ويعبد الله، يُصلِّى فيها فالناسُ أُعجبوا به كان اسمه جُرَيْجًا قالوا جريج صار مجتهدًا فِى العبادة فتعرضَتْ بَغِىٌّ من بَغَايَا بنِى إسرائيل أى زانيةٌ قالت إن شئتم أفتنه، لَأَفْتِنَنَّهُ، فرءَاها هو لكن أعرض عنها لم يَنْفَتِنْ بها ثم صادفتْ راعيًا يرعى الغنم فِى تلك الأرض فواقعها فَحَمَلَتْ منه ثم لما وضعتْ حَمْلَها قالوا لها ممن هذا الحمل قالت مِن جريج فصدقوا كلامها من

غير أن يتبينوا الأمر فذهبوا ومعهم الـمَسَاحِى فهدموا صومعته وأخذوه وذهبوا به يَجُرُّونَهُ وضعوا فِى عنقه حبلًا يجرونه ويسخرون به ويسبُّونه فقال لهم دَعُونِى حتى أصلِّىَ ركعتين فتوضأ وصلى ركعتين ثم وضع إصبعَهُ فِى بطن هذا المولود فقال له من أبوك يا غلام فقال الغلام أبِى الراعِى فلما رأوا هذه العجيبة هذه الكرامة التِى تدل على أنه ولىٌّ من أولياء الله أىْ مؤمن كامل صاروا يتمسحون به ويقبّلونه تبرُّكًا به وقالوا له نَبْنِى لك صومعتك من ذهب فقال لا أريد ذلك أعيدوها من طين كما كانت. هذه القصة فيها دليل على أن أمة المسيح عليه السلام كان عندهم وضوء كما نحن نتوضأ وكان عندهم صلاة إنما الفرق فِى عدد الصلوات المفروضة، نحن أمة محمد ﷺ فُرِضَت علينا خمس صلوات فِى اليوم والليلة وأولئك فُرضت عليهم صلاتان، فِى هذه الحادثة العجيبة دليلٌ أنَّ من كان متبعًا للمسيح متبعًا شريعتَهُ من غير تحريف ولا تبديل وكان مجتهدًا فِى اتباع المسيح كامل الاجتهاد كامل الإيمان فهو ولِىٌّ من أولياء الله كما يوجد من أمة محمد ﷺ أولياء كثير لكن أولياء أمة محمد أكثرُ عددًا بكثير من غيرهم.

فيجب العناية بأحكام الطهارة ولا ينبغِى للمسلم أن يستحِىَ مِن تَعَلُّم أحكام الطهارة ولا سيما أحكام الحدث الأكبر واَلحدث الأصغر، كثيرٌ فِى الرجال الذين يمنعهم الاستحياءُ مِن تعلم أحكام الطهارة من الجنابة بأقسامها أو تعلم أحكام الطهارة من الحدث

الأصغر هؤلاء إذا ماتوا ولم يتعلموا إذا ماتوا بلا توبة يستحقون عذابًا شديدًا فِى الآخرة وكذلك النساءُ اللَّاتِى يَسْتَحِين يمنعهن الاستحياءُ عن تعلم أحكام الحدث الأكبر والحدث الأصغر هؤلاء أيضًا يستحققن عذاب الله فِى القبر وفِى الآخرة. الاستحياء لا ينبغِى فِى تعلم أمور الدين إنما الاستحياء الذِى يحبه الله أن يَكُفَّ الإنسان عن الرذالات أى الأعمال الدنيئة وكذلك الاستحياء بترك مطالبة الشخص بحقه كالدين الذِى له على الناس يسكت استحياءً هذا شىءٌ يحبه الله أما الاستحياء عن تعلّم أمور الدين وتطبيقها فِى ما يتعلق بالحدث الأكبر فهذا خُسران كبير. جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله هل على المرأة مِن غُسْلٍ إذا هِىَ احتلمت قال **نعم إذا رأت الماء**[١] اهـ والمراد بالماء هو المنىُّ معناه يجب على المرأة أن تغتسل أى تغسل كُلَّ جسدها إذا رأت المنىَّ لو لم تره بعينها لكن علمت بالتدفق أو اللذة بالخروج أىْ أحست بذلك مع بروزه[٢] يكون حكمها كأنها قد رأته بالعين هذا حكمٌ مِن أحكام الطهارة من الحدث الأكبر.

كذلك من المهم معرفة أحكام الحيض لأن الحيض مسائله متشعبة تختلف حالاته فيجب معرفة تلك الأحكام إما بطريق الدراسة وإما بطريق السؤال الشفوِىّ

(١) رواه البخارىّ فِى صحيحه، باب إذا احتلمت المرأة ورواه مسلم فِى صحيحه، باب وجوب الغسل على المرأة.

(٢) أى بروزه إلى ظاهر فرج البكر ووصوله إلى مدخل الذكر من الثيّب.

لأهل المعرفة حتى لو لم تجد المرأة فِى بلدها من يعرف هذه الأحكام يجب عليها أن تسافر، ألا تسافر هذه الأيام البنات الأبكار لتعلم علوم الدنيا إلى بلاد بعيدة لِمَا يطمعن مِن بحبوحة العيش مَع أنه لا تَضمن لهن هذه الدراساتُ بُحبوحة العيش، ما يُدْرِى هذه البنت متى يَحُلّ بها أجلُها متى يدركها أجلُها قبل أن تنتهِىَ من هذه الدراسة أو بعد أن تنتهِىَ منها وقبل أن تصل إلى أملها مِن جمع المال الذِى تعيش به عيشة رغدةً عيشة واسعة ما يدريها لكن بما أن النفس تشتهِى جمعَ المال وأن تكون متنعمة تتحمل هذه المشقة وتعيش فِى هذا الأمل الذِى قد تبلغه وقد لا تبلغه بموتٍ أو غير ذلك فأما تعلُّمُ علم الدين من أحكام الطهارة وغير ذلك ففيه ثوابٌ مضمَونٌ مَن فَعَلَهُ لوجه الله تعالى فثوابه مضمون لأن الله تبارك وتعالى وعد - وهو لا يخلف فِى الميعاد - مَن عمل حسنة أنَّ له عشرَةَ أمثالها وقد يُكتب له بحسنة واحدة سبعُمائة حسنة وقد يكتب له الحسنة الواحدة إلى ألف ألف وإلى ألفى ألف وإلى أكثرَ مِن ذلك هذا الربحُ المضمونُ أما هذه علوم الدنيا فربحها غير مضمون ومع ذلك فالذِى يتعلم علومَ الدنيا من غير أن يُضَيّعَ علمَ الدين الذِى هو لا يَستغنِى عنه ويؤاخذ على تركه فِى الآخرة فلا بأس إذا حسَّن الإنسان نيته بتعلم هذه العلوم الدنيوية لِيَخْدِمَ بها الإسلام دين الإسلام لا بأس بذلك بل فيها فِى هذه الحال حسنةٌ أىْ ثوابٌ. ويشتبه على كثير منَ الناس أمرُ المنِىّ الذِى هو موجبٌ للغسل بأمر المَذْىِ فيجب

معرفة الفرق بينهما، بخروج المنِيّ أول مرة من الشخص يتعلق التكليف فيصير بذلك مكلفًا تكتب عليه الحسنات والسيئات، أما المذى فلا يرتبط به هذا الحكم. وقال الفقهاءُ الإسلاميون إن المَذْىَ فِى النساء أكثرُ منه فِى الرجال وهو شىءٌ رقيقٌ لزِجٌ يخرج عند ثوران الشهوة أى فِى ابتداء الشهوة أما الذِى يخرج فِى نهايتها فهو المنىُّ والمذىُ لا يوجب خروجه الغسل وأما المنىُّ فيوجبه. ثم الله تبارك وتعالى ذكر فِى القرءان أنه يَخْلُقُ الإنسان ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾[1] أى متدفّقٍ ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾[2] أى صلب الرجل وترائب المرأة أىْ عظام صدرها وصف كلًّا من الماءين بالتدفق ماء الرجل متدفق ومنىُّ المرأة متدفق إنما فِى اللون يختلفان منىُّ الرجل أبيضُ ثخينٌ ومنىُّ المرأة أصفرُ رقيقٌ. والمذْىُ يكثر ابتلاءُ الإنسانِ به لا سيما الشابُّ والشابة وقد نصَّ فقهاء مذهب أحمدَ بنِ حنبلٍ بالعفو عن يسيره أىْ إذا كان الشاب أو الشابة يصيبهما شىءٌ قليلٌ منَ المَذْىِ يجوز أن يصلِّىَ الشخص مِن غير أن يغسل ذلك الموضع أما إذا كثُر فإنه يجب غسله ولا يُعْفَى عنه إلا أن مذهب الإمام مالك فِى أحد قوليه أنَّ النجاسات كلها ليس شرطًا إزالتها لصحة الصلاة أىْ تصح الصلاةُ بدون إزالتها فإن كان له عذر بترك إزالة النجاسة حصل الثواب فِى صلاته وإلا فلا

(١) سورة الطارق/الآية (٦).
(٢) سورة الطارق/الآية (٧).

يحصل الثواب لكن أسقط الفرض فِى تلك الصلاة.

هذه الأمور مهمةٌ تعلُّمُها مهمٌّ جِدًّا لذلك قال الرسول ﷺ **الطهور شطر الإيمان**[١] اهـ أى نصفه ومعناه الطهارةُ جانبٌ كبيرٌ من أمور الإيمان.

فعليكُنَّ بتعلّم أمور الدين لأنه أمرٌ بالِغُ الأهمية حتى إنه يجوز للمرأة أن تذهب لمعرفة حكم من أحكام الدين التِى تلزمُها بدون إذن الزوج بدون رضاه ما عليها ذنبٌ أما إذا خرجت بدون إذنِ الزوج لأمور غير ضرورية فعليها ذنبٌ تؤاخذ به يومَ القيامة، فقهكنَّ الله بالدين. انتَهَى.

والله تعالى أعلم.



(١) رواه مسلم فِى صحيحه، باب فضل الوضوء.

**الدرس الثامن والثلاثون**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# اعتقاد الصحابة رضيَ الله عنهم

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى فِي العشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق للرابع من شباط سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف رومية وهو فِي بيان ما كان عليه اعتقاد الصحابة رضوان الله عليهم. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد فإن الله تبارك وتعالى يقول فِي كتابه العزيز ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[1] محبة الله تعالى علامتها اتباع رسول الله ﷺ واتباع الرسول ﷺ يكون بالاعتقاد والفعل والقول أما الاعتقاد فهو ما تَلَقَّى عنه ﷺ أصحابُهُ ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ فهو اعتقاد الرسول ﷺ، الاعتقاد الذِي كان عليه الصحابة هو اعتقاد الرسول ﷺ، كان اعتقاد الصحابة

(١) سورة ءال عمران/ الآية (٣١).

رضى الله عنهم أن الله تبارك وتعالى هو خالق كل شىء هو خالق الأعيان أى الأجرام وهو خالق الحركات والسكون وهو خالق النوايا والخواطر كل ذلك هو خالقه أىْ محدثه من العدم ولا أحد سواه يخلق شيئًا أى يحدث شيئًا من العدم لا فرق فِى ذلك بين الأعيان والأعمال أى حركات العباد وسكونهم ونواياهم فما مِن نيةٍ وقولٍ وعملٍ وحركةٍ وسكونٍ للعباد إلا وهِىَ مخلوقةٌ لله والله خالقها ليس العبد يخلق شيئًا منها هذا اعتقاد أصحاب رسول الله ﷺ الذِى تَلَقَّوْهُ من رسول الله ﷺ، ثم هذا هو شامل لأعمال العباد التِى هِىَ خير وأعمالِهم التِى هِىَ شرٌّ كلّ ذلك الله خالقه ليس للعباد خَلْقُ شىءٍ من ذلك إنما للعباد اكتسابهم أى توجيه إراداتهم، عندما يوجه العبد إرادته وقصده إلى شىء من الحركات والسكون يخلق الله تعالى فِى العبد تلك الحركة والسكون فلا تسمعوا لقول قائلٍ اللهُ لا يخلق الشر إنما يخلق الخير فقط هذا يوهم بعض الناس أنه ينزه الله عن القبيح لكنه شركٌ ليس تنزيهًا إنما تنزيه الله أن تُوَحِّدَهُ فِى خلق الأشياء أى أن تعتقد أنه لا أحد سوى الله يخلق شيئًا من أعمال العباد خيرها وشرها الله خالق الخير والشر وخالق الحسن والقبيح هو خالق الملائكة والإنس والجن وهو خالق البهائم بما فيها من القردة والخنازير وكذلك الحشرات وما فيها من الحيات والأشياء المؤذية كل ذلك خَلْقُه، خَلَقَهُ الله، خلقه لحكمة لم يخلق شيئًا باطلًا وما أدركنا الحكمة فيه فقد عَلِمْنَاهُ وما

لم ندرك الحكمة فيه سَلَّمْنَا الأمر فيه إلى الله فنقول الله تعالى ما خلق هذا الشيء باطلًا إنما خلقه لحكمة لو لم ندركها لو لم ندرك تلك الحكمة اللهُ تعالى خلق هذا الشيء لحكمة هو يعلمها وهذا اعتقاد جميع الأنبياء ولا يَحيد عن هذا الاعتقاد إلا هالك. كان فيما مضى من الأديان الباطلة دين يسمى المجوسية دين المجوسية هذا يُسنِد الأمور إلى شيئين يقولون الله تعالى يُوجَدُ معه شيئان أحدهما نور والآخر ظلام هذا النور والظلام عندهم قديمان أزليان النور عندهم هو يخلق الخير ويدبر الأمور الحسنة، بتدبيره توجد الأمور الحسنة أما الظلام فهو عندهم خالق الشر فالذِى يقول الخير يخلقه الله والشر ليس الله خالِقَهُ فهو كهؤلاء المجوس ليس له فِى الإسلام نصيب. ثم نحن الذين هم أتباع رسول الله ﷺ نقول الله خالق الخير والشر ولا نقول إنه يحب الشر إنما نقول الله تعالى يحب الخير وهو خالقه وهو خالق الشر ولا يحبه نقول خلق الشر وهو لا يحبه نقول خلق الخير وهو يحبه وأمر عباده به أى بالخير، أمر عباده بفعل الخير، ونقول نَهَى عباده عن فعل الشر فإن حصل هذا الشر فهو بخلق الله نقول هو يخلق الشر كما أنه يخلق الخير لكنه لا يحب الشر ولا يأمر عباده به.

ثم إن الله تبارك وتعالى وصف نفسه بأنه ليس كمثله شيء أى لا يشبه شيئًا سواه لا يشبه شيئًا من العوالم العلوية ولا يشبه شيئًا من العوالم السفلية لا يشبه ما فِى الأرض من أصناف العوالم والمخلوقات ولا يشبه

ما فِى السمٰوات من ملائكة وغير ذلك هذا اعتقاد أصحاب رسول الله ﷺ أنه لا يشبه شيئًا من العالم أى الخلائقِ عُلْوِيّهَا وسُفْلِيّهَا.

ومن اعتقاد أصحاب رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى يراه المؤمنون فِى الآخرة يرونه وهو لا يشبه شيئًا من الأشياء نحن نرى المخلوق إما فِى جهة الفوق وإما فِى جهة الأسفل وإما فِى جهة اليمين وإما فِى جهة اليسار وإما فِى جهة الأمام وإما فِى جهة الخلف نلتفت فنرى الشىء أما الله تعالى يراه عباده المؤمنون من غير هذه الكيفية يرون موجودًا لا كالموجودات لا يقاس بغيره، الشىء من المخلوقات إما أن تراه عن يمينك وإما أن تراه عن يسارك وإما أن تراه فوقك وإما أن تراه تحتك اللهُ يُرَى بغير هذه الكيفيات لأنه موجود بلا كيفية ولا مكان ونراه وهو غير متحيز بمكان ولا متكيّف بكيفية هذا اعتقاد أصحاب رسول الله ﷺ ومن قال غير ذلك فهو ضال.

هناك فريقان كلاهما ضالان، الفريق الأول هم القائلون بأنه لا يُرى فِى الآخرة كما لا يُرى فِى الدنيا هؤلاء على زعمهم إنْ قلنا إنه يُرى جعلنا له مكانًا جعلنا له مواجهة جعلناه فِى جهة من الجهات فيقولون الشىء لما نراه إما أن نراه أمامنا وإما أن نراه عن أيماننا وإما أن نراه عن يسارنا وإما أن نراه خلفنا إذا التفتنا أو نراه أسفل منا أو نراه فوقنا والله لا يجوز عليه هذه الأوصاف فكيف تقولون إنه يرى فِى الآخرة

هؤلاء ضالون نحن نقول الله يُرى فِى الآخرة يراه المؤمنون فقط من غير أن يكون متحيزًا بمكان، هو قادر على أن يُرِيَنَا ذاته الذِى لا شبيه له من غير أن يكون متحيزًا فِى جهة اليمين أو اليسار أو خلف أو فوق أو تحت، بدون هذه الصفات يُرِينَا بقدرته تعالى ذاتَهُ، ألسنا نعلم وجوده من غير أن يكون فِى مكان ومن غير أن يكون متكيّفًا بكيفية يقولون بلى نعم، المعتزلةُ يقولون ذلك، من حيث العلم تقول، لكن من حيث الرؤية تنفِى تخالِفُ نحن نقول كما أننا نعلمه من غير أن يكون متحيزًا فِى جهة من الجهات كذلك نراه فِى الآخرة من غير أن يكون متحيزًا فِى مكان أو فِى جهة أو فِى كيفية أو مُتَشَكِّلًا فِى كيفية.

ثم إن من عقائد أصحاب رسول الله ﷺ أن الله تعالى يغفر لمن يشاء من المسلمين الذنوب كلَّها إلا الكفرَ الكفرُ إن كان شركًا أى عبادةَ غيرِ الله وإن كان غيرَ ذلك كَسَبّ الله أو كَسَبّ رسوله أو ملك من ملائكته أو نبىّ من أنبيائه فهو ذنب لا يُغْفَر هذا لا يغفره الله أما ما سوى ذلك من الذنوب فإن الله يغفره. أصحاب رسول الله كانوا لا يُكفِّرُونَ بذنب لا يكفرون مؤمنًا من أجل ذنب مهما كان ذلك الذنب كبيرًا أو صغيرًا حتى المنتحرُ الذِى يقتل نفسه ما كانوا يرونه كافرًا بل يرونه مؤمنًا مذنبًا فالمنتحر عند أصحاب رسول الله ﷺ مؤمن مسلم مذنب ثم منهم مَن يغفر الله له ومنهم من يعذبه الله ثم يخرجهم من العذاب وهكذا شارب الخمر وهكذا ءاكل لحم الخنزير كلُّ

هؤلاء الله يغفر لبعض منهم، من كان مسلمًا فإن الله يغفر لأهل هذه الذنوب لمن شاء ما شاء، الله يغفر لمن شاء من أهل هذه الذنوب ويعذب قسمًا منهم فيجب علينا أن نعتقد أن الله يعذب قسمًا من المسلمين العصاة بالزنى وبشرب الخمر وبأكل لحم الخنزير وبغير ذلك من الذنوب ويغفر لقسم منهم، هو يَعْلَمُ المسلمين الذين يغفر لهم هذه الذنوب والذين لا يغفر لهم هو أعلم بذلك لذلك لا يجوز لنا أن نقول لمسلم يتعاطَى شيئًا من هذه الذنوب الكبيرة فلانٌ من أهل ٱلنار لأنه يشرب خمرًا أو لأنه يأكل لحم خنزيرٍ لا يجوز لنا أن نقول إنه من أهل النار إنما نقول إن شاء الله تعالى يعذبه وإن شاء يغفر له هو أعلم، أما من تاب من هذه الأشياء بعد أن كان يفعلها فإننا نَجْزِمُ بأن الله يغفر له كأنه لم يعملها يغفر له يكون هذا العبد كأنه لم يعملها، من تاب أى من ندم وترك هذه الأشياء وندم فِى قلبه وعزم أن لا يعود إليها هذا كأنه لم يعملها فلا يجوز أن يقال فِى مسلم عاصٍ مهما بلغت معاصيه إنّ هذا من أهل النار فلانٌ من أهل النار لا يجوز ما يدرينا إن كان ممن سبق فِى علم الله أنه من المغفور لهم وما يُدرينا إن كان سبق فِى علم الله أنّ هذا الإنسان يتوب من هذه الأشياء ويموت تائبًا أوَّابًا تَقِيًّا من الصالحين لذلك نُمسك ألسنتنا عن هذا القول مهما رأينا مسلمًا غاطسًا فِى الذنوب لا نقول هذا من أهل النار.

كذلك لا ينبغى أن نجزم بالقول بأن فلانًا من أهل

الجنة لا نجزم لأن الإنسان قد يتغير لا نجزم لا نعلم ما سبق له عند الله تعالى ما ندرِى ما سبق له فِى علم الله الأزلىّ على أىّ حال يُخْتَمُ له فكثير من الناس يعيشون غاطسين فِى الذنوب ثم يتداركهم الله برحمته فيتوبون قبل أن يموتوا يُقْلِعُونَ عن تلك الذنوب فيموتون طاهرين فيكونون عند الله تعالى كأنهم لم يعملوا تلك الذنوب.

أما مَن أخبر رسول الله ﷺ بأنه من أهل الجنة فنشهد له كأهل أُحُدٍ وأهلِ بيعة الرضوان أهلُ بيعة الرضوان كانوا ألفًا وخمسمائة بايعوا النبىّ ﷺ تحت شجرة فِى الحديبية فِى تلك الأرض التِى هِىَ بين مكة والمدينة بايعوا على أن لا يَفِرُّوا عند القتال إذا قاتل رسول الله ﷺ كفارًا أن لا يفروا بايعوه على الثبات رضى الله تبارك وتعالى عنهم فأخبر الرسول ﷺ بأنهم من أهل الجنة فهؤلاء يجب علينا أن نعتقد أن كلَّ واحد منهم من أهل الجنة ولو سُمِّىَ لنا واحدٌ منهم فقلنا إنه من أهل الجنة كان ذلك حقًّا. انتَهَى.

وسبحان الله والحمد لله رب العالمين.



**الدرس التاسع والثلاثون**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# بيان عظيم شأن ءادَمَ عليه السلام وأنه أول الأنبياء

درس ألقاه المحدث الفقيه الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى بيان عظيم شأن ءادم عليه السلام وأنه أول الأنبياء. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أفضل النبيين البشير النذير الذِى أرسله الله رحمة للعالمين وعلى ءاله وصحبه الطاهرين.

أما بعد فإن الله تبارك وتعالى جعل خِيرةَ خَلْقِه الأنبياءَ وهم من جنس البشر مع ذلك فضَّلهم على سائر خلقه بمن فيهم الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون الذين لا يَشْغَلُهُمْ أكل ولا شرب ولا نوم عن طاعة الله تبارك وتعالى فَضَّلَ الأنبياءَ عليهم وعلى سائر خلقه فكان أولُ الأنبياء وأول نوع الإنسان ءادم عليه السلام. روينا فِى صحيح ابن

حِبّان من حديث أبِى ذر رضى الله عنه أنه قال قلتُ يا نبيَّ الله أنبىّ كان ءادم قال **نعم**[١] اهـ وروينا فيه أيضًا أن ءَادَمَ لما صُوّر فِى الجنة وكان مُصوَّرًا من طين جعل إبليسُ يطوف حوله فلما رَءَاهُ أجوفَ عرف أنه خَلْقٌ لا يتمالك[٢] اهـ وفِى رواية ابن حبان أيضًا أنه[٣] قال لِأَمْرٍ ما خُلِقْتَ اهـ هذا الذِى ثبت أما ما يرويه بعض الناس من أن إبليس دخل فيه من فمه وخرج من دبره فهذا كذبٌ لا أساس له وهذا الكذبُ يُتناقل على ألسنة كثير من الناس فيجب تخميدُ هذا الخبر الفاسد. ءَادَمُ عليه السلام كان كريمًا على الله كذلك كل أنبيائه فإنهم كرماء على الله لم يكن اللهُ لِيُسَلِّطَ على ءادم الشيطانَ إبليسَ حتى يتمكن من الدخول فِى جوفه ليخرج من دبره، هذا الكلام إما رواهُ كَفَرَةُ بَنِى ءَادَمَ أو شيطانٌ من الشياطين تصوَّر بصورة البشر فنطق بهذا أمام أناسٍ من البشر ثم فشَا هذا بين الناس. هناك شخص من ذرية إبليس يقال له نَسور يتكلم على ألسنة الناس بما لا أصل له فيشيعُ هذا الخبر الذِى تكلم به، هذا نَسور يشيع بين الناس، هذا وظيفته إلقاء الأخبار الكاذبة على ألسنة الناس. الله تبارك وتعالى علم فِى الأزل وشاء

---

(١) رواهُ ابنُ حبانَ فِى صحيحه، ذِكْرُ الإخبار عمَّا كان بين ءادم ونوح صلوات اللَّهِ عليهما من القرون.

(٢) رواه ابن حبان فِى صحيحه، باب ذكر وصف طول ءادم حيث خلقه الله جل وعلا.

(٣) أى إبليس.

أن يكون ءادم أولَ نبىّ من الأنبياء أولَ من يُنَبَّأُ من البشر وقد علم الله أن كل فرد من أفراد الأنبياء أفضل من سائر خلق الله فلا يليق بمن شاء الله تعالى له أن يكون أفضلَ من الملائكة ومن سائر خلق الله أن يستطيع إبليسُ أن يتصرف فيه هذا التصرف.

ثم إن ءَادَمَ عليه السلام اتفق المسلمون بل وأهل الملتين على أنه نبىٌّ، أهل الكتاب اتفقوا كما اتفق المسلمون على أن ءَادَمَ كان نبيًّا ولا يختلف فِى ذلك اثنان من علماء المسلمين وهِىَ مسألةٌ إجماعيةٌ مَن خالف فيها كذَّب دين الله تعالى أى يُعتبر مرتدًّا كافرًا والعياذ بالله تعالى.

يوجد فِى هذا البلد أى بيروت رجل يعلق تعاليق ثم نشرت تعاليقه فِى لبنان وغيرِ لبنان باسم أنه موجّهٌ دينىٌّ هذا الرجل أنكر نبوة ءَادَمَ ثم بعد مواظبة ومناقشة من بعض إخواننا معه تظاهر بأنه رجع لكنه ما التزم قال لهم إن كنتم تريدون أن أقول نبىٌّ فهو نبىٌّ هذا ليس تراجعًا، فمن هنا يجب عليكم أن لا تصغوا إلى كل من يدَّعِى أنه موجّهٌ دينىٌّ إياكم إياكم، هذا رجلٌ مشهورٌ له تعاليق انتشرت فِى لبنان وخارج لبنان وله جماعةٌ يُقال له سميح الزين وله جماعةٌ يتلقون منه الدروس فِى الأسبوع مرتين أو أكثر مُسَلِّمِينَ، استحوذ عليهم لكونهم جاهلين، الذِى لا يتعلم علم الدين ويسمع إلى هذا وهذا وإلى هذا يَتِيهُ وهو لا يَدْرِى أنه ضَلَّ هذا كالشاة العائرة تذهب هكذا وهكذا وهكذا

فتكون للذئب أسهلُ تناولًا، الذئبُ يفترسها بسهولة، فينبغى أن يكون الإنسان شفَّاقًا على دينه لا يأخذ العلم عن أىّ إنسانٍ إلا عن إنسانٍ فيه ثقة وكفاءة.

روينا فِى كتاب الفقيه والمتفقه ومن كتاب حلية الأولياء لأبِى نُعَيْم الأصبهانىّ أن علىَّ بن أبِى طالبٍ رضى الله عنه قالً لكُمَيْلِ بن زياد يا كميل الناس ثلاثة عالمٌ ربانىٌّ وطالب علمٍ فِى سبيل نجاة وهَمَجٌ رَعَاعٌ أتباعُ كل ناعِقٍ يميلون معً كل ريحٍ اهـ فإياكم أن تكونوا من الفريق الثالث همجٌ رعاعٌ أتَباع كل ناعق الرعاع معناه سفهاء العقول ليسوا سفهاء فِى أمور الدنيا، السفهاءُ فِى أمور الدنيا لا يعرفون كيف يدبرون أمور معيشتهم لا يعنِى ذلك بل هم سفهاء من حيث عدم المعرفة بأمور الدين بأمور الآخرة والناعقُ فِى اللغة من يصيح فِى غنمه الراعِى لَمَّا يصيح فِى غنمه يقال له ناعق من حيث معرفة الدين فالجاهل الذِى يسمع هذا فيتبعه ويسمع هذا فيتبعه بلا تمييز جاء فِى الحديث المرفوع عن رسول الله ﷺ أنَّ الله يكره هذا الصنف من الناس، قال عليه الصلاة والسلام **إن الله يكره كل جَعْظَرِىّ جَوّاظٍ سَخَّابٍ فِى الأسواق** اهـ قال عليه الصلاة والسلام فِى وصف هذا الصنف من الناس **عالم بأمر الدنيا جاهلٍ بأمر الآخرة**[1] اهـ يعنِى سيدُنا علىٌّ هذا الصنفَ الذين لا يتلقَّوْنَ علم الدين من أهل

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه، ذِكْرُ الزَّجْرِ عَنِ الْعِلْم بِأَمْرِ الدُّنْيَا مَعَ الِانْهِمَاكِ فِيهَا، وَالْجَهْلِ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ وَمُجَانَبَةِ أَسْبَابِهَا.

المعرفة إنما يعيشون كالغنم العائرة وهم أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لا يستضيئون بنور العلم، العلمُ نورٌ العلمُ أىْ علم الدين نورٌ يُبَيِّنُ لمن عرفه الحقَّ مِن الباطل فيتبع الحق ويجتنب الباطل أما العالم الربّانىُّ فمعناه العالم العامل المُعَلِّم هو فِى نفسه عالمٌ وعاملٌ بعلمه ويعلم الناس العلم الذِى وهبه الله تعالى هذا معنى العالم الربانىّ.

ومن الهمج الرعاع هؤلاء الذين يعتمدون على مطالعة الكتب بأنفسهم من غير أخذ الشرع من أهل المعرفة الذين أخذوها ممن قبلهم لذلك تجدون الكثير من هؤلاء المثقفين الذين لم يتلقَّوْا علم الدين من أهل المعرفة إنما يعتمدون على مطالعة الكتب فِى السيرة أو التاريخ والغزوات ونحو ذلك تلتبس عليهم الأمور ثم يريدون أن يبثوا هذا الجهل فِى الناس باسم التنظيم والإرشاد، من أجل هذا كثير من المؤرخين الذين يؤلفون فِى السيرة النبوية يكونون مخلّطين محرفين، شأنهم التخليط والتحريف، ومن أمثلة ذلك ما يذكره كثيرٌ من هؤلاء فِى مؤلفاتهم فِى السيرة أن إبراهيم عليه السلام ولد إسماعيل من زوجة له تُسَمَّى هاجَرَ، هذا من جهلهم، هاجرُ ليست زوجتَهُ هاجَرُ مِلك يمين له إنما سارة هِىَ زوجته، كذلك هؤلاء يقولون عن سيدنا محمد ﷺ إن مارية إحدى زوجاته وليست مارية زوجةً له وإنما هِىَ ملك يمين، هو الاستمتاع بالنساء يحل بطريقتين إحداهما الزواج المعروف الذِى يكون بشاهدين

وصيغة[١] عقد والطريق الثانية هِيَ طريق ملك اليمين إبراهيم عليه السلام كانت زوجته سارة أعطاها هاجرَ مَلِكٌ من ملوك ذلك الزمن أعطى هاجر التِى كانت ملك يمينه لسارة لَمَّا مَرَّ إبراهيم ومعه سارة فِى أرض ذلك الملك الجبار فصارت ملكًا لسارة ثم سارة وهبتها لإبراهيم فصارت ملكَ يمينِ إبراهيم، ملكُ اليمين تحل من دون عقد نكاح لأن ملك اليمين إحدى طريقَىْ حِلّ الاستمتاع بالنساء.

وروينا فِى هذا الكتاب كتاب الفقيه والمتفقه للحافظ أبِى بكر الخطيب البغدادى رحمه الله أن عليًّا رضى الله عنه أتى ورجلٌ يقصُّ على الناس فِى المسجد فقال من هذا فقيل له أبو فلان قال له تعرف الناسخ من المنسوخ فوجده لا يعرف وجده ليس من أهل التدريس فقال بل هذا أبو اعْرِفُونِى اهـ

أين هذا من حال هؤلاء الذين يُنصِّبُونَ أنفسهم موجهينَ دينيين فيقولون نحن نُوَعِّى الناس فِى دينهم نُوَعِّى الناس توعيةً دينية وهم فِى أنفسهم تائهون لا يعرفون الصحيح من المعتقد من الفاسد ولا يعرفون الصحيح من الأعمال الدينية البدنية من غير الصحيح لا يميزون الصحيح من غير الصحيح فِى المعتقد ولا فِى الأحكام والأعمال فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. انتَهَى.

والله تعالى أعلم.

(١) كأن الشيخ عبد الله رحمه الله لم يذكر الولىّ ليدخل عقود نكاح الحنفيّة الذين لا يشترطون الولىّ لصحة عقد النكاح.

**الدرس الأربعون**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# بيان أن العمل المقبول ما كان خالصاً لله وموافقاً لما جاء به رسول الله ﷺ

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى الرابع من شعبان سنة اثنتين وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق للثامن والعشرين من شهر أيار لسنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وألف رومية وهو فِى بيان أن العمل المقبول ما كان خالصًا لله وموافقًا لما جاء به رسول الله ﷺ. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين خاتم النبيين قائد الغر المحجّلين وعلى ءاله الميامين.

أما بعد فقد روينا بالإسناد المتصل إلى الإمام ابن حبان من حديث زياد بن ميناء عن أبِى سعيد بن أبِى فَضالة وكان من أصحاب الرسول ﷺ قال قال رسول الله ﷺ **إذا كان يومُ القيامة نادَى منادٍ مَن كان أشرك فِى عمله لله أحدًا فليطلبْ ثوابه من عنده فإن الله تعالى أغنَى الشركاء عن الشِّرْكِ**[1] اهـ هذا الحديث

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه بابُ ما جاء فِى الطَّاعات وثوابها.

الذِى رواه ابن حبان ورد فِى صحيح مسلم بلفظ حديث قدسىّ ذلك أن النبىَّ ﷺ قال قال الله تعالى **مَن عمل عملًا أشرك فيه معِى غَيْرِى تركتُهُ وشِرْكَهُ**[1] اهـ معنَى الحديثين واحد ذاك الحديث الذِى هو رواية ابن حبان ليست صورته صورةَ حديثٍ قدسىٍّ أما رواية مسلم فهو مُورَدٌ بشكلِ حديث قدسىّ لأن الحديث القدسىّ هو الذِى يكون فِى أوله قال الله تعالى أى مما ليس قرءانًا أو يقول الله تعالى أو نحوُ ذلك فهذا هو الحديث القدسىُّ وما سوى ذلك يقال له حديث نبوىّ وكلاهما بِوَحْىٍ من الله تعالى إلى نبيه محمد ﷺ فمعنى الحديثين أنه من يعمل عملًا من أعمال الدين من صلاة أو صيام أو قراءة أو صدقة أو حج أو جهاد أو غير ذلك فإن كان يقصد به أن يمدحه الناس أو أن يذكروه فيما بينهم بالإجلال والتعظيم فإنه ليس له عند الله ثواب إنما ثوابه ما نواه من الناس وهو أن يمدحوه أو أن ينظروا إليه بعين الإجلال والتعظيم ففِى الحديث الأول أنه عليه الصلاة والسلام قال فليطلبْ ثوابه من عنده أىْ ليطلب ثوابه من الشخص الذِى أراد أن يمدحه أى ليس له ثواب عند الله لأن الله لا يقبل منَ العمل إلا ما عُمِلَ لأجله فقط ومن قصد بعمله ثواب الله ومدح أحد من الناس فليس له عند الله ثواب لأن الله لا يقبل من العمل ما أشرك فيه معه غير الله ما أشرك فيه مع الله غيره لا يقبله إنما يقبل العمل الذِى

(١) رواهُ مسلمٌ فى صحيحه باب مَنْ أَشْرَكَ فِى عَمَلِه غَيْرَ اللَّه.

عُمِلَ لأجله فقط.

ثم إن كانت نيته أن يعمل لله ولم يشرك فِى ذلك مع الله أحدًا أىْ لم يَنْوِ مدحَ الناس له ثم سمع من الناس ثناءً عليه ومدحًا فلا يضره ذلك لأنه ما قصد بذلك أن يمدحه الناس إنما الناس مدحوه لما علموا أنه يعمل كذا من الحسنات إنما الضرر هو أن يقصد الرجلُ فِى بدء عمله أو فِى أثناء عمله أن يمدحه الناس فهذا هو الضرر العظيم. ثم ليس ضررُ الرياء مقصورًا على أنه ليس له عند الله ثواب وإنما ثوابه من ذلك الشخص أو من أولئك الناس بل هناك ضرر عظيم وهو أنه يُعَذَّبُ لأن هذا يُقال له شركٌ أصغرُ فهو يشبه عبادة غير الله وإن لم يكن الشركَ الأكبرَ الذِى هو مُخرِج من الإسلام لكن هذا يشبهه، قَصْدُ الشخص بعمل الآخرة غيرَ الله تعالى يشبه الشرك الأكبر الذِى هو عبادة غير الله فكما أن هذا يستحق عذابًا كبيرًا فذاك يستحق عذابًا كبيرًا وإن كان بين العذابين فرق كبير الشرك الأكبر الذِى هو كفرٌ عذابُهُ لا ينتهِى لا ينقطع كشرك عُبّاد الأوثان كشرك العرب الذين كانوا يقولون ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[1] أىْ أنهم لا يعبدون الأوثان إلا ليقربوهم إلى الله درجات من جهلهم وسخافة عَارَائِهِم مشركو العرب كانوا يقولون ما نعبدهم أىِ الأوثانَ إلَّا ليقرِّبُونا إلى الله زُلْفَى أى درجةً كانوا يعترفون بأن هؤلاء الأوثان لا يساوون الله تبارك

(١) سورة الزمر/الآية (٣).

وتعالى فِى علو الشأن لكنهم كانوا يعبدونهم أىْ يتذللون لهم نهاية التذلل لأن الشرك هو عبادة غير الله ومعنَى عبادة غير الله التذللُ لغير الله نهايةَ التذلل كانوا يتذللون للأوثان نهاية التذلل ويقولون نحن لا نتذلل لهم من حيث ذاتهم إنما نتذلل لهم ليقربونا إلى الله زُلْفَى أى درجةً أولئك عذابهم دائم لا ينقطع أما هذا المسلم الذِى لا يعبد غير الله لكنه يعمل أعمالًا من أعمال الآخرة ليمدحه الناس يشبه أولئك فيستحق عذابًا كبيرًا لكن عذابه منقطع ويغفر الله لمن شاء منهم، هؤلاء المراؤون الذين يعملون العمل الذِى يعملونه ليمدحهم الناس أشبهوا أولئك المشركين الذين كانوا يعبدون الأوثان لذلك قال الله تبارك وتعالى **مَن عَمِلَ عملًا أشرك فيه معى غيرى تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**[1] اهـ معنى تركته وشركه تركت ذلك الشخص وشركه أى وعمله الذِى أشرك فيه معِى غيرِى أى لا أقبل منه، فإذا كان الأمر كذلك فالعمل الذِى يقبله الله تبارك وتعالى ما كان خالصًا له أى لم يقصد العبد به إلا الله تعالى فهذا العمل هو الذِى ينفع العبد عند الله يوم القيامة فليحرِصِ الإنسانُ على أن تكون جميع أعماله الدينية مبنيةً على الإخلاص لله تبارك وتعالى.

ثم هذا القصد الذِى هو خالصٌ لله تبارك وتعالى إنما ينفع العبد بعد موافقته لِسُنَّةِ رسول الله ﷺ وقد روينا بالإسناد المتصل عن الإمام سعيد بن جبير رضى

(١) رواهُ مسلمٌ فى صحيحه باب مَنْ أَشْرَكَ فِى عَمَلِه غَيْرَ اللَّه.

الله عنه وهو من التابعين الذين أخذوا العلم عن الصحابة أنه قال لا يقبل قول إلا بعمل وفِى لفظ لا يصلح قول إلا بعمل ولا قول وعمل إلا بنية ولا قول وعمل ونية إلا باتباع سُنَّة رسول الله ﷺ اهـ رواه اللالكائىّ[١]

الحاصل أنه لا يحصل الكمال إلا بقول وعمل ونية ولا تُقبل الثلاثة أى القولُ والعملُ والنيةُ إلا باتباع الرسول ﷺ أى إلا أن يكون قولُ الرجل موافقًا لما جاء به الرسول وعملُهُ موافقًا لما جاء به الرسول ﷺ ونيتُهُ موافقةً لما جاء به الرسول ﷺ فمن وافق قولُهُ وعملُهُ ونيتُهُ ما جاء به الرسول ﷺ فذلك هو المفلح الذِى يستحق الثواب على قوله وعمله ونيته فإذا كان الأمر كذلك فعلى الإنسان أن يتعلم كيف يتبع الرسول ﷺ هل قوله وعمله ونيته موافقةٌ لما جاء به الرسول ﷺ أو غيرُ موافقةٍ فمن علم طريق الموافقة وجعل قوله وعمله ونيته موافقًا لما جاء به الرسول ﷺ فهذا هو الفائز المفلح الذِى كل حسنة يعملها تُضاعف له عشرًا فأكثر إلى سبعِمِائَةٍ إلى مِائَةِ ألف إلى مِائَتَىْ ألفٍ إلى ألف ألف إلى أكثر من ذلك، هذه المضاعفة بعد ذلك بعد أن يكون القول والعمل والنية موافقًا لما جاء به الرسول ﷺ فَمِنْ هنا تظهر أهمية تعلم العلم الدينىّ لأنّ العلم الدينِىَّ هو الذِى يَهْدِى لذلك هو الذِى يرشد

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى فى سياق ما رُوى عن النبى ﷺ فِى ثواب من حفظ السنة ومن أحياها ودعا إليها.

ويبين ويدل على القول الموافق لشرع الرسول ﷺ وعلى العمل الموافق لشرع الرسول ﷺ وعلى النية الموافقة لشرع الرسول ﷺ وأما مَن أعرض عن تعلم ذلك واشتغل بغير ذلك فهذا تائهٌ لا يدرِى فِى أيِّ وادٍ يَهْلِكُ يظن بنفسه أنه على حالة عالية وهو فِى الحقيقة ليس على شَىْءٍ.

قال عبد الله بن عمر رضى الله عنه لقد عشنا برهة من الدهر نتعلم الإيمان قبل القرءان[1] اهـ المعنى أن اهتمامنا كان فِى بدء الأمر قبل اهتمامنا بحفظ القرءان تصحيحَ العقائد والنيات، كثير من الناس يريدون أن يذكروا ويسهرون الليالى لذلك ثم أحدهم يُحَرّفُ اللفظَ الذِى جاء عن رسول الله ﷺ إلى غيره، أحدهم يريد أن يهلل تهليلًا كثيرًا فيقول لا إله إلا اللَّا لا إله إلا اللَّا لا إله إلا اللَّا ءالافًا ءالافَ المرات مع حذف حرف الهاء هذا ما وافق سنة رسول الله ﷺ لأن الرسول ﷺ ما ذكر اسم الله إلا بهذا اللفظ الله باللام المشددة والألف اللينة أى التِى يُلفظ بها لفظًا ولا تكتب ثم الهاء الرسول ﷺ هكذا كان يذكر اسم الله فِى كل كلامه متى ما ذكر لفظَ الجلالة كان يذكره هكذا وهذا الذِى ورد فِى القرءان أما هؤلاء المغفَّلون التائهون فيحاولون أن يحوزوا الدرجات العُلى فيقولون

(١) ولفظه لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرءان اهـ أخرجه سعيد بن منصور فى التفسير والطحاوى فى شرح مشكل الآثار والحاكم فِى المستدرك وقال فى مجمع الزوائد رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

لا إله إلا اللَّا لا إله إلا اللَّا من الإسراع على زعمهم يكثرون من العدد حتى يزداد لهم الأجر ولا يدرون أنهم يكسبون إثمًا بكل مرة لأنهم حرَّفوا اسم الله، كذلك إذا ذكروا الاسم المفرد الله بعضهُم يقول بلا هاء يذكر بلا هاء اللَّا اللَّا اللَّا اللَّا هذا ذِكْرُهُم فمِن أين يكون لهم ثواب، هذا مثالٌ للعمل الذِى لم يوافق سنة رسول الله أى ما جاء عن رسول الله ﷺ، وهناك شىء كثير حتى الصلاة على النبىّ بعضهم يأتِى بالياء يقول اللهم صلِّى وسلم بالياء هذه الياء ياء التأنيث هذه الياء ياء خطاب الأنثى حرامٌ أن يقال اللهم صلِّى وسلم وبارك على النبىّ حرام لماذا يؤتَى بالياء هذه الياءُ للأنثى إذا أردنا أن نأمر امرأة بالصلاةِ أو الصلاةِ على النبىّ نقول يا فلانةُ صلِّى على النبىّ صلِّى الظهر أما الذِى يطلب من الله أن يُصَلِّىَ على نبيه يأتى باللام المشددة بلا ياء يقول اللهم صلّ وسلم وبارك عليه لا يقول صلِّى، هؤلاء المغفَّلون لا هَمَّ لهم إلا أن يترنموا ومع ذلك يطمعون بالثواب يظنون أنهم حازُوا ثواب الصلاة على النبىّ ﷺ. انتَهَى.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



**الدرس الحادِى والأربعون**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# علامة محبة الله اتّباع رسوله ﷺ

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى بيروت أوائل القرن الرابع الهجرِىّ وهو فِى بيان أن علامة محبة الله اتّباع رسوله ﷺ بما جاء به اعتقادًا وقولًا وعملًا. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد فإن الله تبارك وتعالى أمرنا باتباع نبيه ﷺ وجعل ذلك علامةً على محبة الله، الذِى يحب الله علامة صدقه فِى محبة الله أن يتّبع النبىّ ﷺ. اتباع النبىّ ﷺ يكون بالاعتقاد والعمل والقول. فيجب علينا أن نتّبع النبىّ ﷺ بالاعتقاد أى أن لا نحيد عن اعتقاد النبىّ ﷺ إلى ما يخالف ذلك وأن لا نترك اتّباعه فِى الأفعال التِى أمرنا بالاقتداء به وأن لا نترك اتّباعه فِى الأقوال، مثال ذلك التكبير جاء عن رسول الله ﷺ بلفظ أكبر بهمزة مفتوحة ثم كاف ساكنة ثم باء مفتوحة ثم راء فلا يجوز إبدال حرف من هذه الحروف ولا يجوز زيادة حرف على هذه الحروف الأربعة كما يزيد

بعض الناس بين الباء والراء أَلِفًا فيقولون أكبار لأنه ما كان الرسول ﷺ يقول أكبار كان يقول أكبر، فليس للمؤذن ولا لغيره أن يزيد هذه الألف فيقول أكبار بعض الناس يزيدونها بنية مد الصوت هذا لا يجوز، هذا عمل باطل، وإذا كان لا يستطيع إسماع عدد أكبر من الناس بغير زيادة هذه الألف فلا يزدها بنية إبلاغ الصوت فإن زاد فقد وقع فِى معصية الله لأن المعنى يكون فاسدًا، الأكبار بالألف بين الباء والراء معناه الطبول الكبار الطبول الكبار يقال لها أكبار، تَغَيَّرَ المعنى فَسَدَ يكون الشخص كأنه يقول الله هو الطبول الكبار فمن كان يعرف المعنَى يعرف أن المعنَى يفسد فيتغير إذا قيل أكبار فقد كفر إن كان عمدًا قال ذلك لمد الصوت للمبالغة فِى الإسماع إذا قال أكبار هذا اللفظ إذا قاله وكان يفهم المعنَى الفاسدَ أىْ أنَّ المعنَى صار أن الله هو الطبول الكبار كفر والعياذ بالله من الكفر، فعلى المؤذنِ والـمُـبَلِّغ وغيرهما إذا نطق بلفظ التكبير أن لا يزيد هذه الألفَ بين الباء والراء كذلك الذِى يريد أن ينطق بلفظ الجلالة اسم الله الأعظم الله عليه أن لا يزيد حرفًا ولا ينقص حرفًا بعض الناس يزيدون حرفًا يقولون ءآلله هذا حرام ءآلله فِى حال الذكر لا يقال ءآلله يقال الله بدون زيادة. وكذلك النقص من هذا الاسم الذِى هو اسم الله الأعظم حرام، بعضُ الناس ينقصون حرفًا منه يقولون أَللَّا، فِى حال الذِّكْر وفِى حال القسم بعض الناس تجدونهم يقولون نذكر الله فيقولون أللَّا أللَّا أللَّا هؤلاء ليس لهم

إلا الذنب إلا الإثم لا يكسبون إلا المعصية ليس لهم ذرة من الثواب، رسول الله ﷺ ما نطق بهذا الاسم الأعظم إلا كما جاء فِي القرءان ما قال قط أللَّا بلا هاء ولا قال ءآلله أكبر ءآلله أكبر ءآلله أكبر ما قال قط ءآلله فِي حال الذِّكْر فِي التكبير ونحوه، أما ما ورد فِي القرءان فِي قوله تعالى ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾[1] فالمعنى هل الله أَذِنَ لكم أم تكذبون على الله هذا ردٌّ على الكفار، هنا لمعنى الإنكار على الكفار زيدت الألف، ءآلله. أما فِي حال الذِّكْر والأذان لا يجوز أن يقال ءآلله أكبر لأن المعنى يَفْسُدُ يكون المعنى هل الله أكبر من غيره والشك فِي كون الله تعالى أكبر من غيره كفر وضلال. الله تعالى أكبر بلا شك أكبر من كل كبير فإذا قال القائل ءآلله أكبر يكون شكًّا يكون المعنى هل الله أكبر من غيره وهذا كفر الشك فِي كون الله أكبر من كل كبير كفر، لا يغرنكم أناس يقولون نذكر الله فيجتمعون فيقولون أحيانا ءآلله ءآلله، هذا حرام لِمَ أدخلوا الألف بين الهمزة واللام؟ هذا حرام. وبعضهم يقولون أللَّا أللَّا أللَّا هذا أيضًا حرام لأنهم غيَّروا اسم الله، اسم الله كما جاء فِي القرءان الله ليس أللَّا.

حتى بنية القسم لا يجوز أن يقال واللَّا لا يجوز، اسم اللهِ اللهُ ليس أللَّا فإذا قال واللَّا أعملُ كذا فلم يعمل فليس عليه كفارة لكنه بما أنه حرَّف اسم الله

(١) سورة يونس/الآية (٥٩).

فعليه ذنبٌ.

هؤلاء الذين يدَّعون أنهم صوفية أنهم أهل الذكر ثم يقولون إذا اجتمعوا أللَّا أللَّا أللَّا أو يقولون ءآلله ءآلله هؤلاء عملهم ضائع هؤلاء ليسوا صوفية حقيقية إنما هؤلاء لبَّس عليهمُ الشيطان الأمر ثم هم أيضًا صاروا على الناس مُلبِّسين فمن رأى أناسًا يقولون نذكر الله ثم يقولون ءآلله ءآلله ءآلله أو يقولون أللَّا أللَّا أللَّا فَلْيَنْهَهُم، قولوا لهم هذا ليس ذكرًا شرعِيًّا هذا تحريف قولوا كما جاء فِى القرءان، الله، وفِى حال التكبير قولوا الله أكبر لا تقولوا ءآلله ولا تقولوا الله أكبار بزيادة الألف بين الباء والراء كل ذلك عملٌ لا يقبله الله بل على فاعله ذنب. الله تبارك وتعالى قال لنبيه ﷺ ﴿قُلْ﴾ أى يا محمد يا أشرف الخلق ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[1] علامة محبة الله هو اتباع الرسول ﷺ، علامة محبة الله اتباع الرسول ﷺ. أما الذين يقولون نحن أولياء وينحرفون عما كان عليه الرسول ﷺ فِى الذِّكْر والاعتقاد والأعمال فهؤلاء كذابون غشاشون دجالون فاحذروهم وحذِّروا منهم غيركم ولا تأخذْكُم فِى الله لومةُ لائم. وقد غلا بعضُ مَن يَدَّعِى الطريقةَ الشاذليةَ، غلا بَعُدَ من الحق بُعدًا كبيرًا فقال ءَاه أقربُ للفتوح من (الله) إنا لله وإنا إليه راجعون، قال ءَاه أقرب للفتوح من (الله)، لأن هؤلاء

(١) سورة ءال عمران/الآية (٣١).

أحيانًا يقولون بدل الله الله الله يقولون ءَاه ءَاه ءَاه، هذا من شدة كفره وغلوه قال ءَاه تُقَرِّبُ إلى الله أكثر من (الله). لا إله إلا الله.

وأكبر سبب فِي هذا الانحراف هو الجهلُ عدمُ تعلم علم الدين، منشأُ هذا الفساد هو عدم تعلُّم علم الدين، لو تعلم هؤلاء علم الدين كما يجب كانوا عرفوا أن هذا ليس ذكرًا شرعيًّا كانوا ذكروا باللفظ الصحيح. وليس معنَى تعلم علم الدين مجردَ القراءة على المشايخ الذين لا يُعتمد عليهم لأنَّ هذا الذِى قال هذه الكلمة قرأ كتبًا كثيرة لكنه لم يتهذب على مشايخَ مِن أهل الثقة والمعرفة، هؤلاء الشاذلية الذين يعرفهم الشيخ مصطفَى بدمشق أحد رؤوسهم قال ءَاه أقرب للفتوح من (الله) على زعمه والعياذ بالله من الكفر قال الذِى يقول ءَاه ءَاه ءَاه أقرب للوصول الى الله أقرب للولاية.

فالذاكر الذِى يكون ذكره صحيحًا موافقًا للشرع إما أن يقول لا إله إلا الله بلا تحريف وإن شاء قال الله الله الله بلا تحريف هذا الذِى يردد لا إله إلا الله بلا تحريف أفضل من الذِى يردد الله الله الله لأنه ما جاء عن رسول الله ﷺ فِى الحديث أنه كان يذكر الله الله الله ما ورد إنما الذِى ثبت عن رسول الله ﷺ هو قوله لا إله إلا الله ومن جملة الأحاديث الصحيحة التِى ثبتت عن رسول الله ﷺ ما رواه ابن حبان فِى الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال **جددوا إيمانكم** قيل وكيف نجدد إيماننا يا رسول الله قال **أكثروا من قول لا إله**

**إلا الله**[١] اهـ هذا حديثٌ من أحاديث عدة صحيحة عن رسول الله ﷺ لذلك قلنا إن الذكر بلا إله إلا الله أفضل من الذكر باللفظِ المفرد اسمِ الله الأعظم الله الله الله وكُلًّا فيه ثواب عظيم لكنَ الذكر بلا إله إلا الله أفضل لأن لا إله إلا الله هِيَ كلمة الإخلاص هِيَ كلمة التوحيد هِيَ كلمة التقوى، الكافرُ إذا أراد الدخول فِي الإسلام ماذا يقول يقول الله أم يقول لا إله إلا الله؟ يقول لا إله إلا الله لذلك كلمةُ لا إله إلا الله هِيَ كلمة التقوى هِيَ أفضل الأذكار على الإطلاق. وسبحان الله والحمد لله رب العالمين. اللهم علِّمنا ما جهلنا وانفعنا بما علمتنا وارزقنا العمل بما علمتنا يا ارحم الراحمين.

وهذا النهار [الجمعة] ءاخرُ ساعة منه هِيَ ساعةٌ من دعا الله سبحانه وتعالى فيها يستجيب، ادعوا الله تبارك وتعالى قبل الغروب بشيْءٍ لكم ولمن تحبون قبل الغروب بنصف ساعة أو أقل أو أكثر. انتَهَى.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



(١) رواه أبو نعيم فِي الحلية والحاكم فِي المستدرك.

**الدرس الثانِى والأربعون**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# بيان أن النجاة فِى الآخرة تكون بمعرفة الله تعالى والإيمان برسالة محمد ﷺ

درس ألقاه المحدث الأصولىّ الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى بيان أن النجاة فِى الآخرة تكون بمعرفة الله تعالى والإيمان برسالة محمد ﷺ. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله وصلى الله على رسول الله وسلم.

أما بعد فقد رَوَينا بالإسناد المتصل فِى صحيح الإمام مسلم بن الحجَّاج رحمه الله تعالى من حديث عمر بن الخطاب رَضِىَ الله عنه قال قال رسول الله ﷺ **أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللَّه لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عن الْجَنَّةِ**[١] اهـ ورواه ابن حبان[٢] رحمه الله فِى صحيحه يعنى رسولُ الله ﷺ بهذا الحديث أنّ الذِى أيقنَ بوحدانية الله تعالى وأنه لا يستحق أحدٌ العبادةَ إلا الله، والعبادةُ هِىَ نهاية التذلل، وعَلِمَ أن محمدًا رسول الله أىْ أنه صادقٌ فِى

(١) رواه مسلمٌ فِى صحيحِه بابُ مَنْ لَقِىَ اللَّهَ بالإيمان وهو غير شاكّ فيه دَخَلَ الجنَّة وحَرُمَ على النار.

(٢) رواه ابن حبان فِى صحيحه باب المعجزات.

كلّ ما جاء به فإنه حرامٌ أن يؤبَّد فِى النار فإما أن لا يدخلَ النارَ أصلًا بل يدخل الجنة ابتداءً وإما أن يُعذَّبَ ثم يُخرج من العذاب ويُدخل الجنة، لا بد من ذلك. وهذا الحديث له مفهوم وهو أنَّ مَن لم يؤمن بمحمد ﷺ فإنه حرام عليه الجنة، منطوقُهُ أن الذِى يؤمن بالله ورسوله بلا شك يخالج قلبَهُ فِى ذلك فإنه حرام عليه أن يخلد فِى النار أبدًا فإما أن لا يدخل النار أصلًا وإما أن يدخلها ويخرج منها هذا منطوق الحديث أما مفهومه أيِ الوجهُ الآخر لهذا الحديث أن من لم يوقن بمعنَى الشهادتين أنه حرام عليه الجنة فإذا كان الشاكُّ حرامٌ عليه الجنة فالمُنْكِرُ الذِى يُصَمِّمُ على خلاف الشهادتين بطريق الأولى يكون حرامًا عليه الجنة هذا أولى بالحِرمان من الجنة الحرمانَ الذِى لا نهاية له، وإنما قيَّد رسولُ الله ﷺ هذا المعنَى بانتفاء الشك فِى ذلك لأن الشاكَّ والمُنْكِرَ سِيّان، الشاك والمنكر سواء، كلاهما حرامٌ عليه الجنة. الشهادتان أمران متلازمان لا يُغْنِى أحدهما عن الآخر فمن اعترف بوجود الله ولم يؤمن بأن محمدًا رسول الله فإنه كافر ومن شك فِى ذلك فهو كافرٌ أيضًا لأنه مُكَذِّبٌ للقرءان فكما أنَّ هذا الحديثَ اشترط للنجاة من النار الإيمانَ بالله وبرسوله كذلك القرءان الكريم اشترط ذلك وذلك فِى قول الله تبارك وتعالى فِى سورة الفتح ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾[1] المعنَى أنَّ

(١) سورة الفتح/الآية (١٣).

من لم يجمع بين الإيمان بالله والإيمان برسول الله محمد ﷺ فإنه كافرٌ وأن له النارَ أى النارَ الأبديةَ أىْ لا خروج له منها بعد دخولها.

الفرقُ بين المسلم العاصِى الذِى مات وهو غيرُ تائب من كبائر الذنوب ولم يغفر الله له وبين الكافر أنَّ هذا المسلمَ العاصِىَ الذِى لم يسامحه الله تعالى بل أراد دخوله نار جهنم ليتعذب فيها له خروجٌ من هذه النار مهما مكث أما مَن لم يؤمن بالله ورسوله أىْ لم يجمع بين الإيمانين الإيمانِ بالله والإيمان برسوله ﷺ فإنه لا خروج له من النار، وهو لا يألف هذه النار فتنقلبَ عليه عَذْبَةً بل يظل دائمَ الإحساس بألمها إلى غير نهاية، هذا الفرق بين المسلم العاصِى الذِى مات قبل أن يتوب وبين الكافر الذِى مات وهو غير مؤمن بالله ورسوله أى غير جامع بين الإيمانين أى الإيمانِ بالله والإيمان برسوله ﷺ.

ومعنى الإيمان برسوله أن يُصَدّقَ بجميع ما جاء به محمد ﷺ أىِ الإيمانُ الإجماليّ هذا الذِى هو ضروريّ أما الإيمان بالتفاصيل بجميع ما جاء به الرسول ﷺ على التفصيل ليس شرطًا إنما إذا اعتقد الإنسان بقلبه بلا تردد ولا شك أن ما جاء به محمد ﷺ حقٌّ كائنًا ما كان إن كان إخبارًا عن الأمور الماضية وإن كان إخبارًا عن الأمور المستقبَلة فإنه حقٌّ وصدق وأن كلَّ شريعته حكمةٌ أىْ أنَّ جميع ما جاء به رسول الله ﷺ حق وحكمة وعدل لا يستريب فِى ذلك فقد صح إيمانه أما

معرفة التفاصيل فليست شرطًا لصحة الإيمان، فهنا يتلخص لنا من معنى الآية ومعنى الحديث أنَّ مَن كان مترددًا فِى قلبه فليس مؤمنًا لذلك كثير من الناس قد يموتون فِى الجهاد أىْ فِى معركة الكفار وليسوا عند الله شهداء لأن منهم من يخالطهم الشكُّ بالعقيدة أى بحقية ما جاء به محمد ﷺ قد يحضر المعركة وهو غير جازم، قد يحضر مسايرةً لطائفته، وقد يحضر لأجل السمعة أىْ حتى يطلع صِيتٌ بين الناس فهؤلاء عند الله ليسوا شهداء إذا قُتلوا هناك لأنهم ما أيقنوا أىْ ما جزموا فِى اعتقادهم بل كانوا مترددين.

ويتلخص لنا أنَّ منِ اعترف بوجود الله ولم يعرف ربه فِى قلبه فإنه غير مؤمن لأن مجرد الاعتراف لا يكفِى، عابدُ البقر يقول لفظًا الله موجود وعابد الشمس يقول لفظًا الله موجود كذلك الذِى يعبد المسيحَ لفظًا يقول الله موجود لا يكفِى اللفظُ لا يكفِى بدون معرفةٍ بدون إيقانٍ لا يكفِى. ثم لو عرف الواحد بقلبه أن الله تعالى موجود ولم يُشَبِّهْهُ بشىء من خلقه عرفه كما يليق به من غير أن يشبهه بخلقه لكنه عاند كإبليسَ الذِى يعرف وجود الله لكنه يعانِدُ فكُفْرُهُ كُفْرُ عناد هذا لا تنفعه معرفته بقلبه لأنه عاند هذه المعرفةَ، كذلك الذِى يقول محمد رسول الله إلى العرب خاصةً فهو كافر لا ينفعه معرفته. كان فِى اليهود رجلٌ يسمى أبا عيسى كان يقول محمد رسول الله لكن إلى العرب ليس إلى بَنِى إسرائيل هذا كافرٌ كالذِى يَنْفِى رسالته بالمرة لأنه عليه الصلاة والسلام جاء بقرءان أنزله الله عليه مُصَرَّحٍ

فيه بأنه مبعوث إلى الناس جميعًا فالذِى يخصص رسالته بجنسٍ من البشر دون سائر الأجناس فهو مكذبٌ له كافرٌ به لاً يكون مؤمنًا به.

مجرد الاعتراف باللفظ مِن دون معرفة صحيحة بقلبه لا يكفِى أيضًا لا يجعل المرء مسلمًا مؤمنًا عند الله ولا ينفعه فِى الآخرة، فكثيرٌ من الناس عند الله تبارك وتعالى ليس لهم إيمانٌ لأنهم يعترفون لفظًا بوجود الله وبرسالة محمد ﷺ لكنهم لم يعتقدوا المعنَى، لم يعرفوا الله تعالى كما ينبغِى، فالذِى عرف الله تعالى أىْ حصل على اعتقاد وجود الله تبارك وتعالى من غير تشبيه له بشىءٍ صحت له معرفة الله تعالى. قال الإمام الشافعىُّ رحمه الله تعالى من انتهض لمعرفة مدبره فانتَهَى إلى موجود ينتهِى إليه فِكْرُهُ فهو مشبه اهـ من انتهض معناه من أراد لمعرفة مدبره أىْ لمعرفة خالقه مَن قصد أن يعرف خالقه فانتَهَى إلى اعتقاد موجودٍ يُصَوّرُهُ بفكره فهذا مشبّهٌ ليس عارفًا بالله تعالى ومَن انتَهَى إلى التعطيل الصِّرْفِ فهو معطل أىْ ومَن انتَهَى إلى العدم الصِّرف فهو معطل، معنى معطل المُنكرُ لوجود الله تعالى كالشيوعِىّ يُسَمَّى مُعَطِّلًا ويسمى مُلْحِدًا لأنه نفَى وجود الخالق فَسُمِّىَ معطلًا وسمى ملحدًا لأنه انحرف عن الإيمان بالله تعالى، هذان ضالّان الذِى انتَهَى إلى موجود يتصوره فاعتقد أن ذلك هو الإله هذا ضال والذِى انتَهَى إلى التعطيل الصرف أىِ التعطيل الخالص فذلك كفر أيضًا هذان الصنفان كافران بَقِىَ الصنفُ الثالث وهو الذِى قال عنه الشافعىّ

ومن انتَهَى إلى موجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحّدٌ اهـ هذا المؤمنُ هذا الذِى عرف ربه ما انتَهَى إلى شىء يتصوره فِكْرُهُ ولا انتَهَى إلى التعطيل الصِّرف بل انتَهَى إلى موجود أىْ إلى الإيمان بموجود واعترف بالعجز عن إدراكه أى اعتقد أن مدبره أىْ خالقَهُ موجود لا يشبه الموجودات فهذا مُوَحِّدٌ أىْ عارف بالله تعالى مؤمن سالم منَ الشرك هذا معنَى معرفةِ الله تعالى، وخُلَاصَتُهُ الإيقانُ بوجود الله من غير تشبيهٍ له بشىءٍ من الموجودات هذا هو المُوَحِّدُ هو المؤمن، هو العارف بربه تبارك وتعالى.

والدليل على أن الله تبارك وتعالى موجود لا يُتصور بفكر إنما يُعرف أنه موجود لا يشبه الموجوداتِ جميعَها هو أنه يستحيل عقلًا أن يكون مدبرُ العالم موجودًا يشبهه ومستحيل أيضًا أن يكون مدبرُ العالم عَدَمًا أىْ شيئًا لا وجود له فلما كان الأمران من المستحيل عَلِمْنَا أنه تَحَتَّمَ أن يكون مدبر العالم موجودًا لا معدومًا وغيرَ مُشْبِهٍ لغيره من الموجودات فهذا هو الإيمان الخالص بالله تبارك وتعالى، الإيمانُ الخالص هو أن يعتقد اعتقادًا جازمًا بأن الله موجود من غير أن يُشَبِّهَهُ بشىءٍ من الموجودات التِى انتَهَى إليها حِسُّهُ والتِى هِىَ على قياس ما انتَهَى إليه حسه من الموجودات أى من الموجودات التِى لم يدركها بالحس لكنها مشارِكَةٌ فِى الصفات لِمَا انتَهَى إليه حسه، مثال ذلك أننا نشاهد الأرض والسماء وما بينهما هذا شىءٌ انتَهَى إليه حِسُّنَا وتصورته عقولُنا أما ما غاب عن

إحساسنا كالعرش والجنة والنار فهذا شيء يُشَارِكُ ما انتَهَى إليه حِسُّنَا ببعض الوجوه ببعض الصفات، مثلًا العرش جِرْمٌ كما أن هذه الأرضَ جِرْمٌ والجنةُ كذلك جِرْمٌ شيءٌ يصح أن يُلْمَسَ كذلك جهنمُ شيء يصح أن يلمس كذلك الملائكة شيء يصح أن يلمس المَلَكُ إذا تطور إلى صورة إنسان نُحِسُّ به ونلمسه ونراه بأعيننا كذلك الجنيُّ إذا تصور وتشكَّلَ بشكلٍ غيرِ خِلْقَتِهِ الأصلية نُحِسُّ به ونُكَيِّفُهُ تكييفًا هذا كلُّه مِن صفات المخلوقات لأن كل شيْءٍ له شكل له حُدُودٌ طول وعرض وعمق فهو مخلوق لا يصح أن يخلق غيرَه ولا يصح أن يكون خالقًا لنفسه.

هذه العلومُ مهمة لا يصرفنكم الشيطان عنها لأن الشيطان أحيانًا لما يكون الشخص فِي درس مثلِ هذا يقول له هذا شيء خارج عن عقلك فما لك وما له لِيَصْرِفَهُ حتى يظل على جهله بربه حتى يظل جاهلًا بربه يوسوس إليه يخوّفه الاستماعَ والتفهمَ لمثل هذا الدرس فالذِى يَنْفِرُ من مثل هذا الدرس يكون الشيطان قد أَسَرَهُ حتى يبقَى على الجهل بخالقه حتى يَظَلَّ يَتَصَوَّرُ الإله بشيءٍ ينتهِي إليه الفكر بشيء له هيئة وشكل وكلُّ شيء له هيئةٌ وشكلٌ لا يصلح أن يكون خالقًا لمثله ولا لما هو أعظمُ منه ولا لما هو أصغرُ منه. هذا الإنسانُ انظروا بعقولكم فِي شأنه الآن بعد أن صار إنسانًا كاملًا أيْ عاقلًا يمشى بإرادة ويتحرك بإرادة وينظر ويفكر لا يستطيع أن يزيد فِي جسمه جزءًا ءاخر لا يستطيع أن يزيد

أُنْمُلَةً واحدةً ولا يستطيع أن يزيد فِى جسمه عينًا ثالثةً ولا يستطيع أن يزيد فِى أىّ جزء من أجزائه شيئًا فإذا كان هذا حالَهُ بعد أن صار إنسانًا كاملًا مِن حيث الصورةُ والشكلُ فكيف حاله حين كان جَنِيْنًا وحين خرج من بطن أمه حين كان لا يعلم شيئًا ولا يمشِى ولا يتكلم فهل كان يصلح فِى ذلك الوقت أن يخلق لنفسه شيئًا كَلَّا لا يصلح لأنه إذا كان فِى حال كماله فِى حال كونه ابن اربعينَ مثلًا وما يقرب من ذلك لا يستطيع أن يخلق لنفسه شيئًا فِى أجزاء جسمه فكيف فِى حال كونه جنينًا أو فِى حال كونه مولودًا كيف يصلح؟ فكذلك كل العوالم كذلك الجن، كذلك الملائكة، لا يصلح شىء من الأكوان أن يكون خالقًا لنفسه ولا أن يكون خالقًا لجزء منه فثبت بهذا البرهانِ العقلىّ أن الإنسان وغيرَهُ من المحدثات المخلوقات محتاج إلى مُدَبِّرِهِ الذِى أوجده من العدم، كُلّ لحظة، لا يستغنى عن مدبره أىْ خالقِهِ لحظةً، فظهر أنَّ الإنسان عاجز عن أن يخلق نفسه وأن يخلق ما هو شبيهُهُ وثبت ثبوتًا لا ريب فيه ولا شك أنه مُحتاج لمكوّن أوجده وأنه لا يستغنِى بعد أن وُجِدَ لحظةً عن مدبره ومكونه الذِى أوجده من العدم وهكذا سائر الأكوان لا تستغنِى عن مدبرها لحظة، كما أنهم محتاجون إلى هذا المدبر فِى أول النشأة فهم محتاجون إليه لاستمرار وجودهم. وزيادةً فِى بيان ذلك قال الله تعالى لنبيه ﴿قُل لَآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِى نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا

شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾(١)
هذا هو التوحيد الخالص وهو أن يعتقد الإنسان أنه لا يخلق لنفسه منفعة ولا مضرة وبالأَوْلَى لغيره لا يخلق منفعةً ولا ضرًّا إلا ما شاء الله تبارك وتعالى أيْ إن شاء الله أن ينفعَ إنسانٌ نفسه أو غيرَه ينفع وإن شاء أن يضر نفسه أو غيره يضرُّ أما بدون مشيئة الله فإنه لا ينفع ولا يضر لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضَرًّا وبالأولى أن لا يملك لغيره.

ثم هذه الآيةُ بَيَّنَتْ أنه لا يعلم الغيب أى جميعَهُ أحدٌ إلا الله، هذا جبريل عليه السلام الذِى هو سفيرٌ بين الله وبين أنبيائه بل وبين الله تعالى وبين سائر الملائكة لأنه عليه السلام هو الـمُبَلِّغُ عن الله إلى الأنبياء وهو الـمُبَلِّغُ إلى غيره مِن الملائكة إذا قضَى الله تعالى بالوحيِ الملائكةُ لهم علامة يسمعون للسماء صوتًا خَلَقَهُ الله تعالى يسمعون فِى السماء صوتًا فيفزعون يحصل لهم خوف شديد فيسألون جبريلَ فيفهمهم أن الله تبارك وتعالى قَضَى كذا وكذا فيسبحون ربهم فيذهب عنهم الرَّوْعُ الذِى أصابهم مع أنهم من حيث عِظَم الخِلْقَة يوجد من هو أعظم خلقةً من جبريل، حملةُ العرش الواحد منهم فِى عظم خلقته يكون ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرةُ سبعمائة عام وأما ما سوى ذلك من جسده فلا يحيط به وصفُ

(١) سورة الأعراف/الآية (١٨٨).

واصفٍ إنما عِلْمُ ذلك إلى الله تبارك وتعالى أيِ العلم بسائر جسده هذا شيء يختص الله تبارك وتعالى بالإحاطة به دون أحدٍ من خلقه.

أما جبريل عليه السلام فقد ورد فِى بيان عظم خِلقته أن له ستَّمائة جناح كل جناح يسد ما بين الأرض والسماء وأنه يتناثر منه تهاويلُ الدُّرّ والياقوت يتناثر منه شيء يشبه الدر والياقوت مما يبهر الأنظار لو رءاه إنسان وهو بخلقته الأصليةِ تلك لمات صَعِقًا لَغُشِيَ عليه ومات إلا من أيده الله تبارك وتعالى كسيدنا محمد ﷺ رَءَاهُ بتلك الخلقة مرتين ولم يحصل له انزعاج الله تعالى ثبته فرسول الله ﷺ الذِى هو أفضل المرسلين وكذلك جبريل الذِى هو مُقَدَّمُ الملائكة أىْ فِى الفضل عند الله تبارك وتعالى لا يحيطان علمًا بالغيب بل لا يعلمان إلا ما عَلَّمَهُما الله تعالى وكذلك من سواهما من الأنبياء والمرسلين والملائكة المكرمين كلٌّ لا يعلمون إلا ما علمهم الله، كما أن الله تبارك وتعالى خلقهم أى كوَّنهم وجعلهم موجودين بعد أن كانوا معدومين لم يملكوا من ذلك شيئًا كذلك معلوماتهم هِىَ بخلق الله تبارك وتعالى، الله تعالى هو الذِى خلق فيهم هذه المعلوماتِ فلا أحد فيهم يعلم إلا ما علَّمه الله، وهذا الخَضِرُ عليه السلام وهو نَبِىٌّ من أنبياء الله مع ما رُزِقَ من طول العمر كذلك لا يعلم إلا ما علمه الله، فمهما اتسع العبد فِى المعرفة والعلم فإن ما عَلِمَهُ بمشيئة الله وتقديره بالنسبة إلى ما لم يعلمه من معلومات الله تعالى كالعدم كما شَبَّهَ الخَضِرُ

عليه السلام حين اجتمع بموسى عليه وعلى جميع أنبيائه الصلاة والسلام وقد وقع على حرف السفينة أيْ على طرفها عصفور فنقر أيْ أدخل منقاره فِى البحر قال يا موسى ما عِلْمِى وعِلْمُكَ فِى جنب علم الله تعالى إلا كما نقر هذا العصفور من البحر أى ليس إلا كهذا البلل الذِى أصاب منقارَ العصفور فِى القِلَّةِ.

الغلُوُّ يبْعِدُ العبد من الله تعالى، الغلوُّ وهو مجاوزة الحد، العبد الذِى يتجاوز الحد يكون بعيدًا من الله فلا يجوز الغلُوُّ فِى تعظيم مخلوق من المخلوقين لو كان نبيًّا لو كان ملكًا لا يجوز الغلو فِى تعظيمه أى لا يجوز أن نتجاوز الحد الذِى أَذِنَ الله تبارك وتعالى لنا فِى تعظيم نبىّ أو تعظيم ولىّ، لا يجوز أن نتجاوز ذلك الحدَّ لأن مجاوزته غلو والقرءَانُ نَهَى عن الغلو والنبىُّ ﷺ نَهَى فِى حديثه عن الغلو قال عليه الصلاة والسلام **لا تُطْرُونِى كما أطرت النصارى المسيحَ ابن مريم**[1] اهـ معناه لا تتجاوزوا فِى وصفِى واحترامِى وتعظيمِى القدرَ الذِى حدَّهُ الله تعالى لكم، لا تتجاوزوا هذا الحد كما تجاوزت النصارى فِى تعظيم المسيح، لا تتجاوزوا الحد الذِى أذن الله لكم فِى تعظيمِى واحترامِى.

وذلك يُحَتِّمُ علينا أن لا نشرك أحدًا غيرَ الله فِى خصائص الله تعالى، ما هِىَ خصائص الله، خصائص الله منها أنه لا يخلق أحد سواه شيئًا، الله تبارك

(١) رواه البخارىّ فِى صحيحه بَاب قَوْلِ اللَّهِ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾.

وتعالى هو الذِى يخلق الأجسام والذِى يخلق الأعمال أيِ الحركاتِ والسكناتِ فالعباد ليسوا إلا مظاهرَ يظهر عليهم ما خلق الله تبارك وتعالى فيهم الحركاتُ التِى شاء الله تعالى أن تظهر فيهم بخلقه وتكوينه تظهر فيهم، كذلك من الصفات الباطنة لا يكون إلا ما شاء الله تعالى أن يحصل فيهم. وزيادةً فِى البيان قال الله تبارك وتعالى فِى القرءان الكريم ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1] إذا كان تقلب القلب بتكوين الله وخلقه فما بالكم بالحركاتِ الظاهرية حركة اليد وحركة الرجل وحركة اللسان وحركة العين كلُّ ذلك بخلق الله تبارك وتعالى ليس بخلق العبدِ، العبدُ لا يخلق شيئًا إنما هو مَظْهَرٌ لتصاريف الله تبارك وتعالى، يَظْهَرُ على العبد ما كَوَّنَهُ الله تبارك وتعالى فيه. ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾ إذا كان الفؤادُ تَقَلُّبُهُ بمشيئة الله وخلقه وتكوينه فماذا يكون اليدُ والرجلُ والنظرُ وغيرُ ذلك من أعمال الجوارح فماذا يكون غيرُ ذلك من أعمال الجوارح؟ ومع ذلك الله تعالى أنزل فِى ما أوحَى به إلى الأنبياء أوامر يجب على العباد أن يعملوها وأنزل نواهِيَ يجب على العباد أن يتجنبوها وجعل ذلك أمارةً أىْ علامةً على أن هذا العبد مِمَّنْ شاء الله تبارك وتعالى له النعيمَ المقيمَ أو مِمَّنْ شاء الله تعالى أن يكون من أهل العذاب المقيم فأعمالُنا أماراتٌ أىْ علاماتٌ على ما سبق فِى علم الله الأزليِّ

(١) سورة الأنعام/الآية (١١٠).

للعبد من أنه من أهل الجنة أو من أهل النار، لأن الله تبارك وتعالى قال فِى الأزل ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾[1]، قبل أن يخلقنا فِى الأزل أىْ فِى ما لا بداية له قال ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ فإذًا نحن مَظَاهِرُ، جعل قسمًا منا مظاهرَ لأعمال الخير حتى يكون ذلك علامةً على أنهم من أهل النعيم المقيم فضلًا من الله تعالى وكرمًا وجعل قسمًا من العباد مظاهر لأعمال الشرّ حتى يكون ذلك علامة على أنهم يستحقون العذاب فِى جهنم فمن عذبه الله منهم فبعدله يعذبه. انتَهَى.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



(١) سورة السجدة/الآية (١٣).

**الدرس الثالث والأربعون**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# بيان أن أهم أمور الدين معرفة الله

درس ألقاه المحدث الأصولِيّ الشيخ عبد الله بن محمد العبدرِيّ رحمه الله تعالى فِي الأردن فِي بيان أن أهمَّ أمور الدين معرفة الله تعالى. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى جميع إخوانه من النبيين وءاله الطاهرين.

أما بعد فإن أهم أمور الدين معرفة الله تبارك وتعالى وإنما تكون معرفته بإثبات وجوده من غير اعتقاد أنه كشيء من الأشياء فمن تصور الله فِي نفسه كشيء من الأشياء لم يعرفه من تصوره كالأجرام الكثيفة كالإنسان والحجر والشجر والشمس والقمر فلم يعرف الله ومن تصور الله فِي نفسه جرمًا لطيفا كالنور والهواء أى الريح والظلام والروح لم يعرف الله لأن هذين الصنفين الجرم الكثيف والجرم اللطيف مهما كان كل منهما كبيرًا فهو مخلوقٌ حادثٌ أوجده الله بعد أن لم يكن، الله تعالى قال فِي القرءان ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[1] يعنى أنه خلق الظلمات والنور يعنى أنهما لم يكونا قبلُ، كانا معدومين

(١) سورة الأنعام/الآية (١).

ثم أوجدهما الله وهذا معناه أن الله ليس كالنور ولا كالظلام أى ليس جسمًا لطيفًا، وقبل هذه الجملة فِى القرءان الكريم ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[1] أفهمنا بذلك أنه ليس جِرْمًا كثيفًا كالإنسانِ والشجرِ والماءِ والنارِ والعرشِ والشمسِ والقمرِ، هذه الآية يَفهم منها مَن عنده فهمٌ صحيحٌ أن الله ليس كهذا العالم الكثيف ولا كالعالم اللطيف إنما هو موجود لا يشبه الموجودات، غاية ما يقال فيه موجودٌ لا كالموجودات.

ثم وجوده غيرُ وجود الخلق وجوده أزلىّ أبدىّ لم يسبقه عدم أما ما سوى الله سبقه عدم، النور والظلام ما كانا موجودين والزمانُ كذلك ما كان موجودًا ثم أوجده الله والمكانُ كذلك. ثم هذه العوالم الكثيفة واللطيفة لها حيز من الفراغ يحويها فخالقها لا يجوز أن يكون كذلك ولا يجوز أن يكون لطيفًا أو حجمًا كثيفًا يحويه جزء من الفراغ مقدارٌ من الفراغ أما ما سواه ما سوى الله يحويه الفراغ، حتى النور والريح لهما كمية لهما حجم لطيف له مقدار له كمية، نور الشمس له حدّ ينتهِى إليه، له كميةٌ ونور الشمعة كذلك له حدٌّ ينتهِى إليه، والريح كذلك، الأرياحُ لها حدودٌ، الملائكة يرسلونها بوزن معلوم عندهم، فخالق هذه العوالم اللطيفة والكثيفة لا يجوز أن يكون يحويه فراغ، لذلك يقول أهل الحق الله موجود بلا مكان موجود بلا

(١) سورة الأنعام/الآية (١).

جهة لأنه ليس حجمًا كثيفًا ولا لطيفًا فمن اعتقد فِى الله أنه جرم لطيف أو جرم كثيف تحويه جهة كجهة الفوق ما عرف الله، صَوَّرَهُ فِى نفسه كما هو شأن المخلوق فلم يعرفه، إنما عرفه من اعتقد أنه موجود لا كالموجودات لا يمكن تصوره فِى النفس لا يحويه فراغ ولا تحويه جهة ولا هو شىء منتشر فِى جميع الجهات فِى جميع الأماكن. أمرٌ من المخلوقات لا نقدر أن نتصوره، النور والظلام قبل أن يُخلقا ما كان نور ولا ظلام وهذا لا يمكن أن نُصَوّرَهُ فِى أنفسنا، مَنْ مِنّا يستطيع أن يتصور وقتًا ليس فيه نور ولا ظلام، نستطيع أن نتصور وقتا فيه نور ولا ظلام ونستطيع أن نتصور وقتًا فيه ظلام بلا نور أما أن نتصور وقتًا ليس فيه نور ولا ظلام لا يمكننا، فكيف يمكننا أن نتصور خالقَ هذا وغيرِهِ. سخافةُ عقل الذِى يعتقد أن الله جسم تحويه جهة كالوهابية هذه سخافة عقل هؤلاء ما عرفوا الله إنما تصوروا فِى نفوسهم شيئًا متحيزًا فِى هذه الجهة على وجه العرش، هؤلاء يعبدون شيئًا مُتَوَهَّمًا لا يعبدون شيئًا له وجودٌ، لا يوجد فوق العرش جرم حىّ سميع بصير، لا يوجد. الرسول ﷺ ما أخبر بذلك إنما أخبر أنه يوجد فوق العرش كتاب كَتَبَ الله فيه إن رحمتى سبقت غضبِى معناها إن الأشياء التِى هِىَ مظاهر الرحمة التِى يحبها الله أكثر من الأشياء التِى هِىَ مظاهر الغضب أى الأشياء التِى يكرهها وبيان ذلك أن الملائكة أكثر خلق الله أكثر من الأوراق أكثر من عدد الرمال أكثر من عدد النجوم أكثر من كل ما خلق

الله السماء الأولى مع أنها أوسع من هذه الأرض بكثير فيها بابٌ واحدٌ يسمى باب التوبة مسيرة عرضه سبعون سنة ماذا يكون جملة السماء إذا كان باب من أبوابها مسيرة عرضه سبعين سنة هذه السماء الأولى والتِى فوقها والتِى فوقها ثم التِى فوقها ثم التِى فوقها إلى السابعة، الملائكة مالئون ذلك لا يوجد موضع أربع أصابع إلا فيه ملك قائم أو راكع أو ساجد ثم هؤلاء شىء قليل بالنسبة للذين هم حافون حول العرش. العرشُ جسم سريرىُّ الشكلِ أىْ شكله كشكل السرير حوله ملائكة لا يعلم عددَهم إلا الله أما فوق سطح العرش لا يوجد إلا هذا الكتاب وكتابٌ كتب الله فيه بعض ءايات القرءان كآمن الرسول، هذا الذِى يوجد فوق العرش. هؤلاء الملائكة الذين هم أحباب الله أما ما سوى ذلك من كفار البشر والجن شىء كالعدم بالنسبة لكثرة الملائكة لذلك قال تعالى **إن رحمتِى سبقت غضبى**[1] اهـ كما كتب فِى هذا الكتاب الذِى هو على سطح العرش كما أخبر الرسول ﷺ بحديثه الثابت الصحيح عنه الذِى لا شك فِى ثبوته رواه البخارىُّ فِى الجامع الصحيح ورواه ابن حبان فِى صحيحه والبيهقىّ وغيرهما مما لا يُحصى من المحدثين. هذا الذِى يوجد فوق العرش. هؤلاء الذين يعتقدون أن رب العالمين جسد فوق العرش هؤلاء ما

(١) رواه البخارىُّ فِى صحيحه، باب قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾.

عرفوه يعبدون شيئًا لا وجود له من قال لهم إنه فوق العرش يوجد حيٌّ سميعٌ بصيرٌ متحيزٌ بقدر العرش أو على بعض العرش أو على صورة إنسان من قال لهم، هذه توهماتٌ من عندهم لذلك لم يتفقوا، كلّ فِرقة تَدَّعِى الإسلام من هؤلاء كهذه الوهابية يختلف كلامها عن غيرها. الوهابية تقول كما قال ابن تيمية، ابن تيمية قال أقوالًا مختلفة مرة قال الله بقدر العرش لا أصغر ولا أكبر ومرة قال هو أوسع من العرش ومرة إنه على الكرسىّ، والكرسىّ شىء صغير بالنسبة للعرش، وترك مكانًا لِيُقْعِدَ فيه محمدًا يوم القيامة، هذه عقيدة ابن تيمية الذِى يسميه كثير من الناس شيخ الإسلام، والوهابية تتبعه، ما يقوله تقوله فِى الغالب، لكن حصل شىء خالفوا فيه ابن تيمية، ابن تيمية يقول فِى كتاب اسمه الكلم الطيب ومعناه أنَّ هذا الكتاب كل ما فيه شىء حسن يذكر فِى هذا الكتاب أن الإنسان إذا أصابه مرض خَدَرٍ فِى رِجْلِهِ يقول يا محمد هؤلاء الوهابية عندهم قول يا محمد شركٌ كفرٌ، يقولون هذا النداء عبادة له فهو شرك، فِى هذه المسألة خالفوا ابن تيمية لعله عَنْ عَدَمِ عِلْمٍ لأن ابن تيمية قال فِى هذا الكتاب إنه مطلوب لَمن خَدِرَتْ رِجْلُهُ أن يقول يا محمد لأنه اعتمد فِى ذلك على أن عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِىَ الله عنه وعن أبيه خدرت رجله ذات مرة أصابه مرضٌ، ليس الذِى يقال له تنميل لا بل مرض مثل الشلل يحصل بالرّجْلِ يصيب الرّجْلَ ينزل بالرجل لا يستطيع الإنسانُ أن يحركها إلى أن يتعافِى منه إما

بالتداوِى وإما بدون تداوٍ على حسب مشيئة الله فقال له بعض الناس اذكر أحبَّ الناس إليك فقال يا محمد فتعافَى فِى الحال، اعتمادًا على هذا يقول ابن تيمية مطلوب لمن خدرت رجله أن يقول يا محمد، الوهابية عندهم هذا شرك يا محمد يا علىُّ يا أبا بكر يا فلان يا فلان من أنبياء الله أو أولياء الله عندهم كفرٌ عبادةُ الوثن، هم تائهون ليس لهم مُسْتَقَرٌّ، زعيمهم هذا الذِى أخذوا من كتبه أشياء من ضلالاتهم كفّروه من حيث لا يدرون، هؤلاء ليسوا شيئًا يُلْتَفَتُ إليه فاحذروهم وحَذّرُوا منهم لأنهم شَبَّهُوا الله بخلقه، خالفوا قول الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] هذه الآية تَنْفِى عن الله أن يكون جسدًا كثيفًا كالبشر والحجر والشمس والقمر والعرش وتَنْفِى عنه أن يكون جرمًا لطيفًا كالنور والظلام والريح إذن هو موجود لا كالموجودات كما يقول أهل السنة، على هذا مئات الملايين من أمة محمد، هذه الوهابية شرذمة قليلةٌ منبعُها الذِى نبعت فيه بلدةٌ قرب الرياض يقال لها دِرعيّة مِن هناك نبعوا منذ مائتين وستين أو سبعين سنة تقريبًا ظهورهم، أمّا زعيمهم محمد بن عبد الوهاب فقد توفِّى سنه ألف ومائتين وست لكن دعوته هذه ما كانت ظاهرة هو علّم بعض الأشخاص ما كانوا كثرة كثيرة بعدما مات وَسَّعوها إلى حدّ ما لكن هِىَ بالنسبة للأمة شِرذمة صغيرة جدًّا على زعمهم مئاتُ الملايين كفارٌ وهذه

(١) سورة الشورى/الآية (١١).

الشرذمة هِيَ المؤمنة هِيَ الموحّدة فإن قالوا الله تعالى قال ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾[1] نحن مع كوننا شرذمة نحن أفضل منكم وإن كنتم كثرة قولوا لهم قول الله تعالى ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ ليس معناه قليل مِن عبادِى مسلم إنما معناه الأولياء بين المسلمين قلة الشكور معناه العبد المؤمن الولىُّ الذِى يحفظ جوارحه وقلبه من المحرمات ويؤدِّى الفرائض تمامًا ويزيد على ذلك النوافل هذا الشكور، هم يُحَرِّفُون الآيات يستدلون ببعض الآيات لأنفسهم وهِيَ بعيدة منهم. الله تعالى يثبّتنا على عقيدة أهل السنة اللهم أحْيِنَا عليها وأمتنا عليها وابعثنا عليها. انتَهَى.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



(١) سورة سبأ/ الآية (١٣).

**الدرس الرابع والأربعون**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# بيان فضل التحاب فِى الله

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى سويسرة فِى السادس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة اثنتَىْ عشرة وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق للخامس من شهر تشرين الأول سنة إحدى وتسعين وتسعمائة وألف رومية وهو فِى بيان عظيم فضل التحاب فِى الله والتطاوع وحسن الخلق. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله.

أما بعد فمن حديث أبِى هريرة رضى اللّه عنه أنّ رسول اللّه ﷺ قال قال اللّه تعالى**المتحابّون بجلالِى أُظِلُّهُمْ فِى ظِلّى يوم لا ظِلّ إلا ظِلّى**[١] اهـ هذا الحديث حديث صحيح رواه الإمام مالك فِى الموطإ[٢]، ورواه الحاكم فِى المستدرك[٣]، فيه الترغيب بالتحاب أى فِى أن يتحابّ المسلمون بعضهم بعضًا، وفيه بشارة عظيمة

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب فِى فَضْلِ الْحُبّ فِى اللَّهِ.
(٢) رواه مالك فى الموطإ باب ما جاء فى المتحابين فى الله.
(٣) رواه الحاكم فى المستدرك كتاب البر والصلة.

للمتحابين فِى اللّه بأنهم يكونون يوم القيامة فِى ظلّ العرش، ذلك اليوم لا يوجد ظل إلا ظلُّ اللّه وظِلُّ اللهِ هو ظِلُّ العرش، اللّه تبارك وتعالى تشريفًا للعرش ولظله قال ظِلّى، وأما اللّه تبارك وتعالى فذاته ليس كسائر الذوات ليس جسمًا لطيفًا ولا جسمًا كثيفًا، هو خلق الجسم اللطيف وخلق الجسم الكثيف. فتبين أن معنى قوله تعالى فِى هذا الحديث القدسى ظلى معناه الظل الذِى خلقتُهُ أنا وشَرَّفْتُهُ وكَرَّمْتُهُ لأن العرش لم يُعْصَ اللّهُ تبارك وتعالى فيه، إنما الملائكة الذين لا يُحصِى عددهم إلا اللّه حافّون من حوله يسبحون بحمد ربّهم ثم هو أعظم المخلوقات، من حيث المساحة لم يخلق اللّه أعظم منه.

قال الله تبارك وتعالى فِى هذا الحديثِ القدسى **المتحابُّون بجلالِى أُظِلُّهُمْ فِى ظِلّى يومَ لا ظلّ إلّا ظلّى** والحديثُ القدسىُّ هو ما يرويه رسول اللّه ﷺ بصيغة قال اللّه تعالى مما ليس فِى القرءان، إذا الرسول ﷺ قال قال اللّه تعالى أو يقول اللّه تعالى مما ليس فِى القرءان فذلك يُسَمَّى حديثًا قدسيًّا. يوم القيامة لا يوجد ظل إلا ظل العرش، فِى الموقف لا يوجد ظل إلا ظل العرش لأن اللّه تعالى ينسف الجبال نسفًا تصير كالغبار الناعم فتتطاير فِى الجو، لا يبقى على وجه الأرض جبل ولا شجرٌ ولا صخرة ولا كهف يستظل تحته، والحرُّ حرُّ الشمس أزيدُ من اليوم بكثير بمراتب كثيرة، الأتقياء يكونون تحت ظل العرش لا يصيبهم شىءٌ من حرّ الشمس، والرسول عليه الصلاة والسلام عدَّ أناسًا

يكونون ذلك اليوم فِى ظل العرش من جملتهم المتحابون بجلال اللّه أى المسلمون إذا تحابّوا لله تعالى ليس للدنيا للمال ليس للقرابة بل لأن هذا مؤمن وهذا مؤمن هذا يعينه على الخير على ما يرضى اللّه تعالى يعينه، كلاهما يتعاونان على عمل الخير وينصح أحدُهما الآخَرَ كلٌّ منهما إذا رأى الآخر على شىء مُنْكَرٍ ينصحه يقول له اترك هذا الشىء اتق اللّه وإن رءاه على عمل الخير يشجعه ولا يغشه، هذا معنى المتحابون بجلالى معناه لا يتغاشُّون لا يعامل بعضهم بعضًا بالغش والخيانة والمداهنة، هؤلاء صنف من الذين يظلهم اللّه يوم القيامة فِى ظل العرش وهناك أناس ءاخرون ورد فِى الحديث الصحيح أن اللّه يظلّهم فِى ظلّه ذلك اليوم، من جملة ذلك من كان له دَين على مسلم فأسقط عنه الدين لوجه اللّه تعالى أو حان أجل الدين فَأَنْظَرَهُ، أخَّر له المطالبة هذان من جملة من يظلهم اللّه تعالى فِى ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه.

اللّه تبارك وتعالى أخبر فِى القرءان الكريم أن الأرض يوم القيامة لا يكون فيها وِهادٌ حُفَرٌ ولا هِضاب، تُغَيّرُ الأرضُ لا تبقى على هذه الحال، ثم اللّه تبارك وتعالى أخبر بأنه يَدُكُّ الأرض والجبال دكًّا، معناه تكسّر وتتحطّم، الجبال تتكسر فتصير كالغبار فتطير فِى الجو، الذِى لا يعرف الحقيقة يظنها من كثرة ما تتطاير فِى الجو تنتشر فِى الجو يحسبها شيئًا جامدًا غبارًا جامدًا فِى الفضاء وهِىَ تمرّ مرًّا سريعًا هذا الذِى قال اللّه تعالى ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ

ٱلسَّحَابِ﴾[١].

هذا الفضل الذِى ذكر فِى هذا الحديث هو لمن يتعامل بالنصيحة لا بالغش والمداهنة لا يساعد هذا على هواه بل يساعده على ما يحب اللّه وإن رءاه على منكر ينهاه، هؤلاء الذين هم يكونون ذلك اليوم تحت ظل العرش وورد فِى فضلهم فِى حديث[٢] ءاخر صحيح أنهم يكونون ذلك اليوم على مَنَابِرَ من نور، منابر خلقها اللّه تعالى من النور يجلسون عليها، حتى الشهداء يعجبون بأمرهم والأنبياء، الأنبياء أعلى درجة ومع ذلك عندما ينظرون إلى أولئك الذين كانوا فِى الدنيا متحابّين فِى اللّه تعالى يُعجَبُونَ بهم ويفرحون لهم، أما الذين يتحابّون فِى الدنيا على الهوى على شىء من المعاصِى يتحولون أعداءً يوم القيامة ولو كانوا أقرباءَ يَتَعَادَوْنَ ذلك اليوم، لذلك إذا الإنسان أحبّ أخاه المسلم فليحبَّه بإخلاص أى لا يَغُشَّهُ لا يُزَيّنْ له الباطل ولا يَخُنْهُ، يُبَيّنُ له الحقيقة يدله على الخير الذِى يحبه اللّه وينهاه عن الشر الذِى يكرهه اللّه، هؤلاء هم المتحابون بجلال اللّه.

والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة النمل/الآية (٨٨).

(٢) روى الترمذى فى سننه فى باب ما جاء فِى الحب فِى الله عن مُعَاذ ابْن جَبَل قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُتَحَابُّونَ فِى جَلَالِى لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ اهـ قال وَفِى البَاب عَن أَبِى الدَّرْدَاءِ وَابْنِ مَسعود وعُبادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَأَبِى هُرَيرَةَ وأَبِى مالِكٍ الأَشْعَرِىّ هَذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ اهـ

**الدرس الخامس والأربعون**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# بيان أن التبرك والتوسل بالأنبياء والأولياء جائز بالإجماع وبيان مخالفة ابن تيمية المسلمين فِى ذلك

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى سويسرة فِى السادس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة اثنتَىْ عشرة وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق للخامس من تشرين الأول سنة إحدى وتسعين وتسعمائة وألف رومية وهو فِى بيان جواز التبرك والتوسل بالأنبياء والأولياء بالإجماع وأن من خالف فِى ذلك ابن تيمية وتبعه محمد بن عبد الوهاب. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه.

أما بعد فإذا زار المسلم قبر النبىّ أو قبر الولىّ لطلب البركة من اللّه جائز بإجماع علماء الإسلام من الصحابة وهَلُمَّ جرّا.

التبرك بقبور الأنبياء والصالحين جائز الذِى يحرمه

فهو ضالٌّ زائغٌ وذلك لأنه صح فِى الحديث ما رواه أحمد[١] وما رواه الحاكم[٢] فِى مستدركه قال جاء أبو أيوب رضى اللّه عنه إلى قبر النبىّ ﷺ فوضع وجهه على قبره فمرّ مروان بن الحكم فقال ما هذا فالتفت أبو أيوب فعرفه مروان، فقال أبو أيوب رضى اللّه عنه ما أتيت الحجر إنما أتيت رسولَ اللّه ﷺ إنى سمعت رسول اللّه يقول **لا تَبْكُوا على الإسلام إذا وَلِيَهُ أَهْلُهُ ولكن ابكوا عليه إذا وَلِيَهُ غيرُ أهله** اهـ هذا الحديث صحيح. أبو أيوب الأنصارى رضى اللّه عنه الذِى هو أحد المشاهير من أصحاب رسول اللّه ﷺ من السابقين الأولين فَعَلَ هذا الفعل للتبرك وضع وجهه على قبر الرسول ﷺ، للتبرك والشوق إليه وضع وجهه على قبر الرسول ﷺ وما أنكر عليه أحد من الصحابة أما مروان هذا حاكمٌ مِن قِبَلِ معاوية ليس صحابيًّا. الصحابة ما أنكروا عليه ما قالوا له كيف تضع وجهك على قبر الرسول. ثم بعد ذلك علماء المسلمين الأكابر الأولياء لم يزالوا يعتبرون زيارة قبر النبىّ لطلب البركة من اللّه بزيارته بالدعاء هناك رجاء إجابة الدعاء، لم يزل هذا دأبَ السلفِ والخلفِ كذلك، حتى إنه سئل الإمام أحمد بن حنبل رَضِىَ الله عنه سأله ابنه عبد اللّه قال سألته عن رجل يمس منبر النبىّ ﷺ ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك للتبرك تقربًا إلى اللّه تعالى فقال الإمام أحمد

(١) رواه أحمد فى المسند، مسند أبى أيوب الأنصارى (ح ٢٣٥٨٥).
(٢) من حَدِيث أَبِى عَوَانَةَ، قال الذهبىّ فِى التلخيص هو صحيح.

لا بأس بذلك، وهكذا كُتُبُ الحنابلة يذكرون بعد القرن السابع والثامن يذكرون فِى مؤلّفاتهم كالذين سبقوهم أنه يجوز مس القبر للتبرك وقليل منهم قال مكروه معناه تركه أحسن ثم كان جماعة من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، عندما يخلو المسجد مسجد الرسول ﷺ، عندما يَقِلُّ الناس يقومون يضعون أيديهم على رمانة المنبر، منبرُ الرسول ﷺ كان له رمّانة رُكِّبت عليه الرمانة، الرمانة شىء مستدير هكذا مركب على ناحية منه يضعون أيديهم للتبرك ويدعون اللّه تعالى ليستجيب اللّه لهم دعاءهم فِى هذه الحال، فِى الحال التِى وضعوا أيديهم على رمّانة المنبر النبوىّ، هذا فعلُ جماعة من الصحابة. روى هذا الأثر الحافظ أبو بكر ابن أبِى شيبة فِى كتابه المصنف. ثم أحد الحنابلة يقال له الحافظ عبد الغنِىّ بن سعيد كانت خرجت له دُمَّلَةٌ تداوى منها فأعياه علاجها ما كان يتعافِى فذهب إلى قبر الإمام أحمد بن حنبل رَضِىَ الله عنه مسحها هكذا هذه الدُمّلَة التِى أتعبته، مسحها فتعافَى، هذا من حفاظ الحديث ما أحد أنكر عليه لكن فِى هذا العصر كثر الذين يقولون لمن مسّ قبر ولى أو نبى مشرك كافر هؤلاء اليوم فِى هذا الزمن كثروا فاحذروهم، هؤلاء من أين اخذوا هذا الشىء أخذوا هذا الشىء من رجل يقال له ابن تيمية مات سنة ثمانية وعشرين وسبعمائة، هذا الرجل هو الذِى شَوَّشَ على المسلمين أمورهم، قبل ذلك ما كان أحد يحرِّم زيارة قبر النبىّ ﷺ للبركة أى طلب البركة من اللّه رجاء إجابة الدعاء عنده

وكذلك عند غيره من الأنبياء والأولياء، ما كان أحد ينكر قبل أن يُحدث ابنُ تيمية هذا القول الشاذَّ، ثم بعد أن مات ابنُ تيمية بنحو أربعمائة سنة رجلٌ يقال له محمد بن عبد الوهاب من أهل نجد الحجاز أخذ هذا الأمر من كتب ابن تيمية فأحيا هذا الشيء الذِى كاد يندرس، ابنُ تيمية فِى أيامه كان الملِك محمد بن قلاوُون كان يحكم بر الشام كله وبَرَّ مصر والحجاز هو لما وصل إليه أمر ابن تيمية أنه شوش على المسلمين فِى بر الشام بعد أن حُبس عدّة مرات فِى دمشق والإسكندرية وفِى القاهرة الملك أمر القضاة الأربعة، كان فِى القاهرة قاضٍ حنفِىٌّ وقاضٍ مالكىٌّ وقاضٍ حنبلىٌّ وقاضٍ شافعىٌّ أمر هؤلاء بأن ينظروا فِى أمره فنظروا فِى أمره فقالوا هذا الرجل ضال يجب التحذير منه فأُبلغ الملك هذا الأمر فعمل الملك منشورًا هذا المنشور أَمَرَ أن يُقرأ على المنابر فِى بر الشام وفِى بر مصر للتحذير من ابن تيمية ومن أتباعه ونفّذ الملك ما قرره هؤلاء القضاة الأربعة قالوا يُحبس الحبس الطويل فَرُدَّ إلى دمشق فحبس ظل فِى الحبس حتى مات. أعطوا بالكم أعطوا بالكم هذا الرجل هو أول من حرّم زيارة قبور الأنبياء والأولياء للتبرك أى ليعطيهم اللّه البركة فِى هذه الزيارة هو أول من حرم بل جعل هذا شركًا هو جعله كفرًا وشركًا، فلا يلتفت لرأى ابن تيمية وأتباعه الذين اليوم انتشروا فِى بعض البلاد فلا تلتفتوا إلى كلام هؤلاء، هؤلاء شاذون خالفوا السلف والخلف، حُفَّاظ الحديث بعد ابن تيمية كانوا يتبركون

بزيارة قبور الأولياء، حفاظ الحديث بعد ابن تيمية كانوا كالذين كانوا قبل ابن تيمية كهذا الحافظ الذِى ذكرناه الحافظ عبد الغنى بن سعيد هذا قبل ابن تيمية بعد سنةِ أربعمائة كان، كذلك الحافظ سراج الدين بن الملَقّن هذا توفِى بعد ابن تيمية بنحو ستين سنة، هذا من حفاظ الحديث من الفقهاء الشافعيين حفاظ الحديث هذا له كتاب اسمه طبقات الأولياء يذكر فيه تراجم أولياء من السلف والخلف قال فِى هذا الكتاب أنا ذهبت إلى قبر معروف الكرخى هناك وقفت دعوت اللّه تعالى عدة مرات فالأمر الذِى كان يصعب عَلَىَّ ينقضِى لما أدعو اللّه هناك عند قبره.

هذا معروف الكرخى من الأولياء البارزين المشهورين فِى بغداد معروف العامة والخاصة يقصدون قبره للتبرك حتى قال بعض علماء الحديث قبر معروفٍ الترياقُ المُجَرّب، معناه زيارة قبر معروف لقضاء الحاجات ترياق مجرب. الترياق هو دواء مركب معروف عند الأطباء القدماء كانوا يركّبون أدويةً يسمونها التّرياق، بعض السلف بعض أكابر السلف ممن كان فِى زمن الإمام أحمد بن حنبل اسمه إبراهيم الحربى، أبو إسحٰق إبراهيم الحربى كان يُشَبَّهُ بالإمام أحمد رَضِىَ الله عنه، كان عاصَرَهُ كانا فِى زمن واحد وكان أحمدُ أرسل ابنه عبد اللّه ليتعلم عنده الحديث، هذا الإمام الجليل الحافظ الفقيه المجتهد قال قبرُ معروفٍ الترياقُ المجرَّب وقال أيضًا تقبيل حجرة النبىّ ﷺ مستحب حجرة النبىّ ﷺ هِىَ التِى دفن فيها أى

بيت عائشة رَضِيَ اللّه عنها هذه الحجرة يقول إبراهيم الحربى الإمام إبراهيم الحربى تقبيل هذه الحجرة مستحب يعنى فيه ثواب لأنه تبركٌ برسول اللّه ﷺ تعظيمٌ له. هذا هو الحقيقة فلا تغتروا بهؤلاء الذين يكفّرون مَن قصد قبرَ نبىّ أو ولىّ للتبرك ليدعوَ هناك فيستجيبَ اللّه دعاءه وييسرَ له أمره ويكشفَ عنه الشدة هؤلاء الذين يكفّرون هؤلاء المتبركين لا تعتبروهم شيئًا، ثم هم يَكْذبون يقولون للناس نحن سَلَفِيَّةٌ يعنى نحن نتبع الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ومن تبعهم إلى حدود الثلاثمائة من كان من علماء الإسلام فِى حدود الثلاثمائة الأولى يقال لهم سلف ومن جاء بعدهم يقال لهم خلف هؤلاء يسمون أنفسهم السلفية وهم ضد السلف والخلف.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



**الدرس السادس والأربعون**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# بيان أن أفضل الأعمال الإيمان بالله ورسوله ثم الصلوات المكتوبات

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى شهر رجب من سنة تسع وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق لشهر ءاذار من سنة تسع وثمانين وتسعمائة وألف رومية فِى مدينة لوزان فِى سويسرة وهو فِى بيان أن معرفة الله ومعرفة رسوله أفضل الأعمال ثم الصلوات المكتوبات. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً.

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن صلوات الله البرّ الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين وسلام الله عليهم أجمعين

ثم قد رُوّينا فِى كتاب الاعتقاد للبيهقىّ من حديث عثمان بن عفان رضى الله عنه مرفوعًا من مات وهو يعلم أن لا إله إلّا الله دخل الجنة اهـ وهو بمعنى ما رواه البزار فى مسنده من حديث عمران بن الحصين رضى الله عنه أن النبىّ ﷺ قال **من عَلم أن اللهَ رَبُّهُ**

**وأنّى نَبِيُّهُ دخلَ الجنة** اهـ

هذا الحديث يدل على أن أصل الإسلام أن الأمر الذِى لا بُدّ منه فِى تحقق الإسلام والإيمان هو اعتقاد وحدانيّة الله تعالى وأنه هو الذِى يستحق أن يعبد لا أحد يستحق أن يعبد أى يُتذلل له نهاية التذلل إلا الله. وأما قولُه عليه السلام وعلم أنِى نبيُّه، أىْ رسوله من أيقن بذلك إيقانًا لا يخالطه شَكٌّ وريبَةٌ فلا بد أن يدخل جنة الله تعالى سواء كان دخولُه للجنّة ابتداءً أىْ من غير عذاب أو كان بعد عذاب فإنَّ مَنْ مات على ذلك فمآلُه الجنة، وهذا هو المراد فِى الحديث الذِى رواه ابن حبان فِى صحيحه **مَن كان ءاخِرُ كلامِهِ لا إله إلا اللهُ دخل الجنة يومًا من الدهر وإنْ أصابَهُ قبل ذلك ما أصابَهُ**[1] اهـ فمن مات على الإسلام فلا بد أن يدخل الجنة إما مع الأولين أى مع الذين يدخلون الجنة أولًا وإما مع الآخِرين قال عليه السلام **وإن أصابَه قبل ذلك ما أصابه**» أى لو كان يصيبُه بذنوبه التِى مات ولم يتب منها نوع من العذاب، والعاقبة عِلمُها عند الله فنسأل الله تعالى أن يختِم لنا بالإيمان، فلذلك كان أهمُّ الأمور الثباتَ على الإسلام وذلك بترك الكفرياتِ، الكفرياتِ القوليةِ والكفرياتِ الاعتقاديةِ والكفرياتِ الفِعْلِيَّةِ وذلك لأنّ من أطلق لسانَه فنطق بما هو استخفافٌ بالله تعالى أو بدينه أو بجنّته أو

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه، ذكر العلة التِى من أجلها أمر بهذا الأمر.

بوعده أو وعيده أو استخفَّ بنبىّ من أنبيائه أو بملَك من ملائكته مع العلم بأن ذلك من ملائكة الله فإنه يُحْبِطُ أعمالَه ويَخْرُجُ من الإسلام.

ثم إنَّ حِفْظَ اللسانِ سهلٌ ليس عَسِرًا لكن الذِى يريد أن يتبع هواه أى أن يتكلم بما تشتهيه نفسه كلَّما عَرَضَ له شىءٌ تشتهِى نفسه أن تتكلم به تَكلم به فإنه يُهْلِكُ نفسه. النفسُ أمّارة بالسوء فبعض الناس يقعون فِى الكفر لأنهم لا يفكرون فيما يتكلمون به قبل أن يتكلموا، لا يفكرون هل هذا الكلام سالم أم غيرُ سالم، من دون تفكيرٍ ونظرٍ يتكلمون بما يَخطرُ لهم، هؤلاء هم أهلكوا أنفسهم وإلا فليس حفظ اللسان من الأمور الشاقة، إنما النفوس تُسرع إلى أن تحقق مشتهياتِها لأن الشهوة أنواع منها شهوةُ اللسان، لسان الإنسان يحبّ أن يتكلم بما فيه غِيبَةٌ للغير، كثيرٌ من الناس يحبون أن يَتَفَكَّهُوا بذكر عيوب الناس، أكثرُ الناس هذه حالتُهم يحبون أن يتفكهوا بذكر عيوب الناس فمِنْ أجل ذلك أكّد الرسول ﷺ على أمتّه حفظَ ألسنتهم. رُوّينا فِى جامع الترمذى حديثًا مرفوعًا إلى النبىّ عليه السلام **من صمتَ نجا**[1] اهـ أى من لزم السكوت عما لا خير فيه نجا أى حَفِظَ نَفْسَهُ من الهلاك لأن أكثر ذنوبِ ابنِ ءادمَ مِن لسانه.

ثم بعد صحّة الإيمان والإسلام أهم أمور الدّين عند

(١) رواه الترمذىّ فى سننه باب إكرام الضيف وقول الخير.

الله الصلواتُ الخمس، رُوّينا فِى كتاب المعتقد[١] للبيهقىّ رحمه الله أنه كان أول ما يبدأ به رسول الله إذا دخل الرجل فِى الإسلام أن يأمُرَه بالصلاة، الصلواتُ الخمس أفضل الأعمال كلّها بعد الإيمان بالله وبرسوله ﷺ، لا يقوم مقامها عمل ءاخر من الأعمال الحسنة، وذنبُ تركِ الصلوات الخمس أعظم عند الله من كل المعاصِى إلا الكفرَ وَقَتْلَ النفس التِى حرم الله إلا بالحق والزنى، هذا عند العلماء الذين لم يقولوا بتكفير تارك الصلاة ومنهم من قال بتكفيره وهم جماعة من السلف أشهرهم أحمد بن حنبل رضِىَ الله عنه وأما عند الجمهور أى جمهورِ علماءِ الإسلام فأعظم الذنوب عند الله بعد الكفر قتل النفس التِى حرم الله إلا بالحق ثم الزنى ولا سيما الزنى بحليلة الجار أى بزوجة الجار فهو أى الزنى بحليلة الجار أشد من الزنى بغيرها عشر مرات، ثم بعد ذلك يتردد النظرُ ما أشد المعاصِى بعد ذلك. قتلُ النفس بغير حق عند الجمهور هو أعظم الذنوب بعد الكفر، ثم الزنى. ثم القتل أيضًا يتفاوت فِى شدة الذنب فأشد الذنب ما ورد فِى حديث عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه الذِى أخرجه البخارىّ[٢] أنه قيل يا رسول الله أى الذنب أعظم؟ قال **أن تقتل ولدك خشية إملاق** اهـ فِى هذا الحديث ذِكْرُ قتل الشخصِ ولدَه، كان فِى الجاهلية

(١) المشهور بالاعتقاد.

(٢) باب قتل الولد خشية أن يأكل معه.

بعض الناس يقتلون البنت إما مخافَة الفقر وإما مخافة العار أى أن تُلحِقَ بأبيها العار إذا كبِرَت كما كان حصل فِى الجاهلية أن رجلًا كان غزاهم قوم يعادونهم فأسروا عددًا منهم، من جملة مَن أسروهم بنتٌ لهذا الرجل الذِى هو وجيه فِى قومه رجل معتبر، ثم تصالحوا تصالحت القبيلتان، ثم هؤلاء الذين أسروا من هذه القبيلة بعد المصالحة أرادوا أن يردُّوا من أحب الرجوع إلى أهله، فخُيّرت بنت هذا الرجل التِى أسرت قيل لها تحبين أن ترجعى إلى أبيك أم تختارين هذا الرجل الذِى أخذك، فقالت أختار هذا الرجل، فغضب أبوها غضبًا شديدًا فحلف أنه إن وُلِدَ له بعد ذلك بنت ليدفننَّها وهِىَ حيّة، فجاءه بعد ذلك ثمان بنات، فدفنَهُنّ وهُنّ حيّات، هذا كان فِى وقت كفره هذا الرجل، ثم بعد ذلك تداركته رحمة الله بأن أسلم وندم على ما كان فعله قبل ذلك، وكان بعد إسلامِه من خيار المسلمين فقال قائل عندما تُوفِى هذا الرجل هو اسمُه قَيسُ بنُ عاصم قال الشاعر فِى رثائِه له

وما كانَ قيسٌ هُلكُهُ هُلكَ واحد
ولكنّه بُنيَانُ قَومٍ تَهَدَّمَا

هو هذا قيس بن عاصم كان معروفًا بالحِلم بعدما أسلم، الله تبارك وتعالى زاده حلمًا على ما كان عليه قبل إسلامه من الحلم والكَرَم والوفاء، زاده الإسلام فِى ذلك. مما حصل له من العَجَب فِى الحلم أن ابنَ أخ له قتلَ ابنًا له فأُتِىَ بابن أخيه القاتل مكتوفًا، فلما

أُحْضِرَ إليه ابنُ أخيه هذا قال فُكّوا عنه ثم وبَّخه على قتلِه ابنَه، لا ضربَه ولا فعل به شيئًا إنما وبّخه ثم قال أعطُوا أُمَّ هذا المقتول، أعطَوا أُمَّ ابنِهِ المقتولِ أعطَوا أمّه لكونها غريبة، تزوجها من غير قومه هِيَ كانت غريبة ليطيّب خاطرها، قال أعطوها مائة من الإبل، وهذا مال كثير. الإبل اليوم الواحدة من الإبل تساوى عشرة ءالاف ريال سعودى هذا من جملة ما كان عليه من عظم الحِلم، وهذا مِصداق حديث رسول الله ﷺ **خيارُ الناس فِى الجاهلية خِيارُهم فِى الإسلام إذا فَقُهُوا**[1] اهـ أى أن من كان فِى حال الكفر من خيار الناس بأن كان وفيًّا بالعهود كريمًا يساعد المنهوكين والمنكوبين صادقًا فِى معاملته للناس فهو يزيد فِى ذلك إذا أسلم وعرف دين الله، إذا فقهوا معناه إذا تعلموا الدين، من كان فِى الجاهلية أى فِى أيام كفره إنسانًا طيّبًا فإنه إذا أسلم يزيد طيبًا، إذا فَقِه أى إذا تعلّمَ الدينَ إذا تعلّم الحلالَ والحرام ما يحبُّ الله وما يَكره يكون هو خيارَ الناس بعد إسلامه أى يزيد فضلًا وخيرًا على ما كان قبل إسلامه، وهذا الحديث رواه البخارىّ، وأولُه **الناسُ معادنُ خِيارُهُم فِى الجاهلية خيارهم فِى الإسلام إذا فَقُهُوا**[2] اهـ المعنى أن الناس

---

(١) رواه أحمد فِى مسنده فِى ما أُسند إلى جابر بن عبد الله رضى الله عنه.

(٢) رواه البخارىّ فِى صحيحه باب قول الله تعالى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴿١٣﴾﴾.

كفارُهم ومؤمنوهم معادن أى مختلفة، فمنهم من كان فِى الجاهلية أى قبل إسلامه بحالة محبوبة من الوفاء والكرم والصّدق فِى الحديث ومعاملة الناس والشفقة على عباد الله ومنهم من هو على خلاف ذلك. وبعد إسلام المرء من كان فِى أيام جاهليته بصفاتٍ حسنة يزيد فِى الإسلام بالصفات الحسنة بارك الله فيكم جميعًا. انتَهَى.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



**الدرس السابع والأربعون**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# شرح حديث إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى فِي العشرين من شهر رمضان سنة ثلاث وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق للأول من شهر تموز سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف رومية فِي سويسرة وهو فِي شرح حديث إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الْحَمْدُ لله رَب الْعَالَمِينَ لَهُ النّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وله الثناءُ الحسن. أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا الله وحْدهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ محمدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ فإنَّ اللهَ تبارك وتَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِه الْعَزِيز الْقُرءان الْكَرِيم ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾[1] وَرُوّينَا فِي جَامِع التّرمذيّ أنّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ **إِنَّ الله فَرَضَ فَرائض فَلَا تُضَيّعُوهَا وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا وَسَكَتَ عَنْ**

(١) سورة الطلاق/ الآية (١).

**أَشْيَاءَ**[١] **رَحْمَةً بِكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا**[٢] اهـ أمُورُ الدين مَبْنِيَّةٌ على شَيئين أحدُهُمَا أداءُ الفرائض والآخَرُ اجتنابُ المحرمات، فمن أَهْمَلَ هذا طَلَبَ الدّينَ بالعكس فضَلَّ وأهلكَ نَفْسَهُ، فليكن اعتناءُ المسلم بهذين الأمرين أكثَرَ وأقوى من اهتِمامِه بغيرِهما، لا يجعل المسلمُ النوافِلَ بمنزلة الفرائض ولا يَجْعَل المحرَّمات بمنزلة المكروهات فإنّ أُنَاسًا لا يهتمّون ولا يبالون إن فاتتهم فرائضُ أو ارتكبوا محرَّماتٍ إنما هَمُّهُمْ أن يتعلَّقوا بأشياءَ ليست من قَبيل الفرائض ولا من قَبيل اجتناب المنهيات المحرّمات، فهؤلاء يقضون أعمارَهُمْ وهم فِى الغُرور، يقضون أعمَارهم وهم تائهون. والسَّبيلُ إلى ذلك أى إلى التّمسُك بالأمرين اللَّذَيْن هما أَهَمُّ أمور الدين أداء الفرائض واجتناب المحرّمات هو تلقّى العلم الشرعِىّ من أهل المعرفة ولو مشافهةً بالمجالسة من غير قراءةٍ ودراسةٍ فِى كتابٍ نَظَرًا. ليس الشّرطُ قراءةَ كتابٍ من كتب العلم الشرعى يُبَيّنُ ما فَرَضَ اللهُ وما حَرَّمَ الله، إنّما الأصلُ الذِى لا يُسْتَغْنَى عنه وعليه الْمُعَوَّلُ والاعتمادُ تَلَقِّى هذا الْعِلْم مِنْ أهل المعرفة إن كانَ نَظَرًا فِى كتابٍ وإن كانَ بدون نَظَرٍ فِى كتابٍ. فقد وصفَ الله تبارك وتعالى أصْحابَ نَبِيّه بأنّهم أُمِّيُّونَ،

(١) قوله (وسكت عن أشياء) أىْ لم يوحِ بحكم بعض الأشياء صراحة.

(٢) رواه الحاكم فِى المستدرك والبيهقىّ فى السنن الكبرى، باب ما لم يذكر تحريمه ولا كان فى معنى ما ذكر تحريمه مما يؤكل أو يشرب ورواه الدارقطنىّ فِى باب الخراج بالضمان.

قالَ الله تبارك وتعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[1] قالَ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ معَ وصفه لهم بأنهم أميّونَ أى لا يقرؤونَ نَظَرًا، قالَ ووصفَ نَبِيَّهُ بأنّه أُمِّيّ أىْ لا يَعْرِفُ الْخطَّ وقراءةَ ما اخْتُطَّ ومَعَ ذلك كان الصَّدْرُ الأَوَّلُ وهم أصحابُ رسول الله ﷺ مِن بين أمّة محمدٍ ﷺ خَيْرَ القُرون أىْ أنَّهم أفضلُ ممّن يأتون بعدَهم إلى يوم القيامة، هو الرسولُ ﷺ قال **خَيْرُ الْقُرُون قَرْنِى ثم الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثم الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**[2] اهـ مَع أنّ الكتابةَ والخَطَّ أىْ تَعَلُّمَها كان فيمن بعدَ الصّحابة أكثرَ بكثيرٍ، نِسبةُ الذين يَقْرَؤُنَ المكتوبَ نَظَرًا فِى الصحابة أقلٌّ بكثيرٍ من نِسْبَتِهِمْ فيْمن بعدَهم، لم يَمْنَعْهُمْ كونُهُمْ أمّيين من كونِهِم فقهاءَ فِى دين الله، لأنهم كانوا يُعَوّلُونَ على التّلقّى الشّفَوِىّ، كانوا يعتمدون على التّلقى الشّفوىّ الذِى هو الأَصْلُ.

فالحاصِلُ أن أهَمَّ الأمور فِى الدّين هو معرفةُ الواجبات التِى افترضَها الله على خَلْقِه، وتَعَلُّمُ المحرَّمات التِى افترضَ الله على عبادِه تَجَنُّبَهَا، هذا الأَصْلُ، فمن حَصَّلَ هذا الأَصْلَ إن كان بطريق النظر فِى كتابٍ على وجه التَّلَقِّى مِنْ أهل المعرفة وإن كان بطريق المشافهة أى التَّلَقِّى الشّفوى فقد حَصَلَ على المطلوب، وأمّا مَنْ فاتَهُ هذا فقد خَسِرَ خُسْرَانًا كبيرًا،

(١) سورة الجمعة/ الآية (٢).

(٢) رواه البخارِىّ فِى صحيحه باب فضائل أصحاب النبىّ ﷺ.

لأن الذِى لا يتلقى الْعِلْمَ من أهل المعرفة الذين تَلَقَّوْا عمَّن قَبْلَهُمْ من أهل الْعِلْم إلى أن ينتهِىَ التّسلسلُ إلى أصحاب رسول الله ﷺ الذين تَلَقَّوْا منه مشافهةً فإنَّه لا يكون على بَصِيْرةٍ فِى أمْر الدّين، وَلَا يَكُونُ الْمَرْءُ فَقِيْهًا وَلَا عَالِمًا فِى الدّين إلا بِالتَّلَقّى مِنْ أَهْل الْمَعْرِفَة إن كَانَ عَنْ نَظَرٍ فِى كتابٍ ليستَفيدَ حَلَّ مَعَانِىَ هذا الكتاب من ذى مَعرِفةٍ وكفاءَةٍ وثِقةٍ، أو بمجرّد التّلقى الشّفوى من غير نَظَرٍ فِى كتابٍ من كتُب العِلْم الشّرعى، فقد ذَكَرْتُ لكم فيما مَضَى أكْثَرَ من مرّةٍ أنّ عَبْدَ الله بنَ عباس رَضِىَ اللهُ عنهما ابْنَ عم رسول الله ﷺ الذِى أخَذَ من الرّسول ﷺ من عِلْم الدّين ما كتبَ اللهُ لَهُ مشافهةً ولِمَا رأى فيه رسول الله ﷺ من النّجَابَة والإقْبال التّام على تعلُّم الدين التزمَهُ ودعا لَهُ بأن يعطيه الله فهم القرءان والحديث وكان من شدّة حِرْصِه على تعلُّم أمور الدين كان يَبيتُ فِى بيت رسول الله حينَ يكونُ رسولُ الله ﷺ فِى بَيْت ميمونَةَ التِى هِىَ زَوْجَةُ رسول الله وخَالَةُ عبد الله بْنِ عباس، مِنْ شدّة حِرْصِه كان يَبِيتُ لِيَعْلَمَ ما يَفْعَلُ الرسولُ ﷺ فِى الليل من أمور العِبادة وماذا يَسْمَعُ منه، هذا عبد الله بن عباس رضِىَ الله عنهما بعد أن تُوُفِّى الرسولُ ﷺ ما قالَ أنا يكفِيْنى أنّى كنتُ حضرتُ للرسول مجالسَ كثيرة ولُغَتِى لُغَةُ القرءان التِى أُنْزِلَ القرءانُ بها، بل كان يذهَبُ إلى هذا وإلى هذا من أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم أكبرُ منه سنًّا وأكثرُ ملازمةً للرّسول ﷺ كَزَيْد بن ثابتٍ رضى الله عنه مَعَ تواضُعٍ وإجْلالٍ وإعْظامٍ لمن يتلقَّى منهم.

ثَبَتَ بالإسناد الصحيح أَنَّ عبدَ الله بنَ عباسٍ ذهبَ إلى بيت زيْد بن ثابتٍ رضى اللهُ عنهم فأخذ بِرِكَاب دابَّته احترامًا وإجْلالًا، ثم قابلَ هذا الإكرامَ زيدُ بنُ ثابتٍ بتقبيلِ يدِ عبد الله بن عباس، وهذا ثابتٌ بالإسناد الصحيح عند أهل الحديث أنّ عَبْدَ اللَّه بْنَ عباسٍ أخذ بِركاب دابَّة زيد وأن زَيْدًا قَبَّلَ يَدَ عَبْد الله بن عباس لأنّ كِلَيْهما من أهل الفضل، هذا من أهل الفضل وهذا من أهل الفضل، فإذا أكرَمَ هَذَا هذا بالأخذ بركاب دابَّته، وأكرمَ هذا عبدَ الله بتقبيلِ يدِهِ فذلك يَرْجِعُ مَعْنًى إلى تعظيم الدّين، لأن هذا أى عَبْدَ الله بنَ عباس وإن كان أصغَرَ سِنًّا من زَيْدٍ لكنّه من أهل بيت رسول الله ﷺ لأنّه ابنُ العبّاس عَمّ الرسول ﷺ الذِى كانَ الرسولُ يَرَى لَهُ مِثْلَمَا يَرَى الَولَدُ لوالدِه ولأنّه كانَ شديدَ الحِرْص على تلقّى علم الدّين، لَوْلَا حِرْصُهُ وقوّةُ هِمّتِه ما جَاءَ إلى بيت زيدٍ ووقفَ عند الباب انتِظارًا لخروجه، فمِن هنا يُعْلَمُ أن تقبيل يَدِ أهل الفضل فِى الدين أمرٌ كان عليه الصحابةُ ومَنْ جاءَ بعدَهم إلى يومنا هذا، فمن أنكر هذا فإنّما إنكارُهُ إمّا عن جَهلٍ وإمّا عن مكابرةٍ لِخُبْثٍ فِى طَوِيَّتِهِ وليست هِىَ من ءاثار الوثنيّة والعياذُ بالله تعالى من الوثنيّة، فإن أناسًا يَزْعُمُونَ أنهم مُوَجّهُونَ دِينِيُّونَ دعاةٌ قادةٌ إلى الدين يزعمون أن هذا التقبيلَ من ءاثار الوثنية ويحتجُّونَ بحديثٍ اتّفقَ علماءُ الحديث على أنّه سَاقِطُ الإسناد لا يُحْتَجُّ به ولا يُعْمَلُ به وَهُوَ أَنَّ رَجُلًا أَخَذَ بيد رسول الله ﷺ لِيُقَبّلَهَا فَاجْتَذَبَهَا رسولُ الله ﷺ، هذا الحديثُ متّفَقٌ على أنه

غيرُ ثابتٍ ولا يُعْمَلُ به لأنه خلافُ ما أجمعَ عليه الأُمّةُ سَلَفُهَا وخَلَفُهَا. وهؤلاء الذين ذَكرتُهُمْ الآن هم من الفريق الذِى يعتمِدُ على المطالعات، أحدُهم يطالعُ منشوراتِ حِزْبِه ويَضُمُّ إلى ذلك مطالعةَ بعض كتُب السّيرة والتاريخ ويَظنُّ بنفسِه أنه صار فَاهِمًا بعلم الدين، وهيهاتَ هيهاتَ. أهلُ العلم ولا سِيَّمَا المحَدّثون لا يعترفون بمن يكتفِى بالمطالعة والنّظر فِى الكتب من غير تَلَقّ من أهل المعرفة. قالَ الحافِظُ السِّلَفِى رحمه الله

بَادِرْ إِلَى عِلْمِ الْحَدِيث وَكَتْبِه
وَاجْهَدْ عَلَى تَصْحِيحِه مِنْ كُتبه
وَاسْمَعْهُ مِنْ أَشْيَاخِه نَقْلًا كَمَا
سَمِعُوهُ مِنْ أَشْيَاخِهِمْ تَسْعَدْ بِه

وفِى كُتُب مصطلح الحديث أن الذِى يَشْتَغِلُ بالنّظر والمطالعة يُسمَّى صَحَفِيًّا لا يُسمَّى مُحَدّثًا أى ليس مُحَدّثًا ولا مُسْنِدًا فإيّاكم والميلَ إلى دأب هؤلاء الْكُسَالى الْمَغْرُورِينَ الْمُغْتَرّينَ، يقتصِرون على مطالعة منشورات حزبِهِمْ ثم يزعمُونَ بأنفُسِهِمْ أنّهم صاروا أهلًا ليقودوا أمّةَ محمدٍ ﷺ، وما أَكْثَرَ ما يأتينا من الْفِتَن من قِبَل هؤلاء.

لنرجع إلى ما يَتَعَلَّقُ بالحديث الذِى رَوَيْنَاهُ وهو قولُهُ ﷺ **إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيّعُوهَا**[1] اهـ هذِه

(١) رواه الحاكم فِى المستدرك والبيهقىّ فى السنن الكبرى، باب ما=

الفرائضُ تَشمَلُ الْفَرْضَ الْعَمَلِيَّ الذِى هو يَتَعَلَّقُ بِالْبَدَن والْفَرْضَ الاعتقادىَّ الذِى هو مُتَعَلّقٌ بالقلب، الذِى هُوَ من أعمال القلوب، وهو عِلْمُ ما يَتَعَلَّقُ بمعرفة الله ورسولِه وما يَتَعَلَّقُ بِالْمَعَادِ والْحَشْر والثّواب والعِقَاب فِى الآخرة والجنّة والنّار وما يَتَعَلَّقُ بأعْمال القلوب من إخلاص النيّة لله تعالى للخلاص مِنَ الرّياء والْعُجْب وَالْحَسَد وسوء الظّن بعباد الله تعالى وما يَتَعَلَّقُ بالأعمال البدنيّة كالصّلوات الخمْس وصيام رمضانَ والزّكاة والحج وما فِى معنى ذلك من الأعمال البدنيّة الأخرى فإنّ كلَّ ذلك يجبُ معرفةُ حكمِه الشّرعى. وأمّا القسمُ الآخرُ وهو قسمُ المحرَّمات فمعرفتُهَا فَرضٌ على المكلَّف لأنه إذا لم يتعلّمْ ما هو الحَرامُ على الجوارِح وعلى اللّسان والعين والسَّمْع والرّجْل والْفَرج والبطن فإنَّه لا يَأْمَنُ على نفسِه من الوقوع فِى ذلك المحرم.

وأمَّا ما سوى ذلك مما يتعلَّقُ بفضائِل الأعمال والنّوافل فَمعرفتُهُ ليس فَرْضَ عَيْنٍ على المكلَّف إنّما يُكَلَّفُ بذلك على طريق فرض الكفاية الذِى إذا قامَ به بعضُ المكلَّفين سَقَطَ الْحَرَجُ عن الباقين. ونوافِلُ الأعمال من العبادات والصّلوات التِى هِىَ رواتبُ الفرائض مَن فَعَلَها وقامَ بها فلَهُ أجرٌ جزيلٌ يَزِيدُهُ زُلْفًا وقُرْبًا إلى الله ومن لم يأتِ بها أى لم يَفْعَلْها

= لم يذكر تحريمه ولا كان فى معنى ما ذكر تحريمه مما يؤكل أو يشرب ورواه الدارقطنىّ، باب الخراج بالضمان.

فليسَ عليه عقابٌ فِى الآخرة.

ثم من أرادَ أن يَبْدَأَ فِى الصّلَاة وكانَ قبلَ ذلِكَ تاركًا للصّلاة لا يقومُ بهَا ولا يؤدّيْها كانَ مُهْمِلَهَا وتاركَهَا وكانَ من المكلَّفين أيِ البالغين العاقلين فيجبُ عليه الإسراعُ فِى الْبَدْء بالصّلاة من غير أن يَفُوتَهُ فرضٌ واحِدٌ، عليه تعلّم الضّروريات للصلاة فقط من غير أن يُضِيفَ إليها سُنَنَهَا، فإنّ مِن النّاس مَن يريدون أن يتعلّموا فرائضَ الصلاة وسُنَنَهَا وينتظرون الانتهاءَ من ذلك ليبدؤوا بالصّلاة، فهَؤلاء يجبُ نُصْحُهُم، يقالُ لهم اقتصروا على تعلم الفرائض فِى الوقت الحاضر، على تعلم ضروريات الصلاة ثم تبدؤون وبعد ذلك تتعلمون سُنَنَ الصلاة. كذلك الأمْرُ فِى الوُضوء فيمن يَجْهَلُهُ، وكذلك الأمْرُ فِى الْغُسْل بالنسبة لمن يَجْهَلُهُ أى يَجْهَلُ كيفيةَ الْغُسْل.

وهنا أَمْرٌ مهمّ معرفةُ معناهُ على الوَجه الصّواب فِى هذا الحديث وهو قولُهُ ﷺ **وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً بِكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهُ** اهـ معنى هذه الجملة أَنَّ ما لم يَذْكُرهُ اللهُ فِى القرءان ولا على لسان نَبِيّهِ ﷺ ما لم يذكره الله فِى القرءان ولا أَوْحَى به إلى نَبِيّهِ لِيُبَلّغَ أمتَهُ فهو عَفْوٌ عَفَا اللهُ عنهُ أَى أنّ اللهَ تباركَ وتعالى لم يَذكُرْ ذلك فِى كتابِه ولا أَوْحَى به إلى نَبِيّهِ ليبلّغَكُمْ رحمةً بكم غَيْرَ نِسْيَان لأن النّسْيَانَ الذِى هو الذُّهولُ مستحيلٌ على الله تبارك وتعالى، ليس معنى الحديث أنّ اللهَ تعالى يتكلَّمُ ثم يسكُتُ يتكلَّمُ بذاتِه ثم يَسْكُتُ

كما يحصُلُ للواحد من الخَلْق يَبْدَأُ بالكلام ثم يَقْطع ثم يفْتَتح ثم يَخْتَتِم ثم يَفتتح ثم يَخْتَتِم من وقتٍ إلى وقتٍ هذه عادةُ الخلق واللهُ تعالى لا يجوز عليه هذا، إنما كلامُ الله يُطْلَقُ على وجهين، الكلامُ الذاتىُّ الأزلىُّ الأبدىّ الذِى ليس حرفًا ولا صوتًا، والكلامُ بمعنى اللّفْظ المُنَزَّل على النبىّ ﷺ. هذا يقالُ له كلامُ الله وهذا يقالُ لَهُ كلامُ الله، لكنَّ الكلامَ الذّاتىّ الذِى هو صفةُ اللّه تعالى هو الكلامُ الذِى هو أزَلى أبدى لا يُبْتَدَأُ ثم يُخْتَتَمُ بل هو موجودٌ أزلًا وأبدًا كما أنّ قُدرَتَهُ موجودةٌ أزلًا وأبدًا وعلمَه موجودٌ أزلًا وأبدًا، ذلك الكلامُ هُوَ الذِى يقالُ له الكلامُ الذاتى الأزلى الأبدى فذلك يستحيلُ عليه أن يكونَ فيه تقطُّع أى ابتداءٌ ثم اختتام ثم ابتداءٌ ثم اختتام هذا مستحيلٌ على الكلام الذّاتىّ إنّما هذا من وصف اللّفظ المنزَّل على سيّدِنا محمد ﷺ. فإيّاكم أنْ يَظُنَّ أحدُكم من هذا الحديث أنّ الله يتكلَّمُ ثم يَسْكتُ كما هو صِفَةُ أحدِنا، هذا ليس من صفة الله، لا يجوزُ على الله. القرءانُ لَهُ أساليب والحديثُ كذلك فيه أساليب فمَن فَهِمَ هذه الأساليبَ انتفعَ بذلك ومَنْ جَهِلَهَا زَلَّ فِى الْخَطَر، فِى الْخَطَر العَظيم.

وسُبْحَانَ اللّه والْحَمْدُ لِلَّه ربّ الْعَالَمِين.

والله تعالى أعلم.

**الدرس الثامن والأربعون**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# بيان أن الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى فِي بيروت سنة سبع وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق لسنة سبع وسبعين وتسعمائة وألف رومية وهو فِي بيان أن الحسن ما حسنه الشرع وأن القبيح ما قبحه الشرع. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادِيَ له.

أما بعد فقد قال الله تبارك وتعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[1] الله تبارك

(١) سورة الأحزاب/الآية (٧٠-٧١).

وتعالى أمر بالقولِ السديد والقولُ السديد هو عبارة عن القول الحسن، وهو عبارة عن القول الذِى حَسَّنَهُ الشرع، ليس القولُ الحسنُ ما يعتبره الناس الذين ليس لهم فهمٌ فِى الدين قولًا حسنًا لأن الناس الذين لا عبرة بفهمهم للدين قد يرون القول الفاسِدَ حسنًا قد يرون القولَ الذِى هو عند الله محرّمٌ مخالفٌ لشرعِهِ حسنًا وقد يرون القول الحسن فِى شرع الله تعالى قولًا فاسدًا فلذلك لا عبرة بما يستحسنه الناس الذين لا فهم لهم فِى دينِ الله أى لا فهم لهم بما جاء به كتاب الله تعالى وحديثُ نبيه ﷺ إنما العبرة بالناس الذين لهم فهم فِى الدين أى يعرفون ماذا جاء فِى كتاب الله أىْ يعرفون ما يوافق ما فِى القرءان الكريم وما يخالف ما فِى القرءان الكريم ويعملون بذلك فهؤلاء هم الذين يُعْتَبَرُ فهمُهم صحيحًا ويُقتدَى بهم لأنه من القاعدة الدينية التِى لا يختلف فيها اثنان من المؤمنين أنَّ ما حَسَّنَهُ الشرع فهو حسن وما قَبَّحَهُ الشرع فهو قبيح، فليست العبرة بمجرد كثرة الناس إنما العبرة بخيار المؤمنين فهم الذين يفهمون شريعة الله تعالى يفهمون ما جاء فِى القرءان وما جاء فِى حديث رسول الله ﷺ ثم يطبقون ذلك على أنفسهم اعتقادًا وعملًا فهذا هو المعنى المراد بالحديث الذِى أخرجه مسلم فِى الصحيح من حديث أبِى هريرة أن نبىَّ الله ﷺ قال **إذا أحب الله تعالى عبدًا نادى جبريلُ إن الله يحب فلانًا فأَحِبَّهُ فينادِى جبريلُ فِى أهل السماء بذلك فيحبه**

**أهلُ السماء ثم يُوضَعُ له القبول فِى الأرض**[1] اهـ وأهل السماء هم الملائكة وأما قوله عليه الصلاة والسلام **فيوضَعُ له القبول فِى الأرض** فالمعنى أنَّ خِيارَ المؤمنين الذين هم مؤمنون حقًّا، ليس المتشبهين بالمؤمنين، يحبونه يصير عندهم له قَبول أى كلّ عبدٍ صالحٍ وَلِىّ مِن أولياء الله وأحباب الله يُلْقَى محبةُ هذا الإنسان فِى قلبه وأما الغوغاء الذين لا يعرفون أصول الاعتقاد ولا يعرفون الأحكام الشرعية على ما هِىَ عليه فإنَّ هؤلاء حُبُّهُمْ وَبُغْضُهُمْ لا عبرةَ به. هؤلاء الغوغاءُ الذين لا يعرفون إلَّا أن يَتْبَعُوا الناسَ بدون دليلٍ، بدون معرفةٍ بأحكام شريعة الله إنما ينظرون فِى المظاهر فَيَتْبَعُونَ كُلَّ ناعِقٍ ويُلَبُّونَ دعوةَ كلّ رَعاعةٍ فإن هؤلاء حُبَّهُمْ وبُغْضَهُمْ كلا شىءٍ إنما العبرة بِصُلَحَاءِ أمّةِ محمد ﷺ فمن أوتِىَ له القبول أى قبول صلحاء أمة محمد ﷺ فذلك دليل على أنه محبوب عند الله وفِى أهلِ السماء ملائكةِ الله الكرام. وجُرِّبَ كثيرًا أن الرَّعاعَ قد يحبون الشخص الذِى ليس له مِن دين الله نصيبٌ ويتعلقون به لأنهم رأوا منه مظهرًا مُخادِعًا يظنونه مظهرَ أهل الله مظهرَ الصادقين وهو فِى الحقيقة من المخادعين الذين يُحَسِّنُون للناس ما قَبَّحَهُ الشرعُ ويُقَبِّحُونَ ما حَسَّنَهُ الشرعُ، فهؤلاء لا عبرة بهم، والصوفية الذين لهم عند الله تعالى فضلٌ هم الصوفية

(١) رواهُ البخارىُّ بابُ ذكرِ الملائكةِ ورواهُ مسلمٌ بابُ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَبَّبَهُ إِلَى عِبَادِهِ.

الذين يكونون على قَدَم الصوفيةِ السالفين من الصحابة والتابعين وأتباع التَابعين وهَلُمَّ جَرًّا، إذ إنَّ أول الصوفية أبو بكر الصديق رضى الله عنه ثم أتباعُهُ فِى سيرته التِى هِىَ صفاءُ المعاملة، مَن عامَلَ رَبَّهُ معاملةً صافِيَةً وعامل خَلْقَ اللهِ معاملةً صافيةً وأخلص لربه فِى سِرّهِ وأحسن علانيتَهُ فذلك هو الصوفِى الذِى تُسْتَنْزَلُ الرحماتُ بذكره. كان أكبرُ الصوفية بعد الصحابة مِن التابعين أويسًا القَرَنِىَّ كان معروفًا برثاثة اللباس أىْ لم تكن ثيابه مُؤنَّقَةً كان من الفقر ورثاثة الهيئة بحيث يظنه الصبيان مجنونًا إنما يعرفه مَن يعرف دينَ الله على الحقيقة، هذا الرجلُ أويسُ بنُ عامِرٍ القَرَنِىُّ جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال فِى حَقِّهِ **إنَّ خيرَ التابعينَ رجلٌ يقال له أُوَيْسُ بنُ عامِرٍ مِن قَرَنٍ ثم مِن مُرَادٍ له والدةٌ هو بها بَرٌّ، كان به بَرَصٌ فَأَذْهَبَهُ اللهُ عنه إلا قَدْرَ درهم فإذا لَقِيتُمُوهُ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لكم**[1] اهـ وكان عمر بنُ الخطاب رَضِىَ الله عنه من جملة السامعين لهذا الحديثِ مِن فَم رسول الله ﷺ ثم بعد أن توفِى رسولُ الله ﷺ ثم توفِى أبو بكر رَضِىَ الله عنه وكانت أمدادُ اليمن تأتِى إلى أمير المؤمنين عمرَ بنِ الخطاب فكان يسألُ عمرُ أمدادَ اليمنِ هل فيكم أويسُ بنُ عامرٍ مِن قَرَنٍ ثم مِن مُرادٍ حتى اجتمع بمن يعرفه فقالوا إنه معنا فاجتمع به عمر رضى الله عنه فسأله أنت أويس بن

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب مِنْ فَضَائِلِ أُوَيْسٍ الْقَرَنِىّ رَضِىَ الله عنه.

عامر من قرن ثم من مراد قال نعم قال كان بك برصٌ فأذهبه الله عنك إلا قدرَ درهم قال نعم، قال لك والدة أنت بها بَرٌّ قال نعم، قال فاستغفر لنا، فقال أيْ مِن تواضعه أنتم أحدثُ عهدًا بِسَفَرٍ صالح يعنى أنك يا أمير المؤمنين قريبُ عهدٍ بالقُدُوم مِن مكةَ، فألحَّ عمرُ عليه فاستغفر لهم. هذا أويس بن عامر الرسولُ ﷺ قال فِى حقه إنه خير التابعين أى أفضلُ هذه الأمةِ بعد الصحابة. هو أفضلُ مِن كُلّ وَلِىّ مِن أولياء الله بعد أولياء الصحابة الذِى استحق أن يَطْلُبَ منه الاستغفارَ عمرُ بن الخطاب وغيرُه الذِى استحق هذا الفضلَ العظيمَ والدرجةَ العاليةَ كان من حيث المظهرُ رَثَّ الثياب، ثم قال له عمر أَكْتُبُ لك إلى عامِلِى يُجْرِى لك عطاءً فقال أكون فِى غَبْرَاءِ الناسِ أحبُّ إلَىَّ[1] اهـ أيْ أن أعيش فقيرًا أحبُّ إلىّ فلم يقبل أن يُجرَى له راتبٌ من بيت المال، ءاثر فقرَهُ على الغنى والرفاهية.

فانظروا هذا الذِى جاء به الأئمة المعتمدون من أهل الحديث والصوفيةِ المتقدمين انظروا هذا وانظروا إلى بعض افتراءات أهلِ هذا العصرِ الذين يحتقرون الفقر ويجعلون الفقرَ علامةَ الهَوَانِ، ولا يدرون أن رسول الله ﷺ قال **يَدْخُلُ فقراءُ المهاجرين الجنةَ قبلَ الأغنياء بخمسمائة عام**[2] اهـ ما أكذبَ هؤلاء المفترين على الله

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب من فضائل أويس القرنِىّ رضى الله عنه.
(٢) رواه الترمذىّ فِى سننه باب أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم.

وعلى رسوله يجعلون الفقرَ أى قلةَ المال نُقصانًا، يجعلونه ميزانًا بين الإنسان الكريم وبين الإنسان الهَيّن ولم يدروا أن الكريم على ربه هو العبد المُتَّقِى إن كان غنيًّا وإن كان فقيرًا. ثم إنّ أكثر الأتقياء فقراءُ، الأغنياءُ حظهم مِن التقوى قليل. هؤلاء أصحابُ رسول الله ﷺ مَن عرف أحوالهم وخَبرَ سيرتهم عَلِمَ علمًا يقينًا بأن أغلبهم كانوا فقراء كان الغَنِىُّ فيهم نادرًا كان أغنياؤهم معدودين لِقِلَّتِهِمْ. العياذ بالله تعالى من مَسْخِ القلوب الذِى يُزَيِّنُ لصاحبه القبيحَ عند الله حسنًا والحسنَ عند الله قبيحًا.

ثم إن هناك حديثًا صحيحًا أخرجه مسلم وغيرُهُ متفق على صحته أن رسول الله ﷺ قال **دخلتُ الجنة فرأيتُ أكثرَ أهلِها الفقراء**[1] اهـ فبعد هذا كيف يدّعى إنسان أنه مسلم أنه صوفِى أنه شيخ فِى الدين ثم يذمُّ الفقرَ من غير تفصيل فما هذا؟ هل هذا يَعْرِفُ دينَ الله؟ هل هذا يعرف كتاب الله؟ هل هذا يعرف حديث رسول الله؟ هل هذا يعرف الصوفية؟ وهل الصوفيةُ أَغْلَبُهُمْ إلا فقراء، هو هذا الإنسانُ يَدَّعِى التصوُّفَ يدَّعِى أنه صوفِى يدَّعِى أنه مِن أهل الدرجات العُلَى حتى إنه يدَّعِى أنه يُجيب فِى القبر عن محبيه ومريديه أنه هو يتولّاهُم أنه هو يضمنُ لهم فِى القبر النجاة وفِى الآخرة. هذا لو كان يعرف معانِىَ كتابِ الله تعالى

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه فِى ذكر اطلاع المصطفى ﷺ فِى النار على من يعذب فيها نعوذ بالله من النار.

ومعانِىَ أحاديثِ رسول الله ﷺ وسيرةَ الصوفية لم يقل هذا الكلام. قال الجنيد رضِىَ الله عنه سيدُ الطائفة الصوفية الذِى كان فقيهًا محدّثًا إمامَ الصوفية فِى عصره كان يأتى إلى مجلسه الأدباء أى النحويون أهل البلاغة فيكتبون منه ما لا يعرفونه، ويأتيه الفقيهُ فيستفيدُ منه فِى عِلمِهِ الذِى هو مختَصٌّ به ما لم يكن يعلمه، وأما الصوفية فقد كان هو مَحَطَّ رِحالِهِم قال الجنيدُ رضى الله عنه ما أخذنا التصوف عن القِيلِ والقال ولكن أخذناه عن السهر والجوع وتركِ المألوفات والمستحسنات اهـ أىْ مخالفة الهوى، قال ما أخذنا التصوف عن القال والقيل إنما أخذناه عن السهر والجوع وترك المألوفات والمستحسنات لأن التصوف صفاء المعاملة كما قال حارِثةُ يقال حارِث ويقالُ حارثة وهو من أصحاب رسول الله ﷺ عَزَفْتُ نفسِى عن الدنيا أسهرتُ لَيْلِى وأظمأتُ نهارِى وكأنى بعرش ربى بارزًا وكأنى بأهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى بأهل النار يتعاوَوْن فيها[1] اهـ معنى عَزَفْتُ نَفْسِى عن الدنيا أى لا أترك نفسى تسترسل بالمَلَذَّاتِ. هم الصوفية لا يُحَرّمُونَ ما أحلّ الله لكنهم يقتدون بأنبياء الله، أنبياءُ الله كانوا لا يسترسلون فِى المَلَذَّاتِ، هذا رسولُ الله نبينا محمد ﷺ مَن عَرَفَ سيرته عرف أنه كان كثير

(١) رواه البيهقىّ فِى الشعب بلفظ يتعادون كتاب الزهد وقصر الأمل. ورواه محمد بن نصر بن الحجاج المروزى من كتاب تعظيم قدر الصلاة بلفظ يتعاوَوْن.

الجوع كان يُؤْثِرُ على نفسه فيجوعُ كثيرًا من الأوقات وكان لا يُوقَدُ فِى بيته أكثرَ مِن الشهر النارُ كانوا يَقْتاتُونَ بالماء والتمر من غير أن يوقدوا نارًا لطبيخ أو لغير ذلك، كان يمضى عليهم أكثرُ من شهر لا يوقد فِى بيت رسول الله ﷺ نارٌ، وكان سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام مع ما ءاتاه الله من الـمُلْكِ يتقوَّت مِن الشعير يترك الرز والقمح اللذين هما أعلى من حيث التغذية ويتقوت الشعير تواضعًا لله تعالى.

الحاصل أن أنبياء الله وأولياءَ الله يتركون كثيرًا من الملذات التِى هِىَ حلال يتركون كثيرًا إيثارًا لما عند الله تعالى إيثارًا للآخرة، كثير منهم مع المقدرة، هذا سليمان لو أراد أن يأكل الذهب والجواهر مطحونة لاستطاع، ومع ذلك كان قُوتُهُ الشعيرَ، الشعيرُ عندكم اليومَ قوت البهائم فِى الغالِبِ، أليس هكذا؟ من يأكل الشعير؟ الناسُ يأكلون الشعير فِى هذه البلاد؟ يتقوَّتُونَ بالشعير؟ الشعيرُ يَعْلِفُونَه للبهائم. هذا سليمان الذِى ءاتاه اللهُ أى أعطاه من المُلك ما لم يعطِ أحدًا بعده من العالمين كان قُوتُهُ الشعيرَ، مع أنهم لا يحرّمون زينةَ الله والطيباتِ من الرزق لكنهم كانوا يتركون أكثر الملذات. وكذلك الصوفية لأن الصوفيةَ أتباعُ الأنبياء بالمعنى الكامل، الصوفِى هو الذِى يتبع الرسول ﷺ اتباعًا كاملًا. أما الذِى يقتصر على استعمال المسبحة وإطراق الرأس وتغميض العينين عند الوِرْدِ ثم لا يتبع الرسول ﷺ اتباعًا كاملًا فإن هذا مُدَّعٍ كذّاب، ليس هذا الصوفِى. من كان أراد التصوف الصادق فليتبع

رسول الله ﷺ وليتبع مَن قبله من أنبياء الله وليتبع أبا بكر الصديقَ رضِىَ الله عنه الذِى شوهد بعدما تولى الخلافة وهو يحمل شيئًا لِيُحَصِّلَ منه مصاريفَ بيته، قيل له يا خليفة رسول الله إنّا نكفيكَ فلماذا تخرج للعمل بنفسك؟ هذا لم يتبع أبا بكر الصّدِّيقَ رَضِىَ الله عنه الذى يدَّعِى أنه على طريقته، هؤلاء النقشبندية يقولون أصل طريقتنا من أبِى بكر الصديق رَضِىَ الله عنه، فمن يدّعى النقشبندية فليتبع أبا بكر فليأخذ بسيرة أبِى بكرٍ، لِمَ يأخذُ بسيرةِ الفراعِنَةِ؟ يدَّعِى التصوف يدَّعِى أنه على طريقة أبِى بكرٍ ثم يتركُ طريقةَ أبِى بكر ويتبع الفراعنة؟

نرجع إلى تفسير كلام الجنيد رضى الله عنه هذا الجنيد الذِى هو سيد الصوفية توفِى فِى أواخر القرن الثالث الهجرى توفِى سنة مائتين واثنتين وتسعين، قال رضى الله عنه ما أخذنا التصوف عن القال والقيل معناه ليس التصوف حكاياتٍ إيرادَ حكاياتِ الصالحين عَمِلَ فلانٌ كذا عَمِلَ فلانٌ كذا ليس هكذا التصوف، قال إنما أخذناه عن السهر والجوع معناه أخذنا التصوف وحصَلنا عليه حتى صرنا إلى هذه الدرجة بتقليل النوم وبتقليل الطعام، ما وصلنا إلى هذه الحال بمَلْءِ البطون والإكثار من النوم قال أخذناه بالجوع والسهر وترك المألوفات أى ترك شهوات النفس والمستحسنات أى ترك الشهوات التِى تستحليها النفس، من هذا أخذنا التصوف. ما أخذنا التصوف بقال فلان من الصالحين من حكايات الصالحين وقال

فلانٌ وقال فلان وعلى ذلك أغلبُ من يَدّعِى التصوف اليومَ إلا من رحم الله، أغلب الذين يدّعون التصوف من أىّ طريقة كانوا إن كانوا قادرية أو رفاعية أو نقشبندية أو غير ذلك فإن أغلبهم اليوم ليس عندهم إلا الحكايات، وظيفتهم إذا اجتمعوا أن يقولوا قال أبو يزيد عَمِلَ أبو يزيد كذا كذا، قال الحلاج كذا وكذا عَمِلَ الحلاج كذا وكذا، ثم لو كانوا يروون عن المشايخ ما هو الصحيح الثابت عنهم مما لا يخالف شريعةَ الله لكان شرُّهم أخفَّ وأقلَّ لكنهم يروون عن هؤلاء الطامّاتِ المهلكاتِ الكفريات فيستحسنونها ويسوقون الناس ويحسّنون للناس ذلك، هذه الطامات المهلكاتُ يُحسّنونها للناس ويَسُوقُونهم إليها. فالجنيد رضى الله عنه قال ما أخذنا التصوف عن القال والقيل أى ما أخذنا التصوف عن الحكايات قال فلانٌ كذا قال معروفٌ الكَرْخِىّ كذا قال حبيب العَجَمِىّ قال الحسن البصرِىّ كذا إنما أخذناه بالمجاهدة أى إنما وصلنا إلى التصوف إلى هذا المقام بصفاء المعاملة أى إخلاص المعاملة لله تعالى، أى بأداء فريضته بأداء ما فرض الله على عباده بأداء الواجبات واجتناب المحرمات وترك المألوفات والمستحسنات وترك الاسترسال والانغماس بملذات الطعام والشراب ونحو ذلك بهذا أخذنا التصوف.

أولئك كان دأبهم العمل والجد والاجتهاد، يتعلمون ما فرض الله على عباده فِى الاعتقاد وفِى الأعمال كالصلوات الخمس على وجه تكون مقبولة عند الله.

كانوا يعتنون لهذا ويُسرِعون إلى اجتناب المحرمات، بل كانوا يجتنبون المكروهات وهؤلاء كانوا بالأمس القريب. كان أحد مشايخِى يسمى حاج كبير رَضِىَ الله عنه كان يَدْرُسُ العلم فِى مكة أيام السلطان عبد الحميد، كان هو متفوّقًا فِى الحفظ، الورقةُ إذا نظر إليها مرة يحفظها، كان متفوقًا فِى العلم والفهم والحفظ مع ذلك لَمّا يذهب المشايخ إلى الأمراء ليكسبوا منهم من المال هو لا يذهب لزهده، مع كل هذا فِى رمضان كان يختم القرءان كل يوم ختمة أو ختمتين، يبذل جهده فِى الاجتهاد فِى العبادة كأنه من الملائكة، كان يؤمُّ فِى مكة فِى الحرم الشريف فِى التراويح، مع كل هذا ما كان يتظاهر بمظهر التعاظم كان يقول لِى إن رأيت عَلَىَّ مكروهًا فنبِّهْنِى مع أنه فِى ذلك المقام الأعلى لكن هو يرى نفسه مِن شدة خوفه من الله تعالى أقلَّ بكثير مما هو يستحقُّهُ. شيخُنا هذا بالأمس القريب توفِى منذ سبع سنوات أو ست سنوات فِى الحبشة، أن يكون هذا ممن كان فِى عصرنا ممن أدركناه فكيف كان الجنيد وكيف كان مَن قَبْلَ الجنيد من أهل الله من الصوفية.

هو الذِى نظر فِى سيرة السلف من الصوفية من التابعين وأتباع التابعين يعرف أنه لو كانوا يؤثرون أنفسهم بالملذات لو كانوا يلتهون كلما فتحوا بلدة يلتهون بالأكل والشرب والتلذذ بخيرات هذه الأرض ما وصلوا إلى هذه الدرجة من نشر الإسلام فِى مشارق الأرض ومغاربها، لكنه ما كان يُلهيهم ذلك بل كلما

فتحوا أرضًا يتركون فِى هذه الأرض من يعلمهم أحكام الدين ثم ينتقلون إلى ما وراءها، ما كانوا يلتهون بخيرات هذه الأرض ونعيمها عن الدُّؤوبِ فِى السير فِى الجهاد فِى سبيل الله بل كانوا يدأبون لأنهم علموا علم يقينٍ أن هذه الدنيا دارُ ممرّ وأن طعام الدنيا الذِى يؤكل نهايته القذرُ بعد قليل من الوقت يصير قذرًا وأن ثياب الدنيا بعد برهة من الزمن تُرمى فِى المزابل. هم عرفوا حقيقة الدنيا. أما هؤلاء الناس الذى همهم جمع الملايين بعضِها إلى بعض وبناء البنايات الفخمة والتقلب فِى أنواع الملذات فِى ليلهم وفى نهارهم هؤلاء كأنهم لم يعرفوا ما هى الدنيا، أولئك العقلاء أولئك الزهاد الذين ءاثروا ما عند الله تعالى أولئك أهل الفهم أولئك أهل العقل أولئك أهل العقل الكامل. هؤلاء أصحاب الملايين الذين فِى هذا العصر أولًا لا تخلو أموالهم من حرام فِى الغالب إن لم يكن الجميع فالغالب لا تخلو أموالهم من الحرام وثانيًا لا يغيثون أهل الضرورات من المسلمين يتركون أهل الضرورات إلى ضروراتهم هذا عنده عشرات الملايين ولا يعين أهل الضرورات ثم بعد قليل يتركون هذا المال فيأكله من كان عدوًّا لهم، يترك هؤلاء هذا المالَ الكثير فيتحول إلى إنسان لا يحبونه لأن الموت لا يستشيرُهم لا يقول لهم أنا أعطيك سنة حتى تفكر فِى أمرك حتى ترتب أمورك لا يقول له يأتيهم وهم سابحون فِى بحر التنعم يأتيهم بغتة ثم قد يتسلط على هذا المال على هذه الملايين يتسلط إنسان لم يكونوا

يحبونه.

التّصَوُفَ صفاءُ المعاملة التصوف معناه أن يعامِلَ العبدُ ربَّهُ كما يرضى اللهُ بأن يؤدىَ ما افترض الله عليه ويجتنب ما حرم الله عليه ويكثر زيادةً على ذلك النوافل أى الطاعات التِى لم يفرضها الله عليه. هم الصوفية الإسلاميون من الصحابة فمن بعدهم لا يسترسلون فِى طيبات الدنيا أى المطاعم اللذيذة ونحو ذلك لا يسترسلون من غير أن يُحَرّمُوهَا بل يُحِلُّونَهَا لا يحرمونها على الناس بل يقولون خير لكم إذا قللتم مِن ملذاتها هكذا كانوا يقولون مِن غير أن يحرموها على الناس، يرشدون الناس إلى التقلل منها. أما الذين ذمهم الله فِى القرءان فِى قوله ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[1] فأولئك هم قوم من المشركين من مشركِى العرب كانوا يحرّمون على أنفسهم للتقرب إلى الأوثان بعضَ الأنعام الإبلِ والغنم كانوا يحرمونه لأوثانهم ولا يذبحونه فينتفعوا بلحمه ولاَ يشربون دَرَّهُ أى حليبه يقولون هذا أعتقناه وعدناه للأوثان أى لآلهتهم يقولون هذا وعدناه لآلهتنا لا يتعرضون له إن كان إبلًا لا يركبونه ولا يشربون الحليب كذلك الزينة حرموها على أنفسهم كيف حرموا الزينة على أنفسهم؟ الشيطان ظهر لهم بصورة إنسان فكلمهم بكلام مسجوع ففتنهم قال لأهل مكة أنتم كيف تطوفون ببيت الله وأنتم لابسون هذه الألبسة التِى

(١) سورة الأعراف/الآية (٣٢).

تقترفون المعاصِى فيها هذا لا يجوز لا يجوز طوفوا بالكعبة عراة من غير ثياب فأطاعوه فصاروا يطوفون بالكعبة عراة كما خرجوا من بطون أمهاتهم، هؤلاء حرموا الزينة التِى خلقها الله لعباده حرموها تحريمًا كانوا يرون ذلك بعدما علمهم الشيطان كانوا يرون ذلك حرامًا ويرون التعرّىَ فِى حال الطواف قُرْبَةً إلى الله كانوا يعتبرون ذلك تقربًا إلى الله يقولون اللهم إنّا فعلنا هذا لترضى اللهم عنا، هذه الزينة التِى حرمها المشركون الله تعالى أحلها لعباده ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾[1] الله تعالى يقول لسيدنا محمد ﷺ ﴿قُلْ﴾ يا أشرف الخلق ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ هذه الزينة التِى أحلها الله ﴿لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ﴾ أى المستلذات من الرزق ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مع غيرهم أى مع غير المؤمنين أى أن المؤمنين وغيرَهم يشتركون فيها، ﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ أما فِى الآخرة فتكون لهم خالصةً أى أن المؤمنين الذين ءامنوا بالله ورسوله ﷺ هم أهل هذه الطيبات من الرزق فِى الآخرة وهم أهل الزينة أى اللباسِ الذى يُتَزيّنُ به.

الكفار يوم القيامة حرام عليهم أن يلبسوا ثيابًا عادية كما كانوا يلبسونها فِى الدنيا وحرام عليهم أن يشربوا ماءً عذبًا ينتفع به ينتعش البدن كما كانوا فِى الدنيا

(١) سورة الأعراف/الآية (٣٢).

يشربون، هناك حرام عليهم لا يرزقهم الله لا يجدون، ليس لهم سبيل إلى أن يجدوا ماءً فيشربوا وليس لهم سبيل إلى أن يجدوا الطعام الذِى كانوا يأكلونه فِى الدنيا وليس لهم سبيل إلى أن يلبسوا هذا اللباس الذِى كانوا يلبسونه فِى الدنيا كل ذلك حرام عليهم بعد موتهم. الله تعالى إنما رد على المشركين الذين كانوا يعتبرون لُبْسَ الثياب فِى حال الطواف بالكعبة الشريفة حرامًا لأنهم هم حرموها ما حرمها الله تعالى الله تعالى يأمر بالستر لا يأمر بكشف العورات أمام الناس كذلك البهائم التِى رزقهم الله إياها من إبل وغنم كانوا يعتقونها لآلهتهم أو لأوثانهم يحرمونها يقولون هذه أعتقناها لا يركبونها ولا يشربون حليبها ولا يذبحونها فيأكلوها هم حرموها على أنفسهم حرّموا تحريمًا أما هؤلاء المؤمنون الصالحون من الأنبياء والتابعين لهم بإحسان هؤلاء لا يحرمون الطيباتِ من الرزق ولا الزينةَ التِى أحلها الله إنما لا يسترسلون فيها لا ينهمكون فيها لأن الذِى ينهمك لا يكون من أهل الدرجات العُلى التِى هِىَ درجة الكاملين، درجة الكاملين لا تكون إلا للذين لا ينهمكون فِى الملذات المباحة إنما تكون للذين يقللون منها فيؤثِرون ما عند الله كما كانت سيرة سيدنا محمد ﷺ وسيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه هذا عمر بن الخطاب رضِىَ الله عنه الذِى كان فيه هذا العقل الراجح فِى تدبير شئون الحرب الذِى كسر الأكاسرة كان رضى الله عنه متقللًا فِى أمر طعامه وشرابه ولباسه كان متقللًا جدًّا

كحال أفقر إنسان اليوم حتى إنه كان ذات يوم لبس قميصه فيه أربعُ رِقاع وهو خليفة وهو أموال الدنيا تتدفق عليه، بيت المال فِي عصره كان ممتلئًا بما ساق الله إليه من الرزق هذا تقللٌ من باب الإيثار للآخرة ليس تقللَ البخلاء، يوجد فِي البخلاء من لا يسمح لنفسه أن يتوسع لكن تقلل أولئك غير هذا.

وسبحان الله والحمد لله رب العالمين.

والله تعالى أعلم.



**الدرس التاسع والأربعون**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

## بيان أن الله رخّص لأمة محمد ﷺ أمورًا منها استحداث ما لم يفعله الرسول ﷺ إن لم يخالف شرعه

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى سويسرة سنة اثنتى عشرة وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق لسنة اثنتين وتسعين وتسعمائة وألف رومية وهو فِى بيان أن الله رخّص لأمة محمد ﷺ أمورًا منها استحداث ما لم يفعله الرسول ﷺ إن لم يخالف شرعه. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الْحَمْدُ لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد قال الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[1] الله تعالى قال لسيدنا محمد ﷺ إنه يضع أى يخفف عنهم أى أمتِهِ الإصر والأغلال التِى كانت عليهم فيما مضى قبل

(١) سورة الأعراف/الآية (١٥٧).

سيدنا محمد ﷺ كانت على الأمم السابقة تشديداتٌ فِى بعض الشرائع إذا قَتَلَ شخصٌ عمدًا أو خطأً حَتْمٌ أن يُقْتَلَ أما فِى شريعة محمد ﷺ إذا قتل شخص شخصًا عمدًا فهو إما أن يسلم لأهل الدم لأهل القتيل حتى يأخذوا حقهم وإما أن يسامحوه على المال على الدية وإما أن يسامحوه مجانًا بدون شىء وإن قَتَلَ الشخصُ شخصًا خطأ لا قِصاص عليه إنما يدفع الدية ويدفع الكفارة، والديةُ أيضًا على أقاربه عَصَبَتِهِ إخوتِهِ وأبناءِ إخوتِهِ ونحوِ ذلك ثم على بيت المال وإن لم يوجد بيتُ مال فهو يدفع من ماله الذِى مَلَّكَهُ اللهُ. ثم أيضًا الأمم الذين قبلنا لا تصح صلاتهم إلا بمكان مخصوص أما هذه الأمة الله جعل لهم الرخصة أن يصلوا أينما أدركتهم الصلاة إن صلى فِى سوقه صحت صلاته وإن صلى فِى بيته صحت صلاته وإن صلى فِى الغابة صحت وإن صلى على حافة الطريق صحت حتى لو صلى فِى وسط الطريق صحت لكن مكروهة إلى غير ذلك. ومثالُ ما كان عليهم أنه إذا أصاب إنسانًا بولٌ يقطع ذلك الموضع لا يطهره الماءُ لا يصلى فِى ذلك الثوب إلا أن يقطع المكان الذِى أصابه البول، لو غسله بالماء لا يكفِى. ثم أيضًا رخص لهم فِى أمر كانت الأمم السابقة أمةُ عيسى عليه السلام كانت فيهم خصلة مدحها الله وهِىَ الانقطاع للعبادة بترك التزوج والترفه بنعيم الدنيا، أحدهم كان ينزوِى إلى صومعة ليعبد الله متجردًا للعبادة ينقطع عن الزواج لا يلتفت إلى الزواج ولا إلى أن يجمع مالًا بل يمضِى على

التوكل هذه أيضًا مدحها الله تعالى بقوله ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾[1] ابتدعوا رهبانية أى هذا الأمر اللهُ ما فرض عليهم إنما هم أرادوا الزيادة فِى العبادة مدحه ما ذمَّه وهذه الأمة الله تعالى رخص لهم أيضًا أن يُحْدِثُوا أعمالًا توافق الشريعة مما لم يفعله الرسول ﷺ ولا قال افعلوا كذا افعلوا كذا هذه تسمى سنةً حسنةً، جاء فِى الحديث **من سن فِى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده لا ينقص من أجورهم شيئًا**[2] اهـ معنى مَن أحدث فِى الإسلام سنة حسنة أى عمل أمرًا يوافق الشرع مما لم يفعله رسول الله ﷺ ولا نص عليه القرءان لكن لا يخالف القرءان والحديث رخص لهم الله تبارك وتعالى فِى هذا الأمر وجعل لهم فيه أجرَ الشخص الذِى عمل هذا العمل وأجرَ من تبعه بعد ذلك، كلما فعله إنسانٌ يتجدد له الثواب لأنه هو أول من فعل هذا الشىء، هذا الذِى يقال عنه بدعة حسنة ويقال له بدعة مستحبة كما يقال سنة حسنة وسنة خير، ومن هذا الطرقُ، طُرُقُ أهل الله القادرية والرفاعية والبدوية إلى غير ذلك، هذه الطرق طرق أهل الله شىء مرغوب فيه شرعًا الشرع رغَّب فيه ليس كما تقول الوهابية إذا

---

(١) سورة الحديد/ الآية (٢٧).

(٢) رواهُ مسلمٌ فِى صحيحهِ بابُ الحَثّ عَلَى الصَّدَقَةِ ولوْ بِشِقّ تمرة أو كَلِمَةٍ طَيّبَةٍ وأنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ.

أرادوا أن يذموا إنسانًا يقولون فلان طُرُقِيٌّ معناه من أهل الطريقة، عندهم ذم ومنقصة وضلال وبدعة محرمة وكذبوا.

ومن جملة من ابتدع أمرًا لم ينص عليه الرسول ﷺ ولا نص عليه القرءان هو خُبَيْب بن عَدِيّ رضى الله عنه، كان المشركون أسروه كفارُ أهل مكة أسروه قبل فتح مكة تركوه عندهم أسيرًا ثم أخرجوه إلى خارج الحرم ليقتلوه طلب منهم من الكفار أن يمهلوه حتى يصلىَ ركعتين فأمهلوه فصلى ركعتين وكان هذا خبيب رضى الله عنه أول مَن صلى عند القتل قبل ذلك ما أحدٌ فعل هذا الشىء من أصحاب رسول الله ﷺ هو كان أول من فعل هذا ثم هذا الفعل الذِى فعَلَهُ أعجبَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ والرسولُ لا بد أن يكون بلغه فأعجبه، هذا بدعة حسنة وسنة خير وسنة حسنة وبدعة مستحبة مَن فعل مثل ذلك إلى يوم القيامة من أمة محمد ﷺ فهو عمل حسن.

ليس الحكم كما تقول الوهابية، الوهابية تحرّم الطريقة، والمسبحة هذه عندهم حرام يقولون الرسول ما فعل بهذا إنما سبح بيمينه وذكر التسبيح بالأنامل للنساء أمر النساء أن يُقَدِّسْنَ الله ويُسَبِّحْنَهُ ويُكَبِّرْنَهُ بأناملهن ما فعل مسبحة مثل هذه، يقولون هذا حرام، هؤلاء تائهون لا يجوز اتباعهم إنما هم أهل تلبيس وتمويه على الناس، بعض الأشياء التِى لم يفعلها الرسول ﷺ هم يفعلونها ويرونها عملًا حسنًا ثم مع

ذلك يحرّمون على الناس أشياء لم يفعلها الرسول ﷺ وهِيَ غير مخالفة للقرءان والحديث كالطريقة وكهذه السبحة إلى أشياءَ عديدة. ومما فعله المسلمون مما لم يفعله الرسول ﷺ المحاريب المجوفة فِى المساجد، المحاريب لم تكن فِى عهد الرسول ﷺ فِى مسجده ولا فِى سائر المساجد التِى فِى المدينة ما كانت إنما فى أواخر القرن الأول عمل عمر بن عبد العزيز رَضِىَ الله عنه ذلك والوهابية فِى مساجدها توجد محاريبُ لو قيل لهم هذا ما فعله الرسول ﷺ وأنتم تفعلون ثم مع ذلك ترون هذا عملًا حسنًا ثم تنكرون على الناس أشياء يفعلونها ما فعلها رسول الله ﷺ تقولون هذا ما فعله الرسول أنتم متناقضون فِى أمركم لستم على حق وصواب مستقيم ماذا يقولون؟ لكنه اليوم فِى الجزائر وهابيةُ الجزائر بلغنا أنها سكَّرَتِ المحاريب بالخشب وهذا من عجيب تَهَوُّرِهِمْ، الأصول من الوهابية فِى السعودية يعملون المحاريب وهؤلاء أتباع أولئك أتباع وهابية السعودية ما لهم يسكرون المحاريب وجماعتهم الذين هم أصولهم لم ينكروا؟ انظروا إلى تخبط هؤلاء هذا دليل على عمى القلب، قلوبهم عمياء.

ثم إن الطريقة الرفاعية هِىَ أقدمُ طريقة هِىَ والقادريةُ، بعد ذلك سائر الطرق طرقِ أهل الله حدثت، ثم إن الطريقة الرفاعية منسوبة إلى سيدنا أحمد ابن علىّ الحسينى من ذرية الحسين بن علىّ بن أبِى طالب رَضِىَ الله عنه كان فقيها شافعيًّا مفسرًا محدثًا كان شديد الرحمة والشفقة على عباد الله وكان شديد

التواضع مع الكبير والصغير والغنىّ والفقير وأصحاب العاهات كان يجالس أصحاب العاهات ويَبَشُّ فِى وجوههم ابتغاء رضوان الله تعالى لأن الله تعالى يحب التواضع وأن يدنو المسلم من المسلم أى يقترب منه وكان فِى القرن السادس رحمه الله ورضِىَ عنه.

والله سبحانه أعلم.



**الدرس الخمسون**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# بيان حكم لعنِ المسلم

درس ألقاه المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدرىّ رحمه الله تعالى فِى بيروت سنة ثلاث وأربعمائة وألف من الهجرة الشريفة الموافق لسنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف رومية وهو فِى بيان حكم لعن المسلم. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله وصلى الله على رسول الله وسلم.

أما بعد فقد روينا بالإسناد المتصل فِى صحيح مسلم ابن الحجاج رحمه الله تعالى من حديث على بن أبِى طالب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال **ملعونٌ مَن لَعَنَ والديه وملعونٌ من ذبح لغير الله وملعونٌ مَن غَيَّرَ مَنَارَ الأرضِ وملعونٌ مَن ءاوَى مُحْدِثًا**[1] اهـ هذا الحديث عُرِفَ برواية علىّ بن أبِى طالب رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ وفيه لَعْنُ أربعةِ أشخاص أحدهم مَن لَعَنَ والديه يعنى رسولُ الله ﷺ مَن يلعن والديه المسلِمَين فإنَّ لعنَ الوالدَين المسلمَين أشدُّ إثمًا مِن لَعْنِ غيرهما، على أن لعنَ المسلمِ لغير سبب شرعىّ كبيرة

(١) رواهُ مسلمٌ فِى صحيحهِ باب تَحْرِيمِ الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَعْنِ فَاعِلِهِ.

من الكبائر وقد ذكرنا فِى ما مضى حديثَ رسول الله ﷺ **لَعْنُ الْمُسْلِمِ كَقَتْلِهِ**[١] اهـ هذا يدل على أن لعن المسلم لغير سبب شرعِىّ من أكبر الكبائر لأنه شبَّهَهُ بقتله وقتلُ المسلم ظلمًا هو من أكبر الذنوب بعد الكفر، لا ذنبَ أعظمُ من قتل المسلم ظلمًا بعد الكفر فالرسول ﷺ شبَّهَ لعن المسلم بأكبر الذنوب فيدل ذلك على أن لعن المسلم من أكبر الكبائر فيكون لعنُ الوالدين أشدَّ من لعن غيرهما ثم هذا فِى الوالدين المسلمين أما الوالد أو الوالدة الكافران فليس فِى لعنهما هذا الإثم. ومِنَ الكفر الذِى يمنع الإثم فِى مَن لعن والديه كونُ والديه يسبان اللهَ تعالى فِى حال الغضب وفِى غير ذلك فأىُّ والدٍ أو والدةٍ يسبَّانِ اللهَ تبارك وتعالى فقد ارتدّا فمن لعنهما فليس عليه وِزر لأنه سقطت حقوقُهما حتى قال الفقهاء إن الأب الذِى وقع فِى ردة وأسبابُ الردة كثيرةٌ أن يتهود أو يتنصر أو يستخف برسول الله ﷺ أو يستخف بالله أو يستخف بالملائكة أو أن يستخف بدين الإسلام فالوالد أو الوالدة إذا وقعا فِى ذلك قال الفقهاء ليس لهما نفقةٌ على الولد معناه ليس لهما عليه حقٌّ إن قطع عنهما الأكلَ والشربَ فلا إثم عليه، المرتَدُّ إلى ثلاثة أيام نفقته فِى بيت المال، الخليفةُ ينفق عليه لأنه فِى هذه الثلاثة أيام ينتظر لعله يرجع إلى الإسلام فإذا لم يرجع إلى الإسلام فِى هذه الثلاثة أيام الخليفةُ ليس له أن

(١) رواه البخارىّ فى صحيحه باب ما ينهى من السباب واللعن.

يتركه حيًّا بل فرضٌ عليه أن يقتله لأن الرسول ﷺ قال **مَن بَدَّلَ دِينَهُ فاقتلُوهُ**[١] اهـ أى من انتقل من الإسلام إلى الكفر فاقتلوه أى أنه يجب على الخليفة الذِى هو قائمٌ مقام رسول الله ﷺ فِى تنفيذ أحكام دين الله فرضٌ عليه أن يقتل مَن ترك دين الإسلام إلى دينٍ ءَاخَرَ أو خرج من الإسلام ولم ينتقل إلى دين سواه، خرج بسبب سب الله أو سب رسوله أو سب عيسى أو سب موسى أو سب إبراهيم أو سب ءادم عليهم السلام فمن ارتد أى قطع إسلامه وانتقل إلى دين ءَاخَرَ أىِ انتقل إلى التهود أو التنصر أو التمجُّس أو أىِّ دين منَ الأديان كالبوذية أو لم ينتقل إلى دينٍ غيرِ الإسلام لكنه قطع إسلامه كأن سب الله ولو باللفظ فقط بلا اعتقاد لكن أراد أن يقول هذا اللفظ الذِى هو سب لله تعالى أراد أن يقوله فقاله خرج من دين الإسلام قَطَعَ الإسلام نوى المعنى أو لم ينوِ، لا يُشترط لكونه خارجًا أن يكون نوى معنى كلامه الذِى قاله، مَن تكلم بكلمة فيها تنقيص لله تعالى فقد خرج من الإسلام فهو مرتد. وليس شرطُ المرتد أن ينتسب إلى دين من الأديان المعروفة سوى الإسلامِ المرتدُّ مرتدٌّ إن انتسب إلى دين غير الإسلام كاليهوديةَ والنصرانية والمجوسية والبوذية أو لم ينتسب فمن وقع فِى الردة بأى نوع من أنواعها ليس له حقٌّ على ولده فِى الإنفاق إن كان فقيرًا كما

(١) رواه البخارىّ فِى صحيحه باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم.

كان له حق عليه فِى الإنفاق قبل أن يقطع الإسلام فبمجرد ما يقطع الإسلام انقطعت عن الولد هذه الفريضة فريضةُ الإنفاق على الأبوين الفقيرين، الأبوان الفقيران نفقتهما على الولد فرضٌ إلا أن يَكْفُرَا فإن كَفَرَا سقطت نفقتُهما عن الولد وصارت فِى بيت المال من أجل أنه لا يجوز قتل المرتد فِى الحال إلا بعد أن يُطلب منه الرجوع إلى الإسلام ثلاثة أيام[١] كما فعل سيدنا علىٌّ رضى الله عنه بالذين عبدوه وقالوا له أنت ربنا وخالقنا ورازقنا، مع عظم كفرهم هذا ما بادرهم بالقتل أى ما قتلهم فِى الحال بل أنذرهم بأن يقتلهم إن لم يرجعوا ثم تركهم ثم طلبهم فِى اليوم الثانى فلم يرجعوا فجدد لهم الإنذار بالقتل ثم تركهم ثم طلبهم فِى اليوم الثالث فلم يرجعوا فقال لهم لأقتلنكم بأخبث قِتْلَةٍ لأنه ما قطع أعناقهم بالسيف بل شق أُخدودًا فِى الأرض ثم أضرم فيها النيرانَ ثم رماهم فيها وهم أحياء لفظاعة كفرهم هذا، وكان ذلك جائزًا له وإن أنكر عليه بعضُ الصحابة وهو عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال لو كنتُ أنا لم أحرقهم بل لقتلتهم لقول رسول الله ﷺ **لا يعذب بالنار إلا ربُّها**[٢] اهـ هو سيدنا علىٌّ رضى الله عنه يعرف هذا الحديث لكن هو فسره

---

(١) ومن الأئمة من قال يقتل حالًا إن لم يرجع واستتابته ثلاثًا مستحبة لا فرض.

(٢) رواهُ البيهقىّ فِى السنن الكبرى باب المنع من إحراق المشركين بالنار بعد الإسار.

على أن الذِى لا يجوز التعذيبُ بالنار هو من لم يبلغ إلى هذا النوع من الكفر أما من بلغ إلى هذا النوع من الكفر فإنه يجوز تعذيبه بالنار هذا فَهْمُ سيدِنا علىّ رضى الله عنه أما عبد الله بن عباس رَضِىَ الله عنهما استنكر ما فعله علىّ لأنه ما فَهِمَ فَهْمَ علىّ ما فَهِمَ حديثَ رسول الله ﷺ **لا يعذب بالنار إلا ربها** كما فهمه علىّ اختلف فَهْمُ علىّ وَفَهْمُ عبد الله بن عباس وهكذا كانت الصحابة فِى بعض المسائل هذا يَفْهَمُ معنًى وهذا يَفْهَمُ معنًى ءاخر من الآية القرءانية أو من حديث رسول الله ﷺ هكذا كان أصحاب رسول الله فِى بعض المسائل تختلف أفهامهم يختلف فهمُ هذا وفهم هذا، الآية يفهمها الصحابِى على وجه ويفهمها الصحابِى الآخر على وجه وهكذا فِى الحديث كانوا يختلفون فِى الفهم ثم مَنْ كان منهم مِنْ أهل العلم ممن يستحق الاجتهاد لا يَعِيبُ هذا الآخَرَ إلى حد تفسيقه أو إلى حد تبديعه بل كان يقتصر على مخالفته فِى فهمه فيعمل بما فهم وذاك يعمل بما فهم، على أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ثبت عنه أنه قال إذا جاءت الفتيا عن علِىّ لم نتجاوزْها إلى غيره اهـ معنى ذلك أنه كان يرجّح عليًّا رضى الله عنه فِى الفتوى على غيره من الصحابة على نفسه وعلى غيره مع ذلك فِى هذه المسألة قال لو كنت أنا لم أحرقهم ولقتلتهم. فالمرتد له النفقة فِى بيت المال إلى ثلاثة أيام أما ابنُهُ فليس له عليه حق ليس له عليه حق النفقة إن جاع وإن عطش، انقطعتِ الوصلةُ التِى كانت بينه وبين أبويه لأن الإسلام أعظم

وصلة وأكبر رابطة بين شخص وشخص وصحَّ لنا أنه لا يجوز لعن الأبوين المسلمَين وأما غيرهما فيجوز لعنهما لأن المرتد أخسُّ حالًا مِن الكافر الأصلِيّ، الكافرُ الأصلِيُّ إذا دخل فِى الذمة بأن قَبِلَ الجزية واتفق على ذلك مع إمام المسلمين حَرُمَ علينا أن نقتله وأن نؤذيه وأن نأخذ أمواله كما يحرم علينا دمُ المسلم ومالُهُ وإيذاؤه لكن المرتد وإن كان قريبًا لك فحكمه يخالف حكمَ الكافر الذمىّ. وما يقال إنه لا يجوز لعن الشخص المعيَّنِ لو كان كافرًا أو مسلمًا فاسقًا كأن يقال لعن الله فلانًا أو لعنك الله أو عليك لعنة الله بالتعيين إلا للكافر الذِى علمنا موته على الكفر بِوَحْيٍ مِنَ الله تعالى من طريق الرسول ﷺ أىْ إلا مَن أخبر الرسولُ ﷺ أنه مات على الكفر فالذين يقولون لا يجوز لعن الكافر المعيَّن إلا أن يكون ممن أخبر الرسول عنه أنه مات على الكفر هذا قول ضعيف لا نعتبره بل نحن نأخذ بالقول المعتمد القوىّ أنه يجوز لعن المسلم المعين إذا كان لسبب شرعىّ كأن يكون غشاشًا يَغُشُّ الناس فِى معاملاتهم الدنيوية أو يتجبر ويَحْقِرُ ويظلم ويعتدِى أو يتعاطى التدريسَ وهو ليس أهلًا للتدريس فإنَّ لَعْنَ هؤلاء على التعيين كأن يقال لعنة الله على فلان جائز ولو لم يصل إلى حد الكفر فأما إذا وصل إلى حد الكفر فيكون أولى بالجواز أولى بجواز لَعْنِهِ بالتعيين والدليلُ على ذلك أن رسول الله ﷺ رَوَى عنه البخارىُّ فِى الأدب المفرد أنه قال **اللهم إنما أنا بشر فأيما مسلم شتمته أو جلدته أو لعنته**

**فاجعل ذلك له صلاة وزكاة وقُربة تقربه بها إليك**[١] اهـ هذا الحديث الصحيح فيه دليل على أن الرسول ﷺ لعن أشخاصًا من المسلمين لِمَا ظهر له منهم مما يُجيز اللعن، لعنهم من غير أن يعلم أن هؤلاء الأشخاص يموتون على الكفر من غير أن يعلم بل طلب من الله تعالى أن يجعل هذا الشتم وهذا الجلد وهذا اللعن تكفيرًا لسيئاتهم عند الله تبارك وتعالى إن كانوا فِى الحقيقة على خلاف ما ظهر فبذلك تبيَّنَ أن قول أولئك الذين يقولون لا يجوز لعن الشخص المعيَّنِ إن كان كافرًا وإن كان مسلمًا إذا لم يُعلم موته على الكفر غير معتبر، هذا القول غير معتبر لأنه خالف الحديث، الرسولُ ﷺ كان يلعن أناسًا لم ينزل عليه وحىٌ بأنهم سيموتون على الكفر بل ينظر إلى ظاهر أحوالهم فِى ذلك الوقت فيلعنهم فكيف يُشترط هذا الشرط الذِى ذكره بعضهم كالغزالىّ رحمه الله وكثيرٍ من الشافعية. من الناس من يؤثر فيه رفع الصوت ومن الناس من يزيده رفع الصوت عنادًا فتكون إلانَةُ القول أقربُ لرده إلى الحق فهذا يُعامل بما يليق وذاك يعامل بما يليق فلينظر الشخص بحال أبويه الكافرين اللذين ارتدَّا عن الإسلام بسببِّ الله تعالى فإن كان رفعُ الصوت عليهما أقوى تأثيرًا من إلانةِ القول لهما رفعَ الصوتَ عليهما

(١) رواهُ البخارىُّ فِى الأدب المفرد فِى باب الخروج إلى المَبْقَلة، ورواه مسلم فِى صحيحه باب من لعنه النبىّ ﷺ.

وإن كان حالهما بالعكس لا يرفع عليهما الصوتَ صوتَهُ بل يُلين القول لهما لذلك الله تبارك وتعالى قال لموسى وهارون حين أُرسلا إلى فرعون فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾[1] لأنه كان من أكبر الجبارين فلو خَشَّنا له القول ورفعَا أصواتهما عليه كان يزداد عُتُوًّا وتَجَبُّرًا، لا يُفهم من هذه الآية أنه يجب إلانةُ القول للوالدين فِى كل حال.

ربنا ءاتنا فِى الدنيا حسنة وفِى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين لك الحمد ولك الثناء الحسن، سبحان ربِّى العلىِّ الأعلى الوهاب سبحان ربى العلىّ الأعلى الوهاب سبحان ربى العلىّ الأعلى الوهاب، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وسلم، اللهم أعنّى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله الطيبين وسلَّم، سبحان ربك رب العزة عما يصفون والحمد لله رب العالمين. انتهى.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



(١) سورة طه/الآية (٤٤).

# الفهرس العام

- نبذة مختصرة فى ترجمة شيخنا الهررى ..... ٣
- مقدمة ..... ١٨
- سيدنا ءادم عليه السلام أبو البشر ..... ٢١
- شرط صحة الأعمال وقبولها موافقةُ الشريعة وذلك يكون بتعلم العلم ..... ٢٩
- العبادة فِى الهَرْج ثوابها عظيم ..... ٤١
- شرع محمد ﷺ يُسرٌ ..... ٤٦
- عدم مشابهة الله للمخلوقين ..... ٥٠
- بيان مسائل فِى العقيدة ..... ٥٥
- فِى التحذير من بعض أهل الضلال ..... ٦٤
- فِى بيان التوحيد وبعض أمور الآخرة (ملخص فِى العقائد) ..... ٦٩
- النجاة فِى تعلُّم عِلمِ الدين ..... ٧٩
- قصة فاطمة الزبيرية ..... ٨٣
- من كذب بشريعة محمد فهو كافر ..... ٨٨
- تفسير سورة العصر ..... ٩٢
- بيان أن العمل بالقرءان والحديث فرض ..... ٩٦
- بيان عظم ذنب لعن المسلم بغير حق ..... ١٠٦
- من حُدَّ فِى معصية لم يعاقب عليها فِى الآخرة وبيان بعض أحوال التوبة ..... ١١٥
- بيان معنى قول الله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ ..... ١٢٢
- تفسير قول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ .. ١٢٦
- تبشير التقىّ برضوان الله عند الاحتضار وأن التقوى تكون بتعلم ما افترض الله تعلّمه والعمل به ..... ١٣٠
- بيان منزلة أهل العلم وأنهم أولى بالتقديم فِى مجلس السلطان ..... ١٣٤
- التحذير من تحليل الحرام وتحريم الحلال ..... ١٤٠
- التحذير من الغضب والفخر والحث على الصمت والقناعة بالقليل وبيان عقيدة أهل السنة والجماعة ..... ١٤٦
- حكم تعدد الجمعة فِى البلد الواحد ..... ١٥٧
- كرامة الولِىّ دليل على كمال اتّباعه لنبيه بأداء الواجبات واجتناب المحرمات ..... ١٦٥
- الأمر بإخلاص العمل لله ..... ١٧٣

- بيان أن الكفر أشد الذنوب على الإطلاق وبيان بعض الكبائر ..... ١٧٩
- بيان بعض أحوال ما بعد الموت من النعيم والعذاب ..... ١٨٤
- بيان أن العناية بما افترض الله على عباده خير من العناية بالنوافل ومن ذلك تعلم علم الدين الضروريّ ..... ١٩٢
- بيان نعم الله الظاهرة والباطنة وأن العمل الصالح لا يقبل إلا من المؤمن إن وافق عمله الشرع وخلصت نيته لله ..... ٢٠١
- بيان معنى حديث إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فِي النار ..... ٢٠٨
- بيان ثواب عيادة المريض والكلام على تنزيه الله مع ذكر بعض معجزات الأنبياء ..... ٢١٨
- حكم زوجة الغائب والمفقود ومعنى الإحداد ..... ٢٢٨
- بيان فضل العلم وأن أولى العلوم هو العلم بالله ورسوله ودينه ..... ٢٣٢
- بيان التقوى وأنواع الصبر ..... ٢٤٢
- سيدنا محمد أفضل الأنبياء وأمته خير الأمم وشريعته أسهل الشرائع .... ٢٤٩
- بيان أن الغلو فِي الدين مهلكٌ ..... ٢٥٧
- بيان أن موافقة العمل للشرع يكون بتعلم علم الدين ..... ٢٧٠
- بيان أهمية تعلم أحكام الطهارة ومعنى الطهور شطر الإيمان ..... ٢٨١
- اعتقاد الصحابة رضِيَ الله عنهم ..... ٢٩٠
- بيان عظيم شأن ءَادَمَ عليه السلام وأنه أول الأنبياء ..... ٢٩٨
- بيان أن العمل المقبول ما كان خالصًا لله وموافقًا لما جاء به رسول الله ﷺ ..... ٣٠٣
- علامة محبة الله اتّباع رسوله ﷺ ..... ٣١٠
- بيان أن النجاة فِي الآخرة تكون بمعرفة الله تعالى والإيمان برسالة محمد ﷺ ..... ٣١٦
- بيان أن أهم أمور الدين معرفة الله ..... ٣٢٩
- بيان فضل التحاب فِي الله ..... ٣٣٦
- بيان أن التبرك والتوسل بالأنبياء والأولياء جائز بالإجماع وبيان مخالفة ابن تيمية المسلمين فِي ذلك ..... ٣٤٠
- بيان أن أفضل الأعمال الإيمان بالله ورسوله ثم الصلوات المكتوبات .. ٣٤٦
- شرح حديث إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ..... ٣٥٣
- بيان أن الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع ..... ٣٦٢
- بيان أن الله رخّص لأمة محمد ﷺ أمورًا منها استحداث ما لم يفعله الرسول ﷺ إن لم يخالف شرعه ..... ٣٧٨
- بيان حكم لعنِ المسلم ..... ٣٨٤
- الفهرس العام ..... ٣٩٢